

بسم الله الرحمن الرحيم
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية
كلية أصول الدين
قسم الكتاب والسنة

مقياس التفسير الموضوعي

مطبوعة بيداغوجية موجهة لطلبة السنة الثالثة كتاب وسنة
السداسي الخامس

نسخة غير رسمية

من انجاز الدكتور: رياض عميراوي

السنة الدراسية 2018/2019م

مَهَيِّدٌ:

نقدم بين يدي الطالب مذكرة بيداغوجية في مقياس التفسير الموضوعي حتى يتسنى له الاطلاع على منهج من مناهج التفسير، سواء فيما تعلق بالجانب النظري منه أو بالجانب التطبيقي، كما يمكنه معرفة أهم مصادر هذا المنهج ومعرفة أصحابه ممن أصل له وممن كتب فيه، وممن طبق عليه، حيث يُعد منهج التفسير الموضوعي من المناهج الحديثة التي تعنى بتفسير القرآن الكريم، ويمكن تعميم هذا المنهج على باقي الدراسات الإسلامية الأخرى كالحديث النبوي والفقه والعقيدة وربما إلى غيرها كباقي العلوم الإنسانية، وقد اختلف العلماء في كون نشأة هذا المنهج قديماً أم حديث النشأة، والذي كانت له ارهاصات منذ عصر النبوة وعصر الصحابة والتابعين الى عصر التدوين الى أن بلغ أشده في العصور المتأخرة، ولكنه ما زال لم يبلغ ذروته في الضبط والتحرير إذا ما قورن بعلموم أخرى كأصول الفقه واللغة وعلم العقيدة وغيرها.

وقد أسهم بعض العلماء في الكتابة في هذا الموضوع من ناحية التقعيد والتأصيل والنشأة ولكنهم لم يتفقا على بعض المسائل فيه كأنواعه وأقسامه وخطواته وبعض شروطه.

حيث أوصلهم اجتهادهم على العموم لوضع ثلاث أنواع رئيسية في التفسير الموضوعي وهي:

1- التفسير الموضوعي التجميعي.

2- التفسير الموضوعي الكشفي (الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية).

3- التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني.

وسأحاول في هذا البحث أن أتناول جانبين مهمين جانب نظري والآخر تطبيقي، وذلك بالتعريف بهذا المنهج ونشأته وأهم مصادره وكل ما تعلق به من حيث التعريف بكل نوع من أنواعه، وخطوات كل نوع، وأما الجانب التطبيقي فهو تطبيق هذا المنهج على مواضيع قرآنية متنوعة، وسور مخصوصة، ومصطلحات محددة، من خلال خطة محكمة تتلخص في 16 محاضرة متكاملة مضبوطة. والله الموفق.

القسم النظري

مقدمات ومفاهيم حول منهج التفسير الموضوعي

وفيه محاضرتين

- تعريف منهج التفسير الموضوعي
- أنواع التفسير الموضوعي
- أهمية منهج التفسير الموضوعي
- قواعد التفسير الموضوعي وضوابطه.
- خطوات التفسير الموضوعي.

المحاضرة الأولى

الدرس الأول

منهج التفسير الموضوعي

مقدمة ✓

تعريف منهج التفسير الموضوعي. ✓

تعريف التفسير لغة واصطلاحا. ✓

تعريف الموضوع لغة واصطلاحا. ✓

تعريف المركب الإضافي لمنهج التفسير الموضوعي. ✓

أهمية التفسير الموضوعي. ✓

مصادر التفسير الموضوعي. ✓

1- تعريف التفسير الموضوعي.

لتعريف التفسير الموضوعي ينبغي أن نتعرض لتفسير لفظي هذا المركب، المكون من لفظة "التفسير" ولفظة "الموضوعي"، فنبداً أولاً بتعريف مادة "فسر" في اللغة ثم في الاصطلاح، وبعد ذلك نتعرض لمادة "موضوع"، لنعود بعد ذلك فنعرّف هذا المركب اللفظي كعلم على علم مخصوص، وفن مدون.

أولاً: التفسير

لغة: التفسير في اللغة هو تفعيل من الفسر؛ الذي هو الكشف والبيان، وفسر الشيء يفسره بالكسر، ويفسره بالضم فسراً، يعني: أبانه، والتفسير كشفُ المراد عن اللفظ المبهم¹، وقال الأزهرى: الفسرُ: «كشف ما غُطِّيَ، وهو بيان وتفصيل للكتاب [العزیز]... والتفسيرُ: اسم للبول الذي ينظر فيه الأطباء يستدلون بلونه على عِلَّة العليل، [فكذلك المفسر يكشف عن شأن الآية، وقصصها، ومعناها، والسبب الذي أنزلت فيه، وكأنه تسمية بالمصدر، لأن مصدر فعل جاء أيضا على تفعلة]، يعني فسرَ تفسراً.

وكل شيء يُعرفُ به تفسير الشيء ومعناه، فهو تفسرته، وقول الله تعالى: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾²، وقال بعضهم: التفسير: «كشف المراد عن اللفظ المشكل»³، وفسرَ وسَفَرَ لغة واحدة، أي إشتقاقهما واحد، ومعناها الكشف، قال الجوهرى: «... وسَفَرَتِ المرأةُ: كشفت عن وجهها، فهي سافرٌ، ومَسَافِرُ الوجه: ما يظهر منه... وأسفر الصبح، أي أضاء، وفي الحديث: أسفروا بالفجر، فإنه أعظم للأجر⁴.. وأسفر وجهه حسناً، أي أشرق»⁵.

وقال الزركشي في البرهان: «والتفسير هو الكشف أيضا، فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه، وإطلاق للمحتبس عن الفهم به، ويُقال: فسّر الشيء أفسره تفسيرا، وفسرته أفسره فسراً، والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال، وقال آخرون هو مقلوب من سفر ومعناه أيضا الكشف، يقال سفرت المرأة سفورا إذا ألقنت

1 - لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2003م/1424هـ، ج6، ص: 134.

2 - سورة الفرقان: آية 33.

3 - معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: د. رياض قاسم، دار المعرفة، الطبعة: 1، سنة: (1422هـ/2001م)، بيروت، لبنان. المجلد الثالث، ص: 2787.

4 - حديث رواه الترميذي، في سننه، باب: ما جاء في الإسفار، ج1، ص: 263، ورواه النسائي في باب: الإسفار بالفجر، ج2، ص: 277، ورواه أحمد في المسند من طريق رافع بن خديج، ج35، ص: 150/ج48، ص: 157/ج48، ص: 172. وأخرجه = ابن أبي شيبة في مصنفه: ج1، ص: 345، 355، 457، 478. ورواه الطبراني في المعجم: ج9/4/17، ص: 150، 13، 460. ورواه البيهقي في الآثار، باب: الصبح، ج2، ص: 325.

5 - تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: 4، 1426هـ/2005م، بيروت لبنان، الجزء: 2، ص: 589.

خمارها عن وجهها، وهي سافرة، وأسفر الصبح أضاء»¹. وجميعهم متفقون على أن أصل التفسير الكشف والبيان.

اصطلاحاً: لقد تفاوتت التعاريف الاصطلاحية لهذا اللفظ بسبب اختلاف العلماء في تحديد ما يندرج تحته من مدلول ومعنى، ومقصد، فبعضهم يقول: هو علم يُعرف به نزول الآيات، وشؤونها وأقاصيصها، والأسباب النازلة فيها، ثم ترتيب مكِّيَّها، ومدنيَّها، ومحكمها ومتشابهها، وناسخها ومنسوخها، وخاصها وعامها، ومطلقها ومقيدها، ومحملها ومفسرها، وحلالها وحرامها، ووعدها ووعيدها، وأمرها ونهيها، وأمثالها وغيرها² وقد جمع هذا التعريف كل ما يتعلق بعلوم القرآن، وتناول مختلف الدراسات القرآنية.

وهناك من يقول: «هو علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمت لذلك³

وقصد بذلك عدة علوم كالقراءات، ومعاني الألفاظ، والنحو، والصرف، والبيان، والبديع، وهذا يُفهم من خلال قوله: «كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها التركيبية والإفرادية»، والجاز من خلال قوله: «ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب»، وقصد أيضاً علم أسباب النزول والمبهم... وغيره، وهذا يُفهم من قوله: «وتتمت ذلك»، وهو كل ما يتعلق بما جاء في كتاب الله من متشابه ومحكم وقصص... وغيره.

وأما الزركشي فيعرّف التفسير بقوله: «التفسير: علم يُعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ»⁴، وهو الكشف عن مراد الله بقدر الطاقة البشرية.

وهذا الأخير تعريف عام، يفهم منه أن التفسير هو الجهد الذي يبذله المفسر، للكشف عن مراد الله تعالى من خلال خطاب الله المتعلق بأفعال العباد، بقدر استطاعته، وبقدر ما آتاه الله من علم، وبما فتح الله به عليه من فهم.

ثانياً: الموضوع

لغة: فهو في الأصل مصدر ميمي لفعل وضع، يقال في اللغة وضعه يضعه وضعاً وموضعا وموضوعاً، بمعنى حطّه، ويقال ذلك في الحمل والحمل -بفتح وكسر الحاء- فيقال: وضعت الحمل فهو موضوع، قال عنه:

1- البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، (1376 هـ/

1957م)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ج1، ص: 147.

2 - كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقي النهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية، العامة، مكتبة النهضة العربية، الطبعة: 1، 1382هـ/ 1963م، ص: 33.

3 - البحر المحيط، علي بن يوسف أبي حيان الأندلسي، ج1، ص: 14.

4 - البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، (مصدر سابق)، ج1، ص: 13.

﴿وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ﴾¹ وقوله ﴿وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ﴾²، فهذا الوضع عبارة عن الإيجاد والخلق. ووضع البيت: بناؤه، قال عكلك: ﴿إِن أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ﴾³ ووضعت الدابة، أسرعت، وتضع في سيرها: تُسرّع، ودابة حسنة الموضوع سريعة، وأوضعتها: حملتها على الإسراع⁴، والإبل ألزمتها المرعى فهي موضوعة⁵.

والموضوع أيضا من الوضع؛ وهو جعل الشيء في مكان ما، سواء أكان ذلك بمعنى الحط والخفض، أو بمعنى الإلقاء والتثبيت في المكان، تقول العرب: ناقه واضعة: إذا رعت الحمض حول الماء ولم تبرح، وهذا المعنى ملحوظ في التفسير الموضوعي، لأن المفسر يرتبط بمعنى معين لا يتجاوزه إلى غيره حتى يفرغ من تفسير الموضوع الذي أراده⁶.

وهذه لفظة غنية المعاني، حقيقية ومجازية، وهي لا تستعمل في الاستعمال الذي نقصده لأنها مصطلح حديث شاع حتى أصبح حقيقة عرفية على القضية العلمية.

اصطلاحاً:

جاء في المعجم الوسيط: «الموضوع هو المادة التي يبني عليها المتكلم أو الكاتب كلامه»⁷، وهو محل العرض المختص به، وموضوع كل علم: ما يبحث فيه عن عوارضه الذاتية، كبدن الإنسان لعلم الطب، وكالكلمات لعلم النحو⁸.

ويعرّفه آخرون بأنه قضية، أو أمر متعلق بجانب من جوانب الحياة، في العقيدة أو السلوك الاجتماعي، أو مظهرها من مظاهر الكون، تعرّضت لها آيات القرآن الكريم⁹، وإضافة (تفسير) إلى (موضوعي): صارت علماً على هذا الفن، بعد أن رُكبت معها وصارت كلمة واحدة، كما هو الشأن في اسم (معد يكرب)، أو (حضر موت)، أو (سيبويه)، فتنوسيت تلك الإضافة مع مرور الزمن، وصارت كأها كلمة واحدة لها معنًا خاصًا بها.

1- سورة: العاشية، الآية: 14.

2- سورة: الرحمن، الآية: 10.

3- سورة: آل عمران، الآية: 96.

4- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، (دون تاريخ)، بيروت. ص: 526.

5- التفسير الموضوعي، عبد الجليل، (مصدر سابق)، ص: 33.

6 - مقدمة في التفسير الموضوعي، محمد بن عبدالعزيز الخضير، كلية المعلمين قسم الدراسات القرآنية، ص: 20.

7- مجمع اللغة العربية، (مصدر سابق)، ج: 2، ص: 1052.

8- التوقيف على مهمات التعاريف، عبد الرؤوف المناوي، (مصدر سابق)، ص: 720.

9 - مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، (مصدر سابق)، ص: 16.

أما **تعريف التفسير الموضوعي كمركب إضافي** فهو: عبارة عن منهج جديد يُتناول به تفسير القرآن الكريم، بطريقة سهلة ميسورة تخدم المقبلين على كتاب الله، فتمكنهم من فهم القرآن الكريم فهما دقيقا كاملا، وهو «عبارة عن جمع الآيات القرآنية التي تتحدث عن موضوع واحد، مشتركة في الهدف، وترتيبها على حسب النزول-كلما أمكن ذلك- ثم تناوؤها بالشرح والتفصيل، وبيان حكمة الشارع في شرعه وقوانينه، مع الإحاطة التامة بكل جوانب الموضوع كما ورد في القرآن الكريم، والدب¹ عما يمكن أن يكون قد أثير حوله من شُبّه الضالين والملاحدين من أعداء الدين»²، وقيل: هو علم يتناول القضايا حسب المقاصد القرآنية من خلال سورة أو أكثر³.

وقيل: هو علم يبحث في قضايا القرآن المتحدة معنى وغاية عن طريق جمع آياتها المتفرقة، والنظر فيها على هيئة مخصوصة بشروط مخصوصة لبيان معناها، واستخراج عناصرها، وربطها برباط جامع⁴، وكل هذه التعاريف متقاربة بعضها لبعض، إذ تصب في معنى واحد، فبعضهم عرّف التفسير الموضوعي باعتباره علما على فن مدون، وبعضهم عرفه على اعتبار أنه مركب وصفي، ولعل كل هذه التعاريف تخدم بعضها بعضا وتتم المعنى المطلوب.

أهمية التفسير الموضوعي:

أخذ التفسير في العصر الحديث اتجاهات متعددة ومناهج متنوعة، بعضها يساير ما كان عند القدامى ويعتبر امتدادا له، وبعضها لم يكن له عند القدامى قسما واضحة، وإنما هو لون تعروه جدة في إطاره، وبعض مضامينه، وإن كان لا يخلو من أثر يمكن نسبته إلى جهود القدماء، ولقد اجتهد المعاصرون في البحث عن طرق وسبل تيسّر لهم فهم القرآن الكريم، وضوابط وقواعد جديدة تُمكن المفسر من خوض غمار هذا الكتاب العظيم، وهذا بسبب التقدم والتطور الذي عرفته البشرية.

يقول الدكتور محي الدين بلتاجي في هذا الشأن: «والواقع أن الحياة الانسانية قد تغيرت معالمها ومعارفها تغيرا كبيرا منذ بدأ التأليف في التفسير عند القدامى، بمسارهم التي ارتضوها حتى هذا القرن الذي نعيشه، والذي تشكلت في مطلع حضارة مادية أظلت حياة الناس، تغلب عليها النظرة العلمية، وتوجه الكثير من اتجاهات الفكر فيها... ومما لاشك فيه أن كثيرا من القضايا التي عرض لها القدامى من المفسرين، لم تعد تساير العصر، لأنها ليست من معطياته الفكرية في شيء، ومن هنا اتجه الكثير من المحدثين إلى التفسير، وهم يحاولون الربط بين ما جدّ في حياتهم من قضايا وبين كتابهم»⁵

1 - تعني: الدفاع.

2 - التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمد يوسف القاسم، الطبعة الأولى، سنة: 1401هـ/1981م، القاهرة، القسم الأول، ص: 7.

3 - مباحث في التفسير الموضوعي، (المصدر السابق)، ص: 16

4 - التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقا، أحمد رحمان، منشورات جامعة باتنة، ص: 42.

5 - دراسات في التفسير وأصوله، محي الدين بلتاجي، دار الثقافة، الطبعة: 1، ص: 193 سنة: 1987م، بيروت.

ويقول الدكتور يوسف القاسم: «مما لا شك فيه أن هذا النوع من تفسير القرآن الكريم نحن في أشد الحاجة إليه، وخصوصاً في هذا العصر الذي تقدمت فيه العلوم والمعارف، وتغيرت العادات والتقاليد عما كانت عليه من قبل، وأصبحنا في حاجة ماسة إلى عرض أعمالنا على القرآن والسنة الشريفة وعمل السلف الصالح، فما وافق أخذنا به وما لا يوافق طرحناه وراء ظهورنا»¹.

وإن تقسيم القرآن إلى مواضيع معينة وتفسيرها، هي الطريقة المثلى في الكشف عن خبايا هذا الكتاب، من تشريعات، وقواعد، وسلوك حميد، وكل ما من شأنه يفيد الناس في حياتهم، وما يتعلق بسلوكهم، وهذا ما يشعرننا بما للقرآن من صلة وثيقة بنظامنا الديني، والاجتماعي، والأخلاقي.

كما أن أهمية هذا المنهج تكمن في التصدي لمبادئ الشيوعية والإلحاد وبعض المادية، خاصة وأنها تدعي إطلاق الحرية، وتتهم الآباء بالغفلة والرجعية، وذلك من خلال إبراز مواضيع القرآن الكريم بصورة علمية جديدة، وبشكل يخدم القضايا المعاصرة، وي طرح الموضوع من جوانبه المختلفة، لتكتمل الصورة، وتقوم الحجة، على كل من يدعي فهم الحياة وحقيقة الإنسان، ليزداد الذين آمنوا إيماناً، وليستيقن من كان في قلبه ريب.

كما تتجلى أهمية هذا المنهج في إبراز وجه من أوجه إعجاز هذا الكتاب المحكم المرتب ترتيباً يوحى بأنه من عند حكيم حميد، لا سيما إذا كانت أسباب التزول متعددة، وأزمة التزول متباعدة، حيث يظهر ذلك من خلال جمع الآيات، وصبها في موضوع واحد، كما هو الشأن في هذا المنهج من التفسير. ويرى الأستاذ أحمد رحمان أن أهمية التفسير الموضوعي تكمن في تحديده موضوع معين، وهو تنمة لرسالة الفقهاء².

ويمكن تلخيص أهمية هذا المنهج في الأمور التالية:

الأول: إبراز وجوه جديدة من إعجاز القرآن الكريم، فكلما جدت على الساحة أفكار جديدة -من مُعطيات التقدم الفكري والحضاري- وجدها المفسر جلية في آيات القرآن، لا لبس فيها ولا غموض، بعد تتبع مواطن ذكرها فيه، فيسجل عندها سبق القرآن إليها، ويدلل بذلك على كونه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأنه الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تنتهي غرائبه ودلائل إعجازه.

الثاني: التأكيد على أهمية تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أعلى، وأجل أنواع التفسير، إذ قد يوجد من لا يلجأ إلى القرآن عند إرادة إيضاحه وتفسيره لقصور فيه، أو تقصير منه، وبالتفسير الموضوعي ندرك أهمية هذا اللون من التفسير فتزداد عنايتنا به، وتتعاقد جهودنا لبيانه، فنكفي بذلك الوقوف عند كثير من مشكل القرآن، أو مواطن الخلاف بين علماء الأمة في تفسير آياته، ونورد ما يوضح المراد ويشفي العليل ويروي

1 - التفسير الموضوعي، يوسف القاسم (مصدر سابق)، ص: 10.

2 - التفسير الموضوعي، أحمد رحمان، (مصدر سابق)، ص: 14.

الغليل بالقرآن نفسه.

الثالث: إن تجدد حاجة البشرية، وبرز أفكار جديدة على الساحة الإنسانية وانفتاح ميادين للنظريات العلمية الحديثة لا يمكن تغطيتها ولا رؤية الحلول لها إلا باللجوء إلى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، إذ عندما نجابه بنظرة جديدة، أو علم مستحدث، فإننا لا نقدر على تحديد الموقف من هذا العلم، وتلك النظرية، وحل المشكلة القائمة، وبيان بطلان مذهب، إلا عن طريق تتبع آيات القرآن، ومحاولة استنباط ما يجب نحو كل أولئك.

وإن جمع أطراف موضوع ما من خلال نصوص القرآن والسنة، يمكن الباحث من القيام بدور اجتهادي للتوصل إلى تنظير أصول لهذا الموضوع، وعلى ضوء هدايات القرآن ومقاصده نستطيع معالجة أي موضوع يجد على الساحة.

الرابع: إثراء المعلومات حول قضية معينة، فغالباً ما يُطرح موضوع أو قضية أو فكرة أو مشكلة للبحث، ويبقى أيُّ من ذلك محتاجاً إلى إشباع، ومزيد من الدراسة، ويتم تحقيق ذلك من خلال التفسير الموضوعي بحيث تتبين لدوي الشأن أدلة جديدة، ورؤى مستفيضة، وتفتيق لشيء من أبعاد القضية المطروحة.

الخامس: تأصيل الدراسات أو تصحيح مسارها: لقد نالت بعض علوم القرآن حظاً وافراً من البحث والدراسة، إلا أن هناك علوماً آخر برزت جديدة تحتاج إلى تأصيل بضبط مسارها حتى يؤمن عثارها مثل (الإعجاز العلمي في القرآن)، فقد كثر الكاتيون حوله إلا أنه بحاجة ماسة إلى ضبط قواعده ليُتجنَّب الإفراط فيه أو التفريط، وهذا إنما يتم عبر دراسة موضوعية لآيات القرآن وهداياته في هذا المجال.

وهناك علوم ودراسات قائمة منذ القدم لكن المسار الذي تنتهجه يحتاج إلى تصحيح وتعديل، وإعادة تقويم، كعلم التاريخ الذي أخذ منهجاً في سرد الوقائع والأحداث من غير تعرض لسنن الله في الكون والمجتمع، علماً بأن هذه السنن قد أبرزتها آيات القرآن خلال قصصه بشكل واضح، وهناك انحرافات مبثوثة في كتب التاريخ تخالف ما نص عليه في القرآن الكريم، ولن يتم تعديلها وتقويم مثل هذه العلوم إلا بطريق استقصاء منهج القرآن في عرضها ودراستها..¹

خطوات التفسير الموضوعي:

رأينا سابقاً أنواع التفسير الموضوعي، ولخصناها في ثلاثة ألوان رئيسية، وقد امتاز كل لون بخطوات منهجية معينة نتطلع إليها في هذا المبحث حتى يتسنى لنا الوقوف عليها ومن تم مباشرتها في الجانب التطبيقي لهذا المنهج، ولنبدأ باللون الأول.

1 - مقال للأستاذ: محمد بن عبدالعزيز الخضيري، كلية المعلمين، قسم الدراسات القرآنية، بتاريخ: 2002/02/05م.

خطوات التفسير الموضوعي التجميعي:

- 1- اختيار العنوان موضوع البحث بدقة وعناية مما له علاقة بحياة الناس، وفي أي مجال من مجالات الحياة، له تعلق بوظيفة الانسان ككائن بشري وكمخلوق لله تعالى.
- 2- جمع الآيات القرآنية الدالة على الموضوع إن تصريحاً أو تلميحاً، وذلك باستقراء القرآن الكريم كله.
- 3- النظر في مختلف هذه الآيات المستخلصة ذات الموضوع المشترك، واستخراج معانيها الظاهرة (أفكار) يمكن أن تكون -أي هذه المعاني- هي الوحدة الأساسية لبناء الخطة (خطة البحث)، تحت مباحث ومطالب.
- 3- تقسيم هذه الآيات حسب عناوين المباحث والمطالب في الخطة التي وضعت أساساً على حسب المعاني المستنبطة، وترتيبها حسب المكي والمدني وترتيب النزول....
- 4- الشروع في تحليل وتفسير هذا الآيات مع أخذ بعين الاعتبار اللغة والقراءات والنسخ والمنسوخ.. ومحاولة ربط هذا الآيات ببعضها البعض.
- 5- استخراج الهدايات والاحكام والحكم وصياغتها في شكل قوانين ونظريات تساهم في وضع حلول للمشكلة المطروحة.

خطوات التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:

- 1- اختيار اللفظ القرآني الذي نريد دراسته، على أن يكون قليل الدوران على ألسنة الناس.
- 2- الوقوف على الجذر الثلاثي للكلمة، والتبحر في الكشف عن الاشتقاقات القريبة والبعيدة للفظة المدروسة، ومحاولة الاحاطة بالتعريف اللغوي والاصطلاحي للكلمة.
- 3- جمع الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة فقط ولكن بجميع اشتقاقاتها وتصريفاتها في الماضي والحاضر والمستقبل وفي صيغها المختلفة في الاسم والفعل والمصدر واسم الفعل والصفة.... والجمع والمفرد والمؤنث والمذكر والنكرة والمعرفة...
- 4- الكشف عن مدلولات اللفظة وكيفية استعمال القرآن لها والسياقات التي وردت فيها .
- 5- تفسير الآيات التي ورد فيها هذا اللفظ، وتحليلها والخروج بعد ذلك بمفهوم لهذه الكلمة القرآنية وضبط أوجه مدلولاتها في القرآن الكريم، ووضعها في السياق الصحيح لفهم آيات الكتاب.

6- اسقاط هذه المفاهيم على واقع الناس وربطها بالجوانب التربوية والاخلاقية والاقتصادية والاجتماعي.....الخ.

خطوات التفسير الموضوعي الكشفي:

-أولاً: الجانب النظري

1- اختيار السورة محل البحث.

2- بين يدي السورة وفيها: التعريف بالسورة، كاسمها وعدد آيها، وترتيبها في المصحف، وكل ما تعلق بها من أسباب النزول وزمنه، وفضل السورة....

3- مناسبات السورة الخارجية: وجه ارتباط السورة مع السورة التي قبلها والتي تليها.

4- أغراض السورة ومقاصدها وارتباطها بمقاصد وأغراض السورة التي قبلها والسورة التي بعدها.

ثانياً: الجانب التطبيقي:

1- تقسيم السورة الى مواضيع جزئية ومحاور فرعية (يمكن أن يشمل الموضوع الفرعي عدة أغراض أو مقاصد)، أو إلى مقاطع ودروس على حد تعبير سيد قطب وحلقات.

2- محاولة الكشف عن المحور الأساسي للسورة، وذلك من خلال:

أ/ اسم السورة ب/ فضل السورة ج/ مطلع السورة د/ المواضيع الفرعية للسورة هـ / خاتمة السورة.

3- مناسبات المواضيع الفرعية فيما بينها وكذا مناسباتها مع المحور الرئيس للسورة، مع ربط المطلع بالخاتمة أو ما يعرف بقلب العجز على الصدر.

4- الخروج بتصوير عام للسورة مع مراعات السياقات التي جاءت في السورة وتناسبها مع أغراض السورة ومقاصدها، وكيف خدمت هذه المواضيع موضوع السورة الرئيس.

المحاضرة الثانية

الدرس الثاني

أنواع التفسير الموضوعي

✓ التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني

✓ التفسير الموضوعي التجميعي وللموضوع القرآني

✓ التفسير الموضوعي الكشفي (الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية)

✓ قواعد التفسير الموضوعي وضوابطه.

أنواع التفسير الموضوعي:

من خلال استعراضنا لبعض ما أُلّف في هذا المنهج، ومن خلال ما نلاحظه في التفاسير القديمة والحديثة، وما كُتِب في التنظير لهذا المنهج نستنتج ثلاثة أنواع من ألوان التفسير الموضوعي.

اللون الأول: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني:

وهو ما يُعرف بالتفسير الموضوعي للفظ القرآنية، وطريقته أن يتتبع الباحث لفظة معينة من القرآن الكريم، كالعقيدة، أو الحب، أو الأمانة، أو الجهاد، أو النفاق...، فيجمع لها الآيات التي وردت فيها هذه اللفظة من القرآن الكريم كله، سواء بلفظها أو بمشتقاتها، ثم يعهد الباحث إلى تفسير هذه الآيات، مستنبطاً من خلالها دلالات تلك اللفظة، واشتقاقاتها من خلال استعمال القرآن لها، فتكتمل بذلك الصورة، حيث يُطلعنا ذلك على أساليب القرآن الكريم في تعامله مع الألفاظ، واستخدامها في الموضع الأليق بها، دون تقديم أو تأخير.

وهذا اللون من التفسير الموضوعي أشبه بما في بعض الدراسات السابقة، كالأشباه والنظائر، وغريب القرآن، وغيرها.

وقد أورد الدكتور مصطفى مسلم بعض النماذج من هذا اللون من التفسير، نكتفي بذكر نموذج واحد لإيفائه بالغرض، حيث جاء في كتابه: "مباحث في التفسير الموضوعي" تحت عنوان نموذج من كتاب: "إصلاح الوجوه والنظائر" للدماغاني، ما يلي: «قال الدماغاني تحت مادة: (خ ي ر)، (خير) على ثمانية أوجه:

- المال، الإيمان، الإسلام، التفضيل، العافية، الأجر، الطعام، الظفر والغنيمة.
- فمعنى المال جاء في قوله تعالى: ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا﴾¹.
- ومعنى الإيمان جاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾².
- ومعنى الإسلام جاء في قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾³.

1 - سورة البقرة: 180

2 - سورة الأنفال: 23

3 - سورة البقرة: 105

- وبمعنى أفضل جاء في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾¹.
- وبمعنى العافية جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ بَخِيرٌ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾².
- وبمعنى الأجر في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ﴾³.
- وبمعنى الطعام في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾⁷.
- وبمعنى الظفر والغنيمة، جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْضِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾^{4 5}.

وهذه الأمثلة التي سقناها من القرآن ليست وحدها التي جاء فيها الخير بهذه المعاني بل هناك آيات أخرى عرضنا عن ذكرها لعدم التطويل.

اللون الثاني: التفسير الموضوعي التجميعي: ويعرف أيضا باسم التفسير الموضوعي لموضوع قرآني، حيث يختار الباحث موضوعا له أبعاده الواقعية في الحياة أو العلم أو السلوك... مما يتعلق بأمور الناس، ويفيد البشر جميعا، وخاصة المسلمين في حياتهم، ويشكل منه موضوعا يدرسه على ضوء القرآن الكريم من خلال آياته، ويخرج بعد ذلك بخلاصة تساعد في فهم جوانب الموضوع، وتعطي حلولاً للمشاكل المطروحة.

وهذا اللون من هو الذي اشتهر بين أهل الاختصاص، وإذا ما أطلق اسم التفسير الموضوعي، فلا يكاد ينصرف الذهن إلا إليه⁶.

وفيه أن يقوم الباحث بجمع آيات تصب في موضوع واحد، ويقوم بتفسيرها على ضوء ما تسمح به ثقافته، ثم ينسق بين معاني هذه الآيات، ويقسمها إلى مقدمة، وصلب، وخاتمة، ويربط كل ذلك، بالواقع الذي انطلق منه، ليعود في الأخير إلى استخلاص قواعد وحلول شاملة للمشكل المدروس.

وقد أُلّف في مثل هذا النوع العلماء السابقون، إذ يجمعون الآيات المشتركة في شيء واحد

1 - سورة المؤمنون: 118.

2 - سورة الأنعام: 17.

3 - سورة الحج: 36.

4 - سورة الأحزاب: 25.

5 - مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط2، 1997م/1418هـ، دمشق، ص: 24.

6 - المصدر نفسه: ص: 28.

مثل الأمثال في القرآن، أو الآيات التي اشتملت على الأحكام، أو ما جاء في النسخ والمسخ، أو غير ذلك مما له رابط بعبءه بعبء، ولكنهم أوردوها ليقفوا على ما فيها، فلم يربطوا بينها ليستخلصوا موضوعا واحدا بالصورة التي نعهدها اليوم في هذا المنهج، ولم يتجاوزوا الحديث عن مدلولات ومعاني تلك الآيات واستخلاص مسائل جزئية، فضلا عن تقسيمهم لتلك المجموعات من الآيات، لتشكل مقدمة وصلب موضوع، وخاتمة، بل جمعت بطريق آخر ورتبت إما ترتيبا مصحفيا، أو بحسب المتقدم منها والمتأخر، لتخدم الغرض الذي جمعوا من أجله تلك الآيات.

ولعل كثيرا من المؤلفين في هذا العصر قد دأب على هذا الطريق، فكتبوا في هذا النوع، خاصة بعض الباحثين من طلاب في رسائلهم الجامعية، وهي مواضيع منتشرة في المجلات والدوريات، مثل "حقوق الإنسان في القرآن"، و"العرض في القرآن"... وغيرها، وقد خطا هذا النوع خطوات لا بأس بها، وهو في طريق النمو، والإزدهار.

اللون الثالث: الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية:

وهو التفسير الموضوعي الكشفي، ويسمى أيضا التفسير الموضوعي للسورة القرآنية، أو الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، وهو أن يختار الباحث سورة من القرآن تكون مدار بحثه، ويخرج منها بدراسة موضوعية متكاملة، كما فعل باقر الصدر عندما تناول سورة البقرة، وسورة هود، ويونس، وسنذكر بعض من ألفت في هذا النوع في الحديث عن الوحدة الموضوعية ونشأتهما. وهذا اللون من التفسير الموضوعي لا يتجاوز السورة الواحدة من القرآن، وطريقته أن يستوعب الباحث الموضوع الرئيس للسورة، وكذا مواضيعها الجزئية، مستعينا في ذلك بعبء أمور، مثل ترتيب التزول، وأسبابه، وهل تلك الآيات مكية أو مدنية، مع دراسة لأسلوب القرآن في تناول ذلك الموضوع، مع التركيز على كشف ذلك الرابط الذي يجمع تلك الموضوعات الجزئية، وإبراز علاقتها بالموضوع الرئيس للسورة، لتفسر تلك المجموعات وتلك المقاطع من الآيات بصورة عامة متكاملة، بعد تقسيمها وترتيبها بحسب ما يقتضيه الموضوع، على أساس أن يخرج المفسر بعد الدراسة بإحاطة وافية للموضوع، وإمام تام بجوابه، في شكل خلاصة يسهل فهمها، والأخذ بها. وقد شح هذا اللون من التفسير في كتب القدماء، كما نخبرنا بذلك الدكتور مصطفى مسلم فيقول: «و لم يظفر هذا اللون من التفسير الموضوعي بعناية القدماء، بل جاء في ثنايا تفاسيرهم الإشارة إلى بعض أهداف السور، وخاصة القصيرة منها، وكذلك التوخي لوجه المناسبة بين

مقاطع بعض السور، كما فعل الفخر الرازي في تفسيره الكبير، وما فعله البقاعي في "نظم الدرر"،
وعبد الحميد الفراهي في كتابه: "نظام القرآن"¹.

وهناك نوع آخر من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم متكاملًا، حيث تتضافر جهود عدد
من الطلبة للبحث في الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم، وإخراجه في صورة واقعية إلى حيز
الوجود، وهي فكرة طيبة تحتاج إلى من يتبناها، ويدعمها ويحوطها بالعناية، لتثمر وتزهر وتكون
لبنة تضاف إلى هذا المجال، كما قال الأستاذ باقر الصدر في مقدمات التفسير.

المطلب الثالث: قواعد وضوابط التفسير الموضوعي:

لقد توسع المفسرون القدماء توسعا كبيرا في عرض القضايا النحوية والصرفية، وحشوا
تفسيرهم بالعديد من المسائل التي أثقلت التفسير، بحيث تجعل القارئ يتخبط في خضم هذه الآراء
والتحليلات، والمناقشات الفقهية....

كما أنهم قد حشوا كتبهم بإسرائيليات نقلوها عن أهل الكتاب، إستنادا لرخصة النبي ﷺ،
القائل في حديثه الشريف: "خذوا على بني إسرائيل ولا حرج"²، فعجّت مؤلفاتهم بتلك القصص
والروايات والأساطير التي أفسدت المعنى ووضعت بينه وبين المعنى الحقيقي كثيف الحجاب.

وما زاد الطين بلة تلك التفاسير المشوبة ببعض الأحاديث الموضوعية، وتلك الروايات الضعيفة
المزعوم صحتها عن رسول الله ﷺ، والتي كثيرا ما تحيدنا عن المعنى الحقيقي لفهم القرآن الكريم.
لكل ذلك بات من الضروري البحث عن منهج ينقي ويصفي التفسير من الشوائب التي علقت
به عبر الزمان، وحالت دون إبراز بعض المعاني القرآنية السامية، والتي تحمل في طياتها هدايات
للشعر، فحاول العلماء وضع ضوابط وقواعد تعصم من كل ذلك، فاجتهدوا في إرساء بعض
قواعد منهج التفسير الموضوعي، نذكر منها:

- وضع خطة منهجية تتحكم في سير التفسير، بحيث لا يخرج المفسر عنها وهو ملزم باتباع
خطواتها، وهي تلك الأطر العامة، وذلك الطريق المتسلسل المتين، الذي ينطلق من مقدمات علمية
صحيحة، مستدلا على ما يعرض من تفسير من الكتاب نفسه، ومما صح عن رسول الله ﷺ، وعمّا

1 - مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، (مصدر سابق)، ص: 29.

2 - حديث رواه البخاري في كتاب التفسير، الجزء 8، ص: 120.

اجتمعت عليه الأمة وتعارف عليه المسلمون مند بداية التزول إلى يومنا هذا، ليخلص بعد ذلك إلى نتائج حقيقية مرضية، ولأن النتائج مربوطة بمقدمات، فإن صحت المقدمات، وصح الاستدلال، صحت لزوماً النتائج.

- العمل على ربط معاني القرآن بما ورد في السنة الشريفة، والعمل على التخلص من الروايات الضعيفة الواهية المنكرة، حيث أن الحديث الشريف يساعد على ترجيح بعض مدلولات، سيقت لها الألفاظ التي تحمل أكثر من معنى.

- مراعاة القراءات التي تمكن المفسر من اختيار بعض الوجوه المحتملة وترجيحها على بعض، لأن القرآن الكريم له عدة قراءات صحيحة متواترة، وهي متلاقية في معانيها، مقتربة في مدلولاتها، وربما تكمل الأخرى قريبتها، أو توجهها في المعنى، مثل ما جاء في آية الوضوء من سورة المائدة¹، حيث قرأت كلمة "أرجلكم" بالفتح وبالضم، فعطفت الأولى على الغسل، وعطفت الثانية على المسح، فشرع بذلك غسل الرجلين، وكذا مسحهما. وما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾²، فقرأت بإثبات الألف وطرحها، أي "لامستم" و"لمستم" فالأول كناية على الجماع، والثانية على اللمس فقط³.

- التخلص من الإسرائيليات، والتقليل منها، إلا عند الضرورة، ولا تكون إلا فيما وافق القرآن والسنة، وفي حيز ضيق جداً، كوصف جلد بقرة، أو اسم كلب، أو قرية قد اندثرت، أو شيء من هذا القبيل، والذي لا يمد إلى المعنى بصلة، ولا يمس بقدسية هذا الكتاب ومعانيه الشريفة.

- معرفة أسباب التزول والمكي منها والمدني، ومعرفة عون على فهم النص القرآني وجو التزليل، إذ به تترجح كثير من المعاني، وتتضح أفهام جديدة للمفسر على ضوء ما يستخلصه من أسلوب الخطاب المستعمل في فترات زمنية معينة متباينة فيما بينها، وفي أماكن مختلفة، وربطها بحوادث ومناسبات وربما بأشخاص معينين، فقد يصرح بهم القرآن الكريم، وقد ييهمهم، كما

1 - المائدة: آية 6. وهي قوله تعالى: ﴿يَأْيُهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾

2 - سورة النساء: آية 43.

3 - الحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط2، 1397هـ/1977م، بيروت. ص:

حدث مع الملك بن مروان حينما استشكل عليه فهم قوله تعالى من سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا...﴾¹ فقال له ابن عباس رضي الله عنه أنها نزلت في أهل الكتاب. ومثل هذا كثير في القرآن.

- معرفة الناسخ والمنسوخ، وتقتضي معرفته معرفة المتقدم في التزول من المتأخر، لكي لا يقع المفسر أو المفتي مأزق الإفتاء بنص منسوخ، فيُضِلُّ ويُضِلُّ، كأن يفتي بإمساك زوجة جاءت بفاحشة مبينة في بيتها حتى يدركها الموت، أو يجعل الله لها سييلا، وهو لا يدري أنها نسخت بآية اللعان.

- معرفة القصص القرآني؛ إذ أن التفصيل في القصص التي جاءت في القرآن مجملة، قد يعين المفسر على ترجيح رأي على رأي، لأنه يعطي للمفسر صورة متكاملة حول جزئيات القصة، ويجعله يعيش ذلك الجو الذي تصوره تلك الأحداث الدائرة في فلك القصة، فتمكنه من استخراج هداياتها، واستنباط عضائها، وعبرها، المنبثة في ثنايا جزئياتها، والتي تعود بالفائدة على المتدبر والتالي لكتاب الله، إضافة إلى استمتاع القارئ لهذه القصة وتفسيرها بتلك المشاهد التي تصورها من خلال جزئياتها، فتبقى متعلقة بذهنه، وتؤثر في نفسه، كلما ذكرت هزت نفسه، وحركت مشاعره، وزادت في ورعه وتقواه.

هذه أهم ضوابط منهج التفسير الموضوعي بصورة عامة كما نراها، وأما من كان له الفضل في تفصيل هذه القواعد، فهو الشيخ حبنكة الميداني بدون منافس، حيث يذكر في كتابه: "قواعد التدبر الأمل لكتاب الله" حوالي أربعين قاعدة كلها تصب في هذا المعنى من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، وهي قواعد شملت في تقديرنا جميع ما يحتاج إليه هذا المنهج من الحيلولة دون وقوع المفسر في الزلل والخطأ، فضلا عن توضيح وتجلية المعنى المراد من آيات الكتاب العزيز، بل إن الشيخ في اعتقادنا لم يترك شاردة ولا واردة إلا أشار إليها، فكان كتابه بحق جامعا مانعا لهذه الضوابط والقواعد، التي تنتظر من يأخذ بها ويطبقتها، بل يحثنا صراحة على ذلك فيقول: «وفي هذه الرسالة كتبت هذه القواعد، وشرحتها بالأمثلة، وقد أكون في بعضها مسبقا إلى كتابته أو الإشارة إليه، وقد يكون بعض المفسرين قد وضع في تصوره مراعاة بعضها، إلا أنني لم أجد من راعاها كلها مراعاة تامة في كل ما تدبر من كلام الله، كما أن بعض هذه القواعد لم يحظ بعناية

1 - سورة آل عمران، آية: 188.

أحد من المفسرين، وأمام الباحثين المتدربين لكتاب الله طريق طويلة، قد لا يصلون إلى غايتها مهما بذلوا من جهد وكد، إلا أنهم - من دون شك - سيكتشفون بالبحث كنوزاً عظيمة من هذا التريل الرباني العظيم¹ ولا بأس أن نشير إلى بعض هذه القواعد على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر:

إن أول قاعدة تناولها هذا الكتاب هي مراعاة ارتباط الجملة القرآنية بموضوع السورة، وارتباطها الموضوعي بما تفرق في القرآن المجيد²، وهي قاعدة نلمسها في محاولات بعض المفسرين في كشف تلك الروابط والمناسبات بين الآيات والصور، وبين مقاطع السورة كما هو الشأن في تفسير سعيد حوى، وتفسير عبد الله دراز، وضرب لهذه القاعدة أمثلة من القرآن ليستدل على صحة ما يذهب إليه، وأورد في القاعدة الثانية حديثاً يدور حول الوحدة الموضوعية للسورة القرآنية، حيث سماها: وحدة موضوع السورة القرآنية³، وضرب لذلك أمثلة بسورة الرعد، وسورة العلق، والقيامة، وجاء حديثه في القاعدة الرابعة عن بيئة نزول النص البشرية، والمكانية، والنفسية، والفكرية، والفردية، والاجتماعية⁴، وهي أبعاد متعلقة بجو النزول وأسبابه، ويختتم هذه القواعد بما أوردنا سابقاً عن القراءات، ويحدد في القراءات العشر، ويعني بها مراعاة القراءات المتواترة، مستدلاً على كل قاعدة يذكرها في الكتاب بأمثلة من القرآن الكريم، يسرد نماذج ومقاطع لبعض التفسيرات التي تصب في الموضوع المطروح، وتخدم المعنى المقصود، وفيما ذكرنا من القواعد والضوابط كفاية، والله المستعان.

1 - قواعد التدبر الأمثل، حبكة الميداني، الطبعة الثالثة، دار القلم، سنة: 2004م، ص: 12.

2 - المصدر نفسه، ص: 13.

3 - المصدر نفسه، ص: 27.

4 - المصدر نفسه، ص: 53.

القسم التطبيقي

تطبيقات لأنواع منهج التفسير الموضوعي

وفيه ثلاثة عشر محاضرة

النوع الأول: التفسير الموضوعي التجميعي، وفيه خمسة مواضيع:

- 1- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم.
- 2- الولاء والبراء في القرآن الكريم.
- 3- الوسطية في القرآن الكريم.
- 4- الصلاة في القرآن الكريم.
- 5- العلم والعلماء في القرآن الكريم.

النوع الثاني: التفسير الموضوعي الكشفي (الوحدة الموضوعية) وفيه ثلاث محاضرات

- 1- الوحدة الموضوعية لسورة الفاتحة.
- 2- الوحدة الموضوعية لسورة لقمان
- 3- الوحدة الموضوعية لسورة الاسراء

النوع الثالث: التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني وفيه موضوعين.

- 1- ألفاظ القرآن للراغب الاصفهاني. (40 صفحة الأولى)
- 2- دراسة بعض المصطلحات: أ/الاصطفاء - والاحتباء، ب/التفكر - ج/الران الختم والطبع، د/الارادة - المشيئة - الهداية - الضلال، هـ/الاصلاح - الرشد.

المحاضرة الثالثة

في التفسير الموضوعي التجميعي

الدرس الأول

- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم -

1- تمهيد

2- تعريف العقيدة

3- تعريف التوحيد

4- جمع الآيات والنصوص القرآنية في التوحيد

5- مضامين هذه النصوص وتحليلها

6- أقسام التوحيد

7- الأدلة على وحدانية الله: 1- وحدة النظام 2- وحدة الخلق

8- فضائل التوحيد

الخاتمة: سبل ترسيخ وتنمية التوحيد في القلب

تهييد: فإن عقيدة التوحيد هي العقيدة التي بعث الله بها رسله، وأنزل بها كتبه من لدن آدم عليه السلام إلى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد كان كل رسول يدعو قومه إلى التوحيد الخالص بأقرب الطرق وأيسرها على أفهام الناس، بحيث كان القوم كلهم يفهمون ما يريد رسوله منهم بكل وضوح ويسر. حتى جاء آخر الرسل ونبي الإنسانية كافة محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل الله عليه القرآن هدى وشفاء ورحمة للمؤمنين، وداعيا إلى عقيدة التوحيد متبعًا في ذلك منهجًا خاصًا يناسب جميع الناس ومختلف الفئات.

تعريف عقيدة التوحيد:

أولاً: العقيدة في اللغة

كلمة العقيدة في اللغة مأخوذة من العقد، وهو نقيض الحل، وهو يدل على الشدة والثوق، ومنه: عقد الشيء يعقده عقداً وانعقد وتعقد، والمعاقِدُ: هي مواضع العقد، والعقدة: القلادة، والعقد: الخيط ينظم فيه الخرز وجمعه عقود، ويقال: اعتقد الدرّ والخرز وغيره: إذا أخذ منه عقداً، وعقدت الحبل اعقده عقداً وقد انعقد، ومعقد الحبل مثل مجلس، وهو موضع عقده يقال له: عقده، وجمعها عقد، لأنها تمسكه وتوثقه، ومنه قوله تعالى: {وَمَنْ شَرَّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}¹، أي السواحر اللاتي يعقدن الخيوط وينفنن فيها². هذا هو أصل العقد: وهو أنه نقيض الحل، وهو وصل الشيء بغيره كما تعقد الحبل بالحبل، ثم استعمل في جميع أنواع العقود في المعاني والأجسام³، فمن استعملاته في المعاني أن يقال: عقد العهد واليمين يعقدهما عقداً وعقدهما: أي أكدهما، ومنه قوله تعالى: {وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ}⁴، وقرئ بالتشديد ومعناه التوكيد والتغليظ كقوله تعالى: {وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا}⁵، ومنه قول الحطيئة:

قوم إذا عقدوا عقداً لجارهم... شدوا العناج وشدوا فوقه الكرباً⁶

فجعلوا العناج والكرب مثلين لتأكيد الوفاء بالعهد¹.

1- سورة الفلق آية: 4.

2- معجم مقاييس اللغة، ج4، ص: 87.

انظر الآية الأولى من سورة المائدة بتفسير القرطبي 31/6 والبحر المحيط 3/409-3.

4- سورة النساء، آية: 33.

5- سورة النحل، آية: 91.

6- العناج خيط أو سير يشد في أسفل الدلو ثم في عروقها أو في إحدى آذانها، فإذا انقطع الحبل أمسك العناج الدلو أن تقع في البئر، والكرب: حبل يشد على عراقي الدلو ثم يثنى ثم يثلث والجمع أكراب -.

والمعاهدة: المعاهدة، وفي قراءة ابن عباس: {وَالَّذِينَ عَاقَدْتَ أَيْمَانَكُمْ}²، وكقوله تعالى: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَدْتُمُ الْإِيمَانَ}³، ويجوز أن تقرأ بالتخفيف.

ثم أطلق العقد على العهد وجمعه عقود، وهي أوكد العهود، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ} سورة المائدة¹، فإذا قلت: عاقدت فلانا وعقدت عليه، فتأويله: عاهدته وألزمته ذلك باستيثاق.

تعريف العقيدة شرعاً:

"عقيدة": هي ما يدين به الإنسان ربه، وجمعها عقائد، والعقيدة الإسلامية مجموعة الأمور الدينية التي تحب على المسلم أن يصدق بها قلبه، وتطمئن إليها نفسه، وتكون يقيناً عنده لا يمازجه شك ولا يخالطه ريب، فإن كان فيها ريب أو شك كانت ظناً لا عقيدة، ودليل ذلك قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا}⁴، وقوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ}⁵، وقوله تعالى: {إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ}⁶، فالعقيدة إذاً ليست أموراً عملية، إنما هي الأمور الدينية العلمية التي تحب على المسلم اعتقادها في قلبه لإخبار الله تعالى بها في كتابه أو في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يقول صاحب لسان العرب: "والعقيدة في الدين ما يقصد به الاعتقاد دون العمل كعقيدة وجود الله وبعثه الرسل وجمعها عقائد"⁷.

وزاد هذا المعنى كذلك إيضاحاً محمود خطاب فقال: "العقيدة هي مثل عليا يؤمن بها الإنسان فيضحى من أجلها بالأموال والنفس؛ لأنها عنده أغلى من الأموال والنفس"⁸.

تعريف التوحيد:

التَّوْحِيدُ، لُغَةً جَعَلَ الشَّيْءَ وَاحِدًا غَيْرَ مُتَعَدِّدٍ¹. "الْوَحْدُ المنفرد، والواحد أول عدد من الحساب، والوُحْدَان جماعة الواحد، والرجل وَحْدٌ وَالْوَحْدُ: الذي لا يعرف له أصل²، ووحده توحيداً: جعله واحداً³.

1- انظر تفسير الطبري 27/6 -

2- سورة النساء، آية: 33.

3- سورة المائدة، آية: 89.

4- سورة النساء، آية: 33.

5- سورة البقرة، آية: 02.

6- سورة المائدة، آية: 89.

7- بين العقيدة والقيادة، ص 33.

- العين للخليل الفراهيدي، ج 3/ ص: 281، تهذيب اللغة 193/5،

8- القاموس المحيط ص 414.

8- الصحاح 548/2، لسان العرب 446/3 - 447،

وفي الاصطلاح: التوحيد هو إفراد الله بالعبادة، فهو عمل العبد، يفرد الله بطاعته لا يشرك معه غيره ولا يتوجه قصده بما أو بشيء منها إلى غير الله.

-عرفه محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) بقوله: "التوحيد هو إفراد الله بالعبادة" أي أن تعبد الله وحده لا تشرك به شيئاً، لا تشرك به نبياً مرسلًا، ولا ملكاً مقرباً ولا رئيساً ولا ملكاً ولا أحداً من الخلق، بل تفرد به وحده بالعبادة محبة وتعظيماً، ورغبة ورهبة، وهناك تعريف أعم للتوحيد وهو: "إفراد الله سبحانه وتعالى بما يختص به"⁴

-عرفه الإمام الدارمي⁵ بقوله: "وتفسير التوحيد عند الأمة، وصوابه، قول لا إله إلا الله وحده لا شريك له."

-عرفه إمام الشافعية أبو العباس بن سريج بقوله: "توحيد أهل العلم وجماعة المسلمين أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله"⁶.

-عرفه الإمام الطبري في تفسير قول الله (إِلَهًا وَاحِدًا) [البقرة - 133] بقوله: "أي نخلص له العبادة، ونوحد له الربوبية، فلا نشرك به شيئاً، ولا نتخذ دونه رباً"⁷.

-عرفه عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: 1415هـ) بقوله: التوحيد يطلق شرعاً على تفرد الله بالربوبية والإلهية، وكمال الأسماء والصفات⁸.

فالمعبود إنما يعبد لأمرين:

-
- 1- العين 281/3، تهذيب اللغة 193/5.
 - 2- القاموس المحيط ص 414.
 - 3- الصحاح 2/548، لسان العرب 3/446 - 447.
 - 4- كتاب: شرح ثلاثة الأصول، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار الثريا للنشر الطبعة: الطبعة الرابعة 1424هـ - 2004م، الجزء: 1 الصفحة: 39.
 - 5- رد الإمام الدارمي، عثمان بن سعيد على بشر المريسي للإمام الدارمي ص6.
 - 6- إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم 4/191.
 - 7- جامع البيان 1/562.
 - 8- كتاب: مذكرة التوحيد المؤلف: عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: 1415هـ) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1420هـ الجزء: 1 الصفحة: 3.

1- لكونه خالق العابدين ومالكهم ومدبر أمرهم، قال الله: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ﴾، فلا يكون إله إلا وقد خلق خلقا يعبدونه فيستقل بهم.

2- لذاته: ولا يكون ذلك إلا إذا كان كاملا لا نقص في صفاته ولا عيب، قال إبراهيم عليه السلام لأبيه: ﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُعْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، فيبين أن العادم لصفات الكمال ناقص لا يمكن أن يكون معبودا وبين أن العلم بذلك فطري، فإذا توجه العابد بعبادته لواحد أفرد به بقصده وعمله لم يتوجه إلى غيره، فقد اعتقده واحدا منفردا في خلقه وملكه وتدييره، ومنفردا في كماله ذاتا وصفاتا.¹

نصوص عقيدة التوحيد من القرآن:

في الحقيقة هناك أكثر من ثمانين 80 آية تتحدث عن التوحيد في القرآن الكريم، بالإضافة الى النصوص الحديثة، ولأن الموضوع يقتضي منا الاختصار على القرآن فقط فإننا نسوق لكم جملة من الآيات وباقي الآيات في الملحق 1:

قال تعالى: ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ سورة البقرة، آية: 163.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ سورة الأنبياء، آية: 25.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ... الخ السورة﴾. سورة المسد.

قال تعالى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ سورة النساء، آية: 36.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ سورة الرعد آية: 36-37

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَآئِنِّي تُؤْفَكُونَ﴾ سورة فاطر، آية: 3.

وقوله: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ سورة المائدة، آية: 73، والآيات في هذا المعنى كثيرة جدا.

1- المصدر السابق، ج: 87، ص: 102.

– مضامين النصوص:

1: تفرد الله تعالى بالألوهية.

2: التوحيد أساس دعوة الرسل جميعا.

3: افراده تعالى بالعبودية

4: نبد الشرك وإخلاص النية في طاعة الله.

– أقسام التوحيد: التوحيد على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: توحيد الربوبية: هو إفراد الله تعالى بأفعاله كالخلق والملك والتدبير والإحياء والإماتة، ونحو ذلك قال تعالى: ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ سورة العنكبوت، آية: 61.

القسم الثاني: توحيد الألوهية: هو إفراد الله تعالى بجميع أنواع العبادة دون سواه كائنا من كان كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ رَبِّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾ سورة الإسراء، آية: 23.

القسم الثالث: توحيد الأسماء والصفات: هو إفراد الله عز وجل بما له من الأسماء والصفات، فيعتقد العبد أن الله لا مماثل له في أسمائه وصفاته، وهذا التوحيد يقوم على أساسين:

الأول: الإثبات: أي إثبات ما أثبتته الله لنفسه في كتابه أو أثبتته له نبيه صلى الله عليه وسلم من الأسماء الحسنى والصفات العلى على وجه يليق بجلال الله وعظمته من غير تحريف لها أو تأويل لمعناها أو تعطيل لحقائقها، أو تكيف له.

الثاني: التنزيه: وهو تنزيه الله عن كل عيب، ونفي ما نفاه عن نفسه من صفات النقص، والدليل على ذلك قوله تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) فتره نفسه عن مماثلته لخلقه، وأثبت لنفسه صفات الكمال على الوجه اللائق به سبحانه.

• التوحيد أساس دعوة كل الرسل:

تتشرك كل الشرائع السماوية في الدعوة إلى توحيد الله تعالى إذ هو الأصل في دعوة الرسل قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ النحل 36 وكل دعوة الى الشرك او نسبة ما لا ينسب الى الله محض شرك وتحريف لذلك فقد نبه القرآن إلى ما تعرضت له الكتب السماوية من تحريفات أخرجتها عن طبيعة التوحيد قال تعالى: ﴿يخرفون الكلم عن مواضعه وقد نسوا حظا مما ذكروا به﴾ سورة المائدة، آية: 13.

• **الادلة على وحدانية الله:** وحدانية الله تعالى ثابتة بالنقل والعقل:

أولاً: من النقل الآيات القرآنية التي تتحدث عن التوحيد، والنصوص الحديثية المتواترة عن النبي (ص).

ثانياً: من العقل، وفيه أمران:

1- وحدة النظام: فالكون يخضع لنظام واحد دقيق حيث أن جميع الأجرام تتحرك في اتجاه معاكس لعقارب الساعة ويستحيل أن يكون ذلك بمحض الصدفة أو الاتفاق مما يدل على أن المنظم واحد وهو الله تعالى، وفرضية تعدد الآلهة يترتب عنها بالضرورة فساد نظام الكون لاقتضاء التضارب بينها قال تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا﴾.

2- وحدة الخلق: فالتشابه البين بين الإنسان والحيوان والنبات على مستوى التغذية والتنفس والتوالد ليعد دليلاً قاطعاً على أن الخالق واحد لا اله الا هو.

- **فضائل التوحيد:** كثيرة منها:

— أنه يدفع بصاحبه الى الثبات على الاستقامة والإخلاص في القول والعمل.

— أنه السبب الوحيد لرضا الله و ثوابه.

— أنه يحرر العبد من رق المخلوقين و التعلق بهم و خوفهم و رجائهم و العمل لأجلهم.

— أن جميع الأعمال و الأقوال الظاهرة و الباطنة متوقفة في قبولها و في ترتب الثواب عليها على التوحيد.

— أن الله يدفع عن أهل الإيمان والتوحيد شرور الدنيا والآخرة ، و يمن عليهم بالسكينة والطمأنينة.

نذكر في الخاتمة سبل ترسيخ وتنمية التوحيد في القلب، وهو زبدة هذا الموضوع.

– التفكير في ملكوت السموات والأرض.

– فعل الطاعات وترك المعاصي.

– التأمل في نعم الله سبحانه الظاهرة والباطنة.

– دوام الصلة بالله و مجالسة أهل الخير والصلاح.

– مجاهدة النفس وتطهير القلب من الغرور والعجب والكبر والحسد.

المحاضرة الرابعة

الدرس الثاني

الولاء والبراء في القرآن الكريم

✓ مقدمة

✓ تعريف الولاء والبراء.

✓ جمع آيات الولاء والبراء من القرآن الكريم

✓ أهمية عقيدة الولاء والبراء

✓ حكم الولاء والبراء للمؤمنين وغير المؤمنين

✓ أصناف الناس في الولاء والبراء.

✓ خاتمة

1- تعريف الولاء والبراء

في اللغة: الوليُّ في اللغة هو القربُ هذا هو الأصل الذي ترجعُ إليه بقية المعاني المشتقة من هذا الأصل. وأما برئ، فبمعنى: تَنَزَّهَ وتباعدَ فالتباعدُ من الشيء ومزاييلته هو أحدُ أصليّ معنى هذه الكلمة والأصل الثاني هو: الخَلْقُ، ومنه اسمه تعالى «البارئ». «ومن الأصل الأول» وهو التباعدُ من الشيء ومزاييلته: «البرءُ هو السلامة من المرض، والبراءةُ من العيب والمكروه»¹.

والبراءُ: مصدر برئتُ ولأنه مصدر فلا يُجمع ولا يُثنى ولا يؤنث، فتقول: رجلٌ براءٌ، ورجلان براءٌ، ورجالٌ براءٌ، وامرأةٌ براءٌ. أمّا إذا قلتَ: بريءٌ، تجمع، وتثني، وتؤنث، فتقول للجمع: بريؤون وبراءٌ «بكسر الباء»².
في الاصطلاح:

الولاية: هي النصرة والمحبة والإكرام والاحترام والكون مع المحبوبين ظاهراً وباطناً³، والبراء: هو البعد والخلاص والعداوة بعد الإغذار والإنذار⁴.

2- جمع النصوص القرآنية:

هذه باقة من النصوص القرآنية توضح هذا الموضوع:

1/ قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ سورة المجادلة، آية: 22.

2/ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، سورة المائدة، آية: 51.

1- لسان العرب (1/354-356).

2- الصحاح 3/348

3- انظر: شرح الطحاوية (ص 403)، وتيسير العزيز المجيد (ص 480)، وكتاب الإيمان لنعيم ياسين (ص 256)، والولاء والبراء في الإسلام (ص 87-92)، والموالاة والمعاداة (ص 27-31).

4- الدرر السنية في الأجوبة النجدية (7/309)، وانظر: الموالاة والمعاداة (1/28).

3/ وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُؤَا مَا عُنْتُمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ سورة آل عمران، آية: 118.

4/ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾ سورة النساء، آية: 144.

5/ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَافِرَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ سورة المائدة، آية: 57.

6/ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمُودَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ سورة الممتحنة، آية: 1.

7/ قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ سورة التوبة، آية: 23.

3- أهمية عقيدة الولاء والبراء:

أولاً: الولاء والبراء شرط في الإيمان:

قال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٥٧﴾ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٥٨﴾﴾¹.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح هذه الآية: "فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع الشرط انتفاء المشروط، فقال: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾، فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان

1- سورة الانعام، آية:

واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء، ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والني وما أنزل إليه¹.

ثانياً: الولاء والبراء أوثق عرى الإيمان:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: "أي عرى الإيمان أوثق؟" قال: الله ورسوله أعلم، قال: "الموالاتة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله"².

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار"³.

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم، يبايع أصحابه على تحقيق هذا الأصل العظيم، فعن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو يبايع، فقلت: يا رسول الله، ابسط يدك حتى أبايعك، واشترط عليّ فأنت أعلم، قال: "أبايعك على أن تعبد الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين، وتفارق المشركين"⁴.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله يقتضي أن لا يحب إلا الله، ولا يبغض إلا الله، ولا يوالي إلا الله، ولا يعادي إلا الله، وأن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله"⁵.

وقال الشيخ سليمان آل الشيخ: "فهل يتم الدين أو يقام علم الجهاد أو علم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا بالحب في الله والبغض في الله، والمعاداة في الله والموالاتة في الله. ولو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء لم يكن فرقاناً بين الحق والباطل، ولا بين المؤمنين والكفار، ولا بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"⁶.

1- كتاب الإيمان، ابن تيمية، ص: 14.

2- رواه أحمد (286/4)، وابن أبي شيبة في الإيمان (110)، والحاكم في المستدرک (480/2)، والطبراني في المعجم الكبير (215/11)، والبيهقي في شرح السنة (3468)، قال الألباني في السلسلة الصحيحة (998، 1728): "فالحديث بمجموع طرقه يرتقي إلى درجة الحسن على الأقل، والله أعلم."

3- البخاري (16)، ومسلم (43).

4- أخرجه أحمد (365/4). والنسائي في البيعة (4177)، وصححه الألباني في صحيح السنن (3893).

5- الاحتجاج بالقدر (ص 62).

6- أوثق عرى الإيمان (ص 38).

وقال الشيخ عبد الرزاق عفيفي عن الولاية والبراءة: "[إنهما] مظهران من مظاهر إخلاص المحبة لله، ثم لأنبيائه وللمؤمنين، والبراءة: مظهر من مظاهر كراهية الباطل وأهله، وهذا أصل من أصول الإيمان"¹.

4- حكم الولاية والبراءة

أ/ حكم موالاتة المؤمنين بعضهم بعضاً:

قال الله عز وجل: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾².
وقال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾³، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن المؤمنين أولياء الله وبعضهم أولياء بعض، والكفار أعداء الله وأعداء المؤمنين، وقد أوجب الموالاتة بين المؤمنين، وبيّن أن ذلك من لوازم الإيمان، ونهى عن موالاتة الكفار، وبيّن أن ذلك منتفٍ في حقّ المؤمنين"⁴.
وقال الشيخ صالح الفوزان: "يجب على كلّ مسلم يدين بهذه العقيدة أن يوالي أهلها ويعادي أعداءها، فيحب أهل التوحيد والإخلاص ويواليهم، ويبغض أهل الإشراك ويعاديهم، وذلك ملة إبراهيم والذين معه، الذين أمرنا بالافتداء بهم. فالمؤمنون إخوة في الدين والعقيدة وإن تباعدت أنسابهم وأوطانهم وأزمانهم قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁵، فالمؤمنون من أول الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم، ويدعو بعضهم لبعض، ويستغفر بعضهم لبعض"⁶.

ب- موالاتة غير المسلمين:

1- الولاية والبراءة للقحطاني، من مقدمة الشيخ له (ص 5).

2- سورة التوبة، الآية رقم 71.

3- سورة الحجرات، الآيات 9-10.

4- الفتاوى (190/28).

5- سورة الحشر، الآية رقم 10.

6- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص 279-280).

لقد جاء النص الصريح من كتاب الله عز وجل على أن من اتخذ الكفار أولياء من دون المؤمنين أنه: منافق.. لا يؤمن بالله ولا بالنبى وما أنزل إليه.. وأنه من جملة الكفار الذي والاهم ونصرهم.

1- قال تعالى: ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما. الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين. أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾ سورة النساء، آية: 138-139.

2- وقال تعالى: " ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون. ولو كانوا يؤمنون بالله والنبى وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون﴾ سورة المائدة، آية: 80 - 81.

3- وقال تعالى: ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم...﴾ إلى قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتيه بقوم يحبهم ويحبونه...﴾ الآيات من سورة المائدة، 51-57.

4- وقال تعالى: " ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾ سورة آل عمران، آية: 28. إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى، المؤكدة له، تأكيدا يمنع تأويل الجاهلين، وتحريف المبطلين.

فاتخاذ الكفار أولياء من دون المؤمنين، أي مناصرتهم ومظاهرتهم ومعاونتهم على أهل الإسلام كفر صريح، وردة سافرة، وعلى هذا انعقد إجماع أهل العلم. وهذه بعض النصوص لبعض العلماء في ذلك:

أولا: قال ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسير قوله "لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء" والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهي المؤمنين جميعا أن يتخذوا اليهود والنصارى أنصارا وحلفاء على أهل الإيمان بالله ورسوله وأخبر أنه من اتخذهم نصيرا وحليفا ووليا من دون الله ورسوله والمؤمنين فإنه منهم في التحزب على الله وعلى رسوله والمؤمنين وأن الله ورسوله منه بريئان"¹.

وقال: "القول في تأويل قوله تعالى "ومن يتولهم منكم فإنه منهم" يعني تعالى ذكره بقوله "ومن يتولهم منكم فإنه منهم" ومن يتول اليهود والنصارى دون المؤمنين فإنه منهم، يقول: فإن من تولاهم ونصرهم على

1- ابن جرير، ج10، ص: 400.

المؤمنين فهو من أهل دينهم وملتهم؛ فإنه لا يتولى متول أحدا إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض، وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخطه وصار حكمه حكمه"¹.

ثانياً: وقال الطبري رحمه الله في تفسير قوله تعالى: "لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة"، وهذا نهي من الله عز وجل المؤمنين أن يتخذوا الكفار أعواناً وأنصاراً وظهوراً ولذلك كسر "يتخذ" لأنه في موضع جزم بالنهي، ولكنه كسر الذال منه للساكن الذي لقيه وهي ساكنة.

ومعنى ذلك: لا تتخذوا أيها المؤمنون الكفار ظهراً وأنصاراً توالوهم على دينهم وتظاهروهم على المسلمين من دون المؤمنين، وتدلواهم على عوراتهم، فإنه من يفعل ذلك فليس من الله في شيء، يعني بذلك: فقد برئ من الله وبرئ الله منه بارتداده عن دينه ودخوله في الكفر، "إلا أن تتقوا منهم تقاة": إلا أن تكونوا في سلطاتهم فتخافوهم على أنفسكم فتظهروا لهم الولاية بألسنتكم وتضمروا لهم العداوة ولا تشايعوهم على ما هم عليه من الكفر ولا تعينوهم على مسلم بفعل.

ثالثاً: وقال ابن حزم رحمه الله: ﴿صح أن قوله تعالى "وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ" إنما هو على ظاهره بأنه كافر من جملة الكفار، وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين"².

رابعاً: وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومثله قوله تعالى ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ، وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ فذكر جملة شرطية تقتضي أنه إذا وجد الشرط وجد المشروط بحرف (لو) التي تقتضي مع [انتفاء] الشرط انتفاء المشروط، فقال "وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ" فدل على أن الإيمان المذكور ينفي اتخاذهم أولياء ويضاده، ولا يجتمع الإيمان واتخاذهم أولياء في القلب، ودل ذلك على أن من اتخذهم أولياء ما فعل الإيمان الواجب من الإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه.

ومثله قوله تعالى ﴿لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ فإنه أحرر في تلك الآيات أن متوليهم لا يكون مؤمناً، وأحرر هنا أن متوليهم هو منهم، فالقرآن يصدق بعضه بعضاً"¹.

1- المصدر نفسه، ج 10، ص: 396.

2- في المحلى (11/ 138)

5- أصناف الناس في الولاء والبراء:

الصنف الأول: من يُحِبُّ حُبَّةً خالصة لا معاداة معها: وهم المؤمنون الخالص من الأنبياء والصدّيقين والشهداء والصالحين، وفي مقدّمتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنّه تجب محبته أعظم من محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ثم زوجاته أمهات المؤمنين، وأهل بيته الطيبين وصحابته الكرام... ثم التابعون والقرون المفضلة وسلف هذه الأمة وأئمتها... قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾²، ولا يبغض الصحابة وسلف هذه الأمة من في قلبه إيمان، وإنما يبغضهم أهل الزيغ والنفاق وأعداء الإسلام كالرافضة والخوارج، نسأل الله العافية.

الصنف الثاني: من يبغض ويبغضه ومعاداة خالصين لا محبة ولا موالاة معهما: وهم الكفار الخالص من الكفار والمشركين والمنافقين المرتدين والملحدون على اختلاف أجناسهم كما قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾³، وقال تعالى: عاباً على بني إسرائيل: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ﴾⁴ ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون. ⁵

1- في مجموع الفتاوى (7/17، 18).

2- سورة الحشر، الآية رقم 10.

3- سورة المجادلة، الآية رقم 22.

4- سورة المائدة، الآيات 80-81.

5- هناك صنف ثالث: "من يُحِبُّ من وجهٍ ويبغض من وجه" مثل موقف المؤمن من: الذين يكفرون بالكبيرة.

المحاضرة الخامسة

الدرس الثالث

الوسطية في القرآن الكريم

- تعريف الوسطية.
- جمع آيات الوسطية والاعتدال، وتصنيفها.
- الآيات الواردة في التوسط والاعتدال في أمور العقيدة
- الآيات الواردة في التوسط والاعتدال في العلاقات الاجتماعية.
- الآيات الواردة في التوسط والاعتدال في المعاملات المالية
- معايير الوسطية في العبادة والعقيدة.
- وقفات مع معاني الوسطية والاعتدال في القرآن الكريم.
- ملامح الوسطية في الاسلام
- الخاتمة

مقدمة: لقد تميز الإسلام منذ فجر دعوته بالتوسط والاعتدال والسماحة واليسر ودفع الحرج والمشقة في جميع الشرائع والأحكام الإلهية والأنظمة الخالدة والصالحة لكل زمان ومكان إلى يوم القيامة، سواء في العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات والعلاقات الاجتماعية والإنسانية، فهو دين الخنيفية السمحة.

أولاً: تعريف الوسطية:

أ- **معنى الوسطية لغة:** الوسطية مأخوذة من مادة وسط، وهي كلمة تدل على العدل والفضل والخيرية والنصف والتوسط بين الطرفين.

يقول ابن فارس: " الواو والسين والطاء بناء صحيح يدل على العدل والنصف، وأعدل الشيء: أوسطه ووسطه"¹، ويقول ابن منظور: " وسط الشيء وأوسطه: أعدله"²..

الوسط لغة: مكان النصف بين الطرفين، ووسط القوم: توسطهم أي صار بينهم في الوسط، والوسط: المعتدل يقال شيء وسط أي بين الجيد والرديء.³

وقال الجوهري التوسيط: قطع الشيء نصفين، والتوسط بين الناس من الوساطة.. وواسطة القلادة: الجواهر الذي في وسطها وهو أجودها. ويقال: جلست وسط القوم بالتسكين لأنه ظرف، وجلست في وسط الدار بالتحريك لأنه اسم، وكل موضع صلح فيه (بين) فهو وسط بالتسكين، وإن لم يصلح فيه (بين) فهو وسط بالتحريك.⁴

ب- معنى الوسطية في شرعا:

جاءت الوسطية في الشرع بمعنى العدالة والخيرية، والتوسط بين الإفراط والتفريط، كما في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا"⁵.

يقول ابن جرير الطبري: " الوسط هو الجزء الذي بين الطرفين، مثل وسط الدار، وقد وصف الله هذه الأمة بالوسط ؛ لتوسطها في الدين"¹.

1- ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ج6، ص: 108.

2- لسان العرب، ابن منظور ج7، ص: 430.

3- قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، ص412، محمد اسماعيل إبراهيم.

4- معجم الصحاح، ص1216، اسماعيل بن حماد الجوهري.

5- مجلة البحوث العلمية، الجزء رقم: 76، الصفحة رقم: 175).

وجاء في الحديث عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس ؛ فإنه أوسط الجنة أو أعلى الجنة " 2

يقول الحافظ ابن حجر : قوله : أوسط الجنة أو أعلى الجنة، المراد بأوسط هنا : الأعدل والأفضل، كقوله تعالى : وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا " سورة البقرة، آية:

فالوسطية في الشرع تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين بين إفراط وتفريط أو غلو وتقصير، وهذه الوسطية إذن هي العدل والطريق الأوسط الذي تجتمع عنده الفضيلة، وكلمة (وسط) تستعمل في معان عدة أهمها :

-بمعنى الخيار والأفضل والعدل.

-قد ترد لما بين شيئين فاضلين.

-وتستعمل لما كان بين شيئين وهو خير.

-وتستعمل لما كان بين الجيد والردىء، والخير والشر.

ثانيا: جمع الآيات التي تتحدث عن الاعتدال والتوسط :

قال سبحانه وتعالى: (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) (البقرة: 143).

وقال سبحانه وتعالى: (ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة

لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين) (البقرة: 682).

وقال سبحانه: (وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا) (القصص: 77).

فالآية الأولى: وصف لحال الأمة المحمدية في كونها تحمل شعار التوسط، والإنصاف، والاعتدال، والتحاكم

إليها .

وفي الآية الثانية: تعليم من الله للمؤمنين في أن يدعوهم بأن يخفف عنهم ما كانت عليه التكليف الشرعية في

الأمم السابقة من الشدة، وكذا في نوع وشكل العقوبة .

وفي الآية الثالثة: أمر من الله سبحانه وتعالى في أن يقصد الإنسان من كل تصرفاته، القولية والعملية: مرضاة

الله، وأن يحسب حساب الآخرة، من دون أن ينسى حياته في الدنيا .

1- ابن جرير الطبري، ج2، ص: 7.

2- البخاري، كتاب الجهاد، ج6، ص: 11.

1/ الآيات التي ذكرت التوسط في أمر العقيدة:

قال تعالى: (ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً) (النساء: 27).
وقال تعالى: (يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكياً) (النساء: 171/4).
وقال: (لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة، وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار) (غافر: 43).

فالآية الأولى: تتحدث عن أهل الضلال والكفر الذين يتمنون ويرغبون، ويخططون ويحاولون، لينحرف المؤمنون عن خط الحقيقة والإيمان، ويتبعوا أهل الزيغ، وأصحاب الإفراط أو التفريط.
والآية الثانية: تنهى عن المغالاة في الدين عموماً، والتعصب المقيت في الرأي، والتزمت المشين في الفكر.
والآية الثالثة: تتحدث عن الصراع الفكري والجدل العقائدي حيث كان جواب المؤمنين بأن المسرفين في معتقدتهم والمغالين في دينهم ليسوا على الطريق المستقيم.

2/ الآيات التي ذكرت التوسط في المعاملات الاجتماعية

قال تعالى: (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفاً) (النساء: 28).
وقال تعالى: (يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون) (المائدة: 8).
وقال تعالى: (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الأعراف: 31).
وقال تعالى: (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) (الأعراف: 23).
وقال تعالى: (ولا تطيعوا أمر المسرفين) (الشعراء: 151).
وقال تعالى: (ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور) (لقمان: 18).

وقال تعالى: (واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير) (لقمان: 19).
سياق الآيات التي وردت فيها الآية الأولى: يشير إلى موضوع اختيار المرأة زوجة صالحة مؤمنة.
والآية الثانية: تطلب عدم المغالاة في التعامل مع الآخرين، وعدم ظلمهم وإن كانوا على غير دين الإسلام.

وفي الشؤون الحياتية اليومية من طعام وشراب: ينبغي التوسط والاعتدال، وهو ما أشارت إليه الآية الثالثة •
واستعمال الزينة وأكل الطيبات من الأمور المستحبة والمباحة للمؤمنين وتركها يعد من المغالاة، كما جاء في
الآية الرابعة •

وفي وصف لبعض الكفار (قوم ثمود) في زمن نبي الله صالح، كان الشغل لديهم: التباهي بالعمارات، والتعاضم
بالأموال، والتفاخر بالبنيان، فقال لهم نبي الله صالح عليه السلام: (ولا تطيعوا أمر المسرفين) •
وفي وصية لقمان لابنه أن يتعامل مع الناس باعتدال من دون تكبر ولا احتقار •

3/ الآيات التي ذكرت التوسط في المعاملات المالية

قال تعالى: (وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين
وكان الشيطان لربه كفوراً) (الإسراء: 26 — 27).

وقال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً) (الإسراء: 29) •

وقال تعالى: (والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً) (الفرقان: 67).

وقال تعالى: (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) (الحشر: 9) •

في الآيتان الأولى والثانية نهي عن التبذير في الإنفاق، وهو الصرف في المحرمات •

وفي الآية الثالثة: تشبيهه لحال الإنسان المقتّر والمسرف بمن ربط يده إلى عنقه كي لا يستفيد من عملها أو
بسطها ومدّها كلها من دون حساب أو مراجعة •

وفي وصف عباد الرحمن إنهم معتدلون في تصرفاتهم وفي إنفاقهم كما في الآية الرابعة، وأخيراً يبين الله عز
وجل أن من صفات المفلحين أنهم تخلصوا من مرض البخل والشح، البخل على الآخرين، والشح على النفس
لعدم الإنفاق عليها.

ثالثاً: معايير الوسطية في العبادة والعقيدة:

للووسطية في العبادة والعقيدة معايير أو موازين كثيرة¹ أهمها ما يأتي:

ملازمة السماحة والاعتدال في التكليف، بحيث لا يشق التكليف على النفوس فيفسد تصرفاتها، ولا يؤدي
إلى الملل والسأم من أداء الواجب وهذا واضح في ميزان الإسلام، فلا نجد عبادة يصعب بحسب المعتاد أدائها
أو إرهاق النفس بها، أو تعطيلها.

1- وهبة الزحيلي، الوسطية مطلباً حضارياً، ص: 10.

ثم لابد من ترك المغالاة في الدين أو التشدد والتعمق فيه، لأن الغلو في كل شيء يترتب عليه في النهاية السامة والضجر، ثم إهمال الواجب، أو التكاسل في أدائه والانصراف عنه عاجلاً أو آجلاً، لأن المشقة الزائدة عن القدرة المعتادة توقع المكلفين في الحرج والمشقة، وتبعدهم عن الرضا بها، والتنفير منها، أما إن كانت العبادة يسيرة سهلة، بادر الناس أو أغلبهم إلى امتثالها والاستمتاع بآثارها الطيبة وفوائدها الجمّة.

والوسطية تتطلب انسجام العقول مع التكاليف، فكل ما يتعارض مع الحكمة والعقل، يكون محدثاً هزة أو فتوراً أو بعداً عن العمل، وهذا ينطبق على كل من العبادة والعقيدة.

أما العقيدة أو الإيمان الصحيح فأساس رسوخها في النفس هو الاقتناع العقلي والفكري بها، وعقيدة المسلمين تنسجم مع مختلف القدرات العقلية، البسيطة منها أو المتوسطة أو المتفوقة أي النبوغ، لأنها تعتمد على البساطة والوضوح والبرهان الحسي الملموس، وكذلك أصحاب العقول الكبيرة يزدادون قناعة وإدراكاً لها، بل وتعمقاً في آفاقها.

وكذلك لابد في العقيدة والعبادة من توافر الرضا بها والاطمئنان لمعطيائها وإدراك آثارها وفضائلها، وليس أدل على هذا الإدراك لوسطية الإسلام في هذا المجال العقدي والتعبيري من مبادرة الإنسان للانضواء تحتها، في أحوال الشدة والمرض والسفر والكوارث ونحوها.

فلا يجد الإنسان ملاذاً في وقت الشدة إلا بالعبادة التي تملأ نفسه رضاءً وطمأنينة وحباً وسكينة، لذا كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، وكان يقول: "وجعلت قرّة عيني الصلاة"¹.

وكذلك في وقت التعرض للمخاطر يهرع جميع الناس إلى دعاء الله ليكشف عنهم الكرب والهم وينقذهم من الموت والوقوع في الضرر والبأس، وهذا ما حكاه القرآن الكريم في قوله تعالى: "وإذا غشيهم موج كالأظلم دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور" [لقمان: 32].

والعقيدة الإسلامية وسط بين الثنوية (القائلة بالهين اثنين) والمشركين (الوثنيين الذين يعبدون مع الله إلهاً آخر) والكفار الذين يجحدون وجود الإله، والذين يعبدون أو يؤفنون بعض البشر والنجوم والكواكب ويعظمون الشيطان، أو يقولون بتجسيد الإله أو حلوله في إنسان، هذه العقيدة بين هؤلاء وبين الدعوة بكل بساطة وقبول عقلي لها بأن الإله واحد لا شريك له وأنه خالق الكون من السماء والأرض وما بينهما، ولا خالق

1 أخرجه أحمد والنسائي والحاكم والبيهقي عن أنس بن مالك، وهو حديث حسن.

سواه، لذا بادر أهل الحكمة والفكر والعلم والاعتدال إلى الاعتقاد بما جاء في قوله تعالى: "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم" [آل عمران: 18].

وتضافرت الآيات القرآنية على التنديد بالشرك والمشركين مثل قوله تعالى: "أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون" [الأعراف: 191]، "عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون" [المؤمنون: 92].

وأكدت السنة النبوية الإقرار بالوحدانية ووجوب الشهادة بتوحيد الله والإيمان برسوله خاتم الأنبياء في أحاديث كثيرة منها "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله...¹" ومنها "من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته² ألقاها إلى مريم وروح منه³، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل...⁴".

رابعا: وقفات مع معاني الآيات في الوسطية والاعتدال:

الأمة الوسط هي أمة الحق :

فهي أمة تدور مع الحق حيث دار، وهي أمة قائمة على الحق لا يضرها من خالفها حتى يأتي أمر الله، تبلغه ولا تكتمه ولا تحشى في ذلك لومة لائم، وذلك ما نجده في قوله تعالى: {الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (البقرة: 147) وهو الحق الذي أنزل على الذين أتوا الكتاب من قبل وكانوا يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، وأمة الوسطية وجب أن تبقى في سعي دائم نحو الحق تتحراه وتنتقل فيه من الفاضل إلى الأفضل.

ولقد كان تغيير القبلة ابتلاء للأمة الإسلامية ليعلم الله تعالى هل ستثبت على الحق بالثبات على متابعة الرسول أم أنها ستتقلب على عقبيها بما يلقيه السفهاء من الناس عليها من الشبهات وهل ستبلغ رسالة الحق أم ستكتمه خضوعا لتلك الشبهات، وانهما أمامها، وذلك قوله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} (22).

الأمة الوسط هي أمة المرجعية :

1 أخرجه أحمد والشيخان والترمذي والنسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

2 أي خلق وأوجد بكلمة التكوين الإلهي، وهي ((كن)).

3 أي نفخ الله الروح كنفخ الروح في آدم عليه السلام.

4 أخرجه الشيخان والترمذي عن عبادة الصامت رضي الله عنه.

والأمة الوسط ليست أمة متروكة لحالها، كما أنها لا تصدر من فراغ بل إنها مشمولة بعناية الوحي ومعصومة بهدايته وذلك قوله تعالى:

{وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَيَّ وَعَقِيْبِهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيْرَةً إِلَّا عَلَيَّ الَّذِيْنَ هَدَى اللّهُ} (23). وقوله تعالى: {وَلَكِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِيْنَ} (24).

الأمة الوسط هي أمة السعي والحركة :

والأمة الوسط هي أمة عمل وحركة وانتشار في الأرض وضرب في مناكبها ابتغاء رزق الله وفضله، لكن ذلك السعي لا يمنعها أن تبقى مشدودة إلى ذكر الله وعبادته { وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره }، وانتشارها في الآفاق لا يمنعها أن تبقى مشدودة إلى القبلة التي هي وجهة المسلم في أعظم أعمال حياته ألا وهي الصلاة التي إن صلحت صلح سائر أعماله وإن فسدت فسدت سائر أعماله، فالتوجه إلى القبلة حيث كان الإنسان معناه أن يتوجه الإنسان إلى الله ويقصده في سائر الأعمال التعبدية والعادية .

الأمة الوسط هي أمة العدل :

فهي الأمة التي تضع الأمور في نصابها وتحقق التوازن في حياتها إذ الوسط كما ورد هو العدل. وهذا الدين لم يأت إلا ليقوم الناس بالعدل والقسط. قال تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ} (25) ومهمة المجتمع الإسلامي هي القيام على القسط وإقامة العدل لقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَاقِرًا فَإِنَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوُّوا أَوْ نَعِرْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} (26).

الوسطية توازن واستقامة:

والوسطية بهذا المعنى، الذي يفيد التوازن والتزام قاعدة، (لا إفراط ولا تفريط) لا تعني الهروب من الموقف الصعب إلى الموقف السهل، ولا العكس، وليست هي انعدام الموقف الواضح المحدد من المشكلات بل هي تعبير عن خاصية التوازن في جميع الأمور والمواقع: توازن بين الروح والجسد، وبين الدنيا والآخرة، وبين الدين والدولة، وبين الذات والموضوع وبين الفرد والمجموع وبين الفكر والواقع وبين المادية والمثالية وبين المقاصد والوسائل، وبين الثابت والمتغير والقديم والجديد، وبين العقل والنقل وبين الحق والقوة وبين الاجتهاد والتقليد وبين الدين والعلم إلى آخر هذه الثنائيات. ولذلك فإن من الواضح أن الوسطية - بما هي خاصية

للإسلام عقيدة وشريعة ونظاما - ليست وصفة جاهزة أو خاصية مكتسبة بإطلاق للأمة أو لهذه الجماعة أو تلك، بل هي موضوع اجتهاد وجهاد متواصلين للعمل باستمرار وفق القاعدة الذهبية: «لا إفراط ولا تفريط»، وهو السر في جعلها مطلبا ودعاء نردده في سورة الفاتحة كلما صلينا عندما نقول: {أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} (27).

-الوسطية إذن منهج في فهم الدين والعمل به يقوم على نبذ الغلو في الدين والتزويد فيه بالتشديد على النفس أو التشديد على الآخرين، كما يقوم على نبذ التفريط والتضييع لعقيدة التوحيد وأحكام الشريعة وآداب الإسلام وأخلاقه وأنظمتها. فذلك كله مفض بصاحبه إلى الخسران والندامة غدا يوم لقاء الله كما ورد في قوله تعالى: {قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَى مَا فَرَطْنَا فِيهَا} (28) وفي قوله تعالى: {أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي حَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ} (29). يقول الإمام الطبري في نفس المعنى «وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلو بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها» (30).

الأمة الوسط هي أمة الشهادة:

والوسطية هي خاصية العدل التي تؤهل الأمة لأداء الشهادة حين تسأل هل بلغ أنبياء سابقون وأقاموا الحجة على أقوامهم حيث ستشهد هذه الأمة بما عرفته من قرآنها وبما بلغه رسولها صلى الله عليه وسلم أنهم قد بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة، وهي الخاصية التي تؤهلها كي يشهد رسولها صلى الله عليه وسلم لها إذا سارت على نهجه وطريقه أو عليها إذا حادت عن ذلك النهج والطريق.

الوسطية تحتاج إلى جهاد متواصل

الوسطية إذن هي خاصية الأمة الإسلامية كما أخرجها الله وكما أرادها أن تكون، وهي مقصد وهدف وجب على هذه الأمة أن تتحقق به من خلال جهاد واجتهاد دائمين، جهاد علمي وفكري، وتربوي وثقافي وجهاد عملي على مستوى آخر، مما يقتضي أن يقوم في الأمة باستمرار مجددون عدول، ينفون عن الإسلام غلو الغالين وتأويل الجاهلين وانتحال المبطلين.

فالأمة الإسلامية أمة وسط باعتدالها واستقامتها على الأخلاق والقيم التي بثها فيها الإسلام لتبتعد بها في كل شيء، وفي كل شأن من شؤون حياتها عن الإفراط والتفريط وما يتبع ذلك من غلو أو تقصير. وهي لا تكون

وسطا حتى تحمل هذه القيم وتحافظ عليها وتعمل بها وتسعى إلى تحقيقها لتستحق بذلك أن توصف بأنها خير أمة أخرجت للناس (31).

خامسا: ملامح الوسطية:

وللوسطية ملامح وسمات تحفّ بها، وتُميّزها عن غيرها، بمجموع تلك الملامح لا بأحاديها. وقد توصلت إلى تحديد أهمّ تلك السمات واللامح، باستقراء القرآن الكريم، وما ورد في وسطية هذه الأمة بين الأمم، وكذلك ما كتبه بعض الذين بحثوا في الوسطية. إنَّ تحديد هذه الملامح مهمة أساسية في مثل هذا البحث، حتى لا تكون الوسطية مجالا لأصحاب الأهواء وأرباب الشهوات.

ذلك أن الوسطية مرتبة عزيزة المنال، غالية الثمن، كيف لا وهي سمة هذه الأمة، ومحور تميّزها بين الأمم؟! جعلها الله خاصية من خصائصها، تکرّمًا منه وفضلا (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (الحديد: من الآية 21).

إنَّ أهمّ سمات الوسطية ما يلي:
(أ) الخيرية.

(ب) الاستقامة.

(ج) اليسر ورفع الحرج.

(د) البينية.

(هـ) العدل والحكمة.

الخاتمة:

ونستنتج من خلال الدراسة السابقة معان عامة أهمها:

- الأمة الوسط هي أمة الحق.

- الأمة الوسط هي أمة المرجعية.

- الأمة الوسط هي أمة السعي والحركة.

- الأمة الوسط هي أمة العدل.

- الوسطية توازن واستقامة.
- الأمة الوسط هي أمة الشهادة.

المحاضرة السادسة

الدرس الرابع

الصلاة في القرآن الكريم

❖ تعريف الصلاة

❖ مدلولات لفظ الصلاة في القرآن الكريم

❖ حكم الصلاة

❖ خصائص الصلاة، وأهميتها

❖ فضل الصلاة

❖ الخاتمة

آيات الصلاة في القرآن الكريم

قال تعالى ﴿: الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ - سورة البقرة.﴾

قال تعالى ﴿: وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّكَّعِينَ - سورة البقرة.﴾

قال تعالى ﴿: وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ - سورة البقرة.﴾

قال تعالى ﴿وإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا

لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْكُمْ وَأَنتُمْ مُّعْرِضُونَ - سورة البقرة.﴾

قال تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ

بَصِيرٌ - سورة البقرة.﴾

قال تعالى ﴿: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ - سورة البقرة.﴾

قال تعالى ﴿: لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ

وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَأَبْنَى السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ

الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا

وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ - سورة البقرة.﴾

قال تعالى ﴿: حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ - سورة البقرة.﴾


قال تعالى ﴿: إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ - سورة البقرة.﴾

قال تعالى ﴿: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ

تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا

طَيِّبًا فَامْسَحُوا بَوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوفًا غَفُورًا - سورة النساء.﴾

قال تعالى أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا -  سورة النساء.

وهناك آيات كثيرة أخرى جعلتها في الملحق 2

1- تعريف الصلاة:

❖ الصلاة لغة:

الصلاة لغة: الدعاء، قاله الله تعالى: { وَصَلَّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ }¹ أي ادعُ لهم، وقال النبي - صلى الله عليه وسلم -: ((إذا دُعي أحدكم فليجب، فإن كان صائماً فليصل، وإن كان مفطراً فليطعم)². (أي فليدعُ بالبركة والخير والمغفرة³، والصلاة من الله حسن الشاء، ومن الملائكة الدعاء، قال الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا }⁴. قال أبو العالية: ((صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء))⁵، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ((يصلون: يبركون))⁶، وقيل: إن صلاة الله الرحمة، وصلاة الملائكة الاستغفار، والصواب القول الأول⁷. فالصلاة من الله: الشاء، ومن المخلوقين: الملائكة، والإنس، والجن: القيام، والركوع، والسجود، والدعاء، والاستغفار، والتسبيح. والصلاة من الطير والبهائم: التسبيح⁸.

❖ الصلاة في الشرع:

1- سورة التوبة، الآية: 103.

2- مسلم، برقم 1431، وتقدم تخريجه في أول الصلاة

3- انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، باب الصاد مع اللام، 3/ 50، ولسان العرب لابن منظور، باب اللام، فصل الصاد، 14/ 464، والتعريفات للجرجاني، ص 174.

4- سورة الأحزاب، الآية: 56

5- البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، باب قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ } قبل الحديث رقم 4797.

6- البخاري معلقاً مجزوماً به، كتاب التفسير، تفسير سورة الأحزاب، باب قوله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ }، قبل الحديث رقم 4797.

7- انظر: تفسير ابن كثير، ص 76

8- انظر: لسان العرب لابن منظور، باب الياء، فصل الصاد، 14/ 465

عبادة لله ذات أقوال، وأفعال معلومة مخصوصة، مفتتحة بالتكبير، محتتمة بالتسليم، وسُميت صلاة؛ لاشتمالها على الدعاء¹؛ فإنها كانت اسماً لكل دعاء، فصارت اسماً لدعاء مخصوص، أو كانت اسماً لدعاء فنقلت إلى الصلاة الشرعية؛ لما بينها وبين الدعاء من المناسبة، والأمر في ذلك متقارب، فإذا أطلق اسم الصلاة في الشرع لم يفهم منه إلا الصلاة المشروعة².
وقد اشتملت على الدعاء بنوعيه:

- **دعاء المسألة:** وهو طلب ما ينفع الداعي من جلب نفع، أو دفع ضرر، أو كشفه، وسؤال الحاجات من الله بلسان الحال.
- **ودعاء العبادة:** وهو طلب الثواب بالأعمال الصالحة: من القيام، والركوع، والسجود، فمن فعل هذه العبادات فقد دعا ربه وطلبه بلسان الحال أن يغفر له، فاتضح بذلك أن الصلاة كلها: دعاء مسألة، ودعاء عبادة؛ لاشتمالها على ذلك كله³.
هي عبادة ذات أقوال وأفعال مخصوصة مفتتحة بالتكبير ومحتتمة بالتسليم.

2-مدلولة لفظة الصلاة في القرآن:

الصلاة من العبادات التي أقرتها جميع الشرائع السماوية، وإن اختلفت صور أدائها من شريعة إلى أخرى. قال القرطبي نقلاً عن القشيري: "إن الله تعالى لم يُخلِ زماناً من شرع، ولم يخلُ شرع من صلاة". وفي السطور التالية نحاول أن نتبين دلالة لفظ (الصلاة) لغة، والمعاني التي ورد عليها في القرآن الكريم .
يدل لفظ (الصلاة) لغة على معنيين:

- **أحدهما:** النار وما أشبهها من الحمى؛ تقول: صَلَّيتُ العود بالنار. واصطليْتُ بالنَّار. و(الصلى): صَلَّي النَّار. و(الصلاء): ما يُصطلى به، وما يُذكى به النار ويوقد.
- **ثانيهما:** جنس من العبادة، وهي الدعاء؛ قال الأعشى:
تقول بِنْتِي وقد قَرَّبْتُ مُرْتَحِلاً: يا رب جَنَّبْ أَبِي الأوصاب والوجعا
عليك مثلُ الذي صَلَّيتِ فاغتمضي نوماً فإن جنب المرء مضطجعا

1- انظر: المغني لابن قدامة، 5/3، والشرح الكبير، 5/3،

2- انظر: المغني لابن قدامة، 5/3، والشرح الكبير، 5/3،

3- انظر: فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، للعلامة محمد بن حسين آل الشيخ، ص180، والقول المفيد على كتاب التوحيد، للعلامة محمد بن صالح بن عثيمين، 117، وانظر: شروط الدعاء وموانع الإجابة، للمؤلف، ص10.

وقد قال قوم: إن الصلاة الشرعية إنما سميت صلاة لما فيها من الدعاء، وقال آخرون: سميت صلاة لما فيها من الركوع والسجود الذي يكون برفع الصلاة.

ولفظ (الصلاة) ورد في القرآن الكريم في نحو مائة موضع؛ فجاء اسماً في نحو خمسة وثمانين موضعاً، كقوله سبحانه: {الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة} (البقرة:3)، وجاء فعلاً في نحو خمسة عشر موضعاً، كقوله تعالى: {فلا صدق ولا صلى} (القيامة:31).

ولفظ (الصلاة) ورد في القرآن الكريم على عدة معان، منها:

• **الصلاة بمعنى (الصلاة المفروضة)**، ومنه قوله تعالى: {وأقيموا الصلاة} (البقرة:43)، أي: الصلوات المفروضة. وأغلب ما ورد لفظ (الصلاة) في القرآن الكريم على هذا المعنى، مقروناً بلفظ (الزكاة).

• **الصلاة بمعنى (الثناء على العبد)**، ومنه قوله تعالى: {هو الذي يصلي عليكم} (الأحزاب:43)، وقوله أيضاً: {إن الله وملائكته يصلون على النبي} (الأحزاب:56)، فالصلاة من الله ثناؤه على العبد عند الملائكة، حكاه البخاري عن أبي العالية. وتفسير الآية بحسب هذا المعنى هو ما ذهب إليه ابن كثير. وقال كثير من المفسرين: الصلاة من الله: الرحمة. ورد بقوله تعالى: {أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة} (البقرة:157)، قال ابن كثير: "وقد يقال: لا منافاة بين القولين".

• **الصلاة بمعنى (الدعاء والاستغفار)**، ومنه قوله تعالى: {ووصل عليهم إن صلاتك سكن لهم} (التوبة:103). أي: ادع لهم واستغفر لهم، كما روي عن عبد الله بن أبي أوفى قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى بصدقة قوم صلّى عليهم، فأتاه أبي بصدقته فقال: (اللهم صلّ على آل أبي أوفى)، رواه مسلم. وعلى هذا المعنى قوله سبحانه: {الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم} (غافر:7)، وقوله: {هو الذي يصلي عليكم وملائكته}. قال القرطبي: "وصلاة الملائكة: دعاؤهم للمؤمنين، واستغفارهم لهم".

• **الصلاة بمعنى (قراءة القرآن)**، ومنه قوله تعالى: {ولا تجهر بصلاتك} (الإسراء:110)، أي: بقراءتك، على ما رجحه الطبري، وذهب إليه ابن كثير. ولم يرد لفظ (الصلاة) بمعنى (قراءة القرآن) في غير هذا الموضع، إلا ما روي عن الأعمش في قوله تعالى: {قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك} (هود:87)، قال: قراءتك. ووردت (قراءة القرآن) بمعنى (الصلاة) في قوله سبحانه: {فاقرؤوا ما تيسر من القرآن} (المزمل:20)، قال ابن كثير: "عبر عن الصلاة بالقراءة". والمعنى: صلوا بالليل ما تيسر لكم.

● **الصلاة بمعنى (صلاة الخوف)**، وذلك قوله سبحانه: {وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة} (النساء:102)، فالمقصود بالصلاة هنا صلاة الخوف أثناء الالتحام في المعركة. ولم يرد لفظ (الصلاة) على هذا المعنى في غير هذا الموضع من القرآن .

● **الصلاة بمعنى (صلاة الجنازة)**، ومنه قوله تعالى: {ولا تصل على أحد منهم مات أبدا} (التوبة:84)، فالمقصود بـ (الصلاة) هنا صلاة الجنازة، حيث مُنع النبي صلى الله عليه وسلم من الصلاة على المنافقين. ولم يرد لفظ (الصلاة) على هذا المعنى في غير هذا الموضع من القرآن.

● **الصلاة بمعنى (صلاة الجمعة)**، ومنه قوله تعالى: {إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله} (الجمعة:9). قال القرطبي: "قال بعض العلماء: كون (الصلاة) الجمعة ها هنا معلوم بالإجماع، لا من نفس اللفظ. قال ابن العربي: وعندني أنه معلوم من نفس اللفظ بنكتة، وهي قوله: {من يوم الجمعة}، وذلك يفيد؛ لأن النداء الذي يختص بذلك اليوم هو نداء تلك الصلاة. فأما غيرها فهو عام في سائر الأيام. ولو لم يكن المراد به نداء الجمعة لما كان لتخصيصه بها وإضافته إليها معنى ولا فائدة". ولم ترد الصلاة على هذا المعنى في غير هذه الآية .

● **الصلاة بمعنى (صلاة الجماعة)**، ومنه قوله سبحانه: {وإذا ناديتم إلى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا} (المائدة:85)، روى البيهقي في "الدلائل" عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: كان منادي رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نادى بالصلاة، فقام المسلمون إلى الصلاة، قالت اليهود والنصارى: قد قاموا لا قاموا، فإذا رأوهم ركعوا وسجدوا، استهزءوا بهم، وضحكوا منهم. وعلى هذا المعنى يمكن أن يُحمَل قوله تعالى: {شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتكم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسوهما من بعد الصلاة} (المائدة:106)، قال ابن كثير: المقصود: أن يقام هذان الشاهدان بعد صلاة اجتمع الناس فيها بحضرتهم .

● **الصلاة بمعنى (مكان العبادة)**، ومنه قوله تعالى: {ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا} (الحج:40)، قال ابن عباس رضي الله عنهما: الصلوات: الكنائس. وكذا قال عكرمة، والضحاك، وقتادة: إنها كنائس اليهود. وعن مجاهد: الصلوات: مساجد لأهل الكتاب، ولأهل الإسلام بالطرق. وأما المساجد فهي للمسلمين .

أخيراً، فإن لفظ (الصلاة) في القرآن ورد إما بشارة للمؤمنين لقيامهم بها، كقوله تعالى: {وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين} (يونس87)؛ وإما نذارة للكافرين للإعراض عنها، كقوله تعالى: {فخلف من بعدهم خلف

أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا { (مریم:59). وكل موضع مدح الله تعالى بفعل الصلاة، أو حث عليها، ذكر بلفظ (الإقامة)، كقوله تعالى: {والمقيمین الصلاة} (النساء:162)، وقوله سبحانه: {وأقاموا الصلاة} (البقرة:277)، وقوله عز وجل: {وأقيموا الصلاة} (البقرة:43)، ولم يخرج عن هذا العموم إلا قوله تعالى: {وإذا مسه الخیر منوعاً* إلا المصلین} (المعارج:21-22)، وما عدا ما تقدم فلم يأت لفظ (المصلین) إلا في المنافقين، كقوله تعالى: {ولا یأتون الصلاة إلا وهم كسالی} (التوبة:54)، وقوله سبحانه: {فویل للمصلین} (الماعون:4). وإنما خص لفظ (الإقامة)؛ تنبيهاً على أن المقصود من فعلها توفية حقوقها وشرائطها، لا الإتيان بصورها وهيأتها فحسب. ولهذا روي أن المصلین كثير، والمقيمین لها قليل.

3- حكم الصلاة:

تعتبر الصلاة من أركان الإسلام الأساسية والتي لا يقوم الإسلام إلا بها، فهي عمود الدين وأساس كافة العبادات، وهي أول ما يُحاسب عليه العبد يوم القيامة، وقد فرضها الله تعالى في ليلة الإسراء والمعراج لتكون بذلك العبادة التي تربط العبد بربه، فهي: واجبة بالكتاب، والسنة، والإجماع.

1- الكتاب:

قال عز وجل: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) (البقرة: 43).

2- السنة:

قال النبي ﷺ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: (شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ الْبَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ» (متفق عليه).
-وعن طلحة بن عبيد الله أن رجلاً سأل النبي عن الإسلام، فَقَالَ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؛ فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: لَا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ» (متفق عليه).

3- الإجماع:

فقد أجمعت الأمة على وجوب الصلوات الخمس في اليوم والليلة.

4- فضل الصلاة، وخصائصها:

فلا شك أن الصلاة أعظم ما أمر الله به ورسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد الشهادتين، ولها مكانة عظيمة، ومترلة رفيعة، وأهمية بالغة مؤكدة، وهي من الأركان الخمس للإسلام فمن أقامها أقام الدين، ومن هدمها فقد هدم الدين كله.

1- الصلاة هي أكد ركن من أركان الإسلام بعد الشهادتين وهي عماد الدين الذي لا يقوم إلا به.

2- الصلوات الخمس يحو الله بيمين الخطايا، وهي كفارة لما بينهن ما لم ترتكب الكبائر.

3- أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلَاتُهُ، فَإِذَا صَلَحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ خَابَ وَخَسِرَ.

4- من الأهمية بمكان أن نشير إلى فضل الصلاة في جماعة في المسجد، فبين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك في قوله: " صَلَاةُ الْجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلَاةِ الْفَدِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً ". (متفق عليه).
وقد تميزت هذه العبادة على باقي العبادات في القرآن الكريم بخصائص منها:

1- الصلاة فريضة على كل مسلم بالغ عاقل، إلا الحائض والنفساء، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ¹ ۝ ﴾ وقوله - عز وجل -
﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ² ۝ ﴾.

2- مدح الله القائمين بها ومن أمر بها أهله، فقال تعالى: ﴿ وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ³ ۝ ﴾.

3- ذم الله المضيعين لها والمتكاسلين عنها، قال الله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ⁴ ۝ ﴾ وقال - عز وجل -
﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ⁵ ۝ ﴾

4- افتتح الله أعمال المفلحين بالصلاة، واختتمها بها، وهذا يؤكد أهميتها، قال الله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ * إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ * فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ⁶ ۝ ﴾.

5- أمر الله النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - وأتباعه أن يأمرُوا بها أهليهم، فقال الله - عز وجل -
﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ⁷ ۝ ﴾.

6- سمي الله الصلاة إيماناً¹ بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ² ۝ ﴾، يعني صلاتكم إلى بيت المقدس؛ لأن الصلاة تصدق عمله وقوله.

1- سورة البينة، الآية: 5.

2- سورة النساء، الآية: 103.

3- سورة مريم، الآيتان: 54-55.

4- سورة مريم، الآية: 59.

5- سورة النساء، الآية: 142.

6- سورة المؤمنون، الآيات: 1-9.

7- سورة طه، الآية: 132.

7- خصها بالذكر تمييزاً لها من بين شرائع الإسلام، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ﴾³، وتلاوته اتباعه والعمل بما فيه من جميع شرائع الدين، ثم قال: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ﴾، فخصها بالذكر تمييزاً لها، وقوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ﴾⁴ خصها بالذكر مع دخولها في جميع الخيرات، وغير ذلك كثير.

8- قُرِنَتْ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاٰكِعِينَ﴾⁵ وَقَالَ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَنْحَرْ﴾⁶، وَقَالَ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁷، وَغَيْرَ ذَلِكَ كَثِيرًا.

9- أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنْ يَصْطَبِرَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ﴾⁸، مَعَ أَنَّهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مَأْمُورٌ بِالِاصْطِبَارِ عَلَى جَمِيعِ الْعِبَادَاتِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾⁹.

5- أهمية الصلاة:

- تُزَوِّدُ الْعَبْدَ بِالشُّعُورِ بِالسَّلَامِ وَتُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ.
- تَزِيدُ قُدْرَةَ الْفَرْدِ عَلَى التَّسَامُحِ.
- تُزَوِّدُ الْعَبْدَ بِالشُّعُورِ بِالسَّعَادَةِ وَالْفَرَحِ.
- تَزِيدُ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى دَاخِلَ قَلْبِ الْعَبْدِ.
- تُزَوِّدُ الْعَبْدَ بِنَظَرَةٍ إِبْجَائِيَّةٍ تَجَاهَ الْحَيَاةِ.
- تَقْضِي عَلَى الْخُمُولِ وَالْكَسَلِ مِنَ الْجَسْمِ.
- تُعَدُّ رِيَاضِيَّةً جَسَدِيَّةً وَعَقْلِيَّةً تُهْدِي النَّفْسَ، وَتَحْسِنُ صِحَّةَ الْعَقْلِ.

1- انظر: شرح العمدة لابن تيمية، 87/2-91.

2- سورة البقرة، الآية: 143.

3- سورة العنكبوت، الآية: 45.

4- سورة الأنبياء، الآية: 73.

5- سورة البقرة، الآية: 43.

6- سورة الكوثر، الآية: 2.

7- سورة الأنعام، الآية: 162.

8- سورة طه، الآية: 132.

9- سورة مريم، الآية: 65.

المحاضرة السابعة

الدرس الخامس

العلم والعلماء في القرآن الكريم

آيات عن العلم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رَجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: 43]

﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه:

[114]

﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [يونس: 5]

﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ [الكهف: 66]

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النمل:

[115]

﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: 40].

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَحْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ [القصص: 14]

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 43]

﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴾ [العنكبوت: 49]

﴿ وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِينَ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾

[سبأ: 6]

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: 28]

﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: 9]

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: 2].

◆ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: 11]

◆ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: 1 - 5].

1- تعريف العلم والعلماء:

"علم" في اللغة: أعلمه علما: عرفته، ورجل علامة، أي عالم جدا، والهاء للمبالغة كأنهم يريدون بهم داهية¹، وعلمت الشيء بمعنى عرفته وخبرته²، ومنه العلامة التي يعرف بها الشيء، والثوب والراية، وعلم الرجل يعلم علما، إذا صار أعلم، وهو مشقوق الشفا العليا جاء في القاموس تحت مادة علم: العلم إدراك الشيء بحقيقته³، وفي تاج اللغة: العلم الجبل، والمرأة علماء، وعلمت الشيء والذي يتصف بالعلم يسمى عليما، وعليما، وذو علم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ﴾⁴، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾⁵، وقال أيضا: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾⁶، وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾⁷، وجاء بصيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾⁸، والذي يعلم غيره يسمى معلما، كما كان النبي ﷺ معلما للناس. ويُعرف العلم بأنه إدراك المرء للأمور على حقيقتها، وهو مصدر الفعل عَلِمَ وجمعه عُلُومٌ⁹.

وأما في الاصطلاح: فقد تباينت التعريفات الشرعية لمسمى العلم، لكنها كانت قريبة من بعضها البعض، فلقد جاء في كتاب التعريفات للجرجاني أن العلم هو: «الاعتقاد الجازم المطابق للواقع»¹⁰، وقيل العلم هو إدراك ما هو به، وقيل زوال الخفاء من المعلوم والجهل نقيضه¹¹.

-
- 1- تاج اللغة وصحاح العربية المسمى: "الصحاح" تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري القرابي، إحياء التراث العربي/لبنان، بيروت، الطبعة 4، سنة 2005م/1426هـ - ج4/ص: 1612.
- 2- معجم تهذيب اللغة لابن منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م/مع3، ص: 2554.
- 3- القاموس الجديد للطلاب، علي بن هادية بلحسن البليش، والجيلالي بلحاج يحيى/المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة 4، الجزائر، 1991م، ص: 696.
- 4- سورة يوسف، آية: 68.
- 5- سورة فاطر، آية: 28.
- 6- سورة يس، آية: 81.
- 7- سورة الأنعام، آية: 73.
- 8- سورة المائدة، آية: 11.
- 9- "تعريف ومعنى علم في معجم المعاني الجامع"، www.almaany.com، أطلع عليه بتاريخ 2018-3-4. بتصرف.
- 10- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، الطبعة 4، (1424هـ/2003م)، ص: 232.
- 11- المصدر نفسه، ص: 233.

ويمكن القول أن العلم هو: الاطلاع على المخفي أو المجهول، حتى يُدرك ويُعرف ويُكشف عنه، فينتجع في العقل ويرسخ في النفس.

وقيل: أنه المعرفة كما قال البعض في العلم أنه أوضح من أن يُعرف،¹ ويعد العلم نظاماً معرفياً يهتمّ بالعالم المادي والظواهر الخاصة به، حيث إنه ينطوي على تتبع المعرفة التي تزوّد بالحقائق والقوانين الأساسية للأمور المختلفة، ويبنى العلم على الملاحظة والمراقبة ومختلف التجارب المنهجية التي لا تنحاز لفكرة أو قانون معين.²

تعريف العلماء:

عُرف العلماء بعدة تعاريف، منها:

الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير.

نقل ذلك عن ترجمان القرآن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر، الآية: 28].^{3 4}

وقيل: العالم هو من يخشى الله تعالى، ويعمل بعلمه.

يقول عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه -: (ليس العلم عن كثرة الحديث، إنما العلم خشية الله)⁵.

وقال الحسن البصري رحمه الله تعالى: (العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما يرغب الله)⁶.

وقيل: هو الخائف لله تعالى، العالم بسنته وحدوده وفرائضه.

ذكر ذلك أبو حيان التيمي رحمه الله تعالى أثناء حديثه عن العلماء، حيث ذكر أنهم يقسمون إلى أقسامٍ ثلاثة.⁷

ولما سأل موسى عليه الصلاة والسلام ربه تبارك وتعالى: أي عبادك أخشى لك؟ قال: أعلمهم بي.⁸

1- محمد بن صالح العثيمين، كتاب العلم، صفحة 2.

2- "Science", www.britannica.com, Retrieved 2018-3-4. Edited.

3- جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف عبد الله بن عبد البر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ص: 265، ط1، 1433هـ / 2012م، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان.

4- تفسير القرآن، عبد الرحمن محمد إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، 3180 / 10، المكتبة العصرية، صيدا.

5- جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف عبد الله بن عبد البر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ص: 265، ط1، 1433هـ / 2012م، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان.

6- تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، 3 / 554، ط 1401هـ، دار الفكر، بيروت.

7- قال أبو حيان التيمي: العلماء ثلاثة: عالم بالله ويأمر الله، وعالم بالله وليس بعالم بأمر الله، وعالم بأمر الله وليس بعالم بالله، فأما العالم بالله ويأمره، فذلك الخائف لله العالم بسنته وحدوده وفرائضه، وأما العالم بالله وليس بعالم بأمر الله، فذلك الخائف لله وليس بعالم بسنته ولا حدوده ولا فرائضه، وأما العالم بأمر الله وليس بعالم بالله، فذلك العالم بسنته وحدوده وفرائضه وليس بخائف له. انظر جامع بيان العلم وفضله، ابن عبد البر، ص: 295.

8- انظر سنن الدارمي، أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، 1 / 114، ط1، 1407هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

وعرفهم ابن القيم رحمه الله تعالى بأنهم: فقهاء الإسلام، ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام، الذين خُصِّصوا باستنباط الأحكام، وعُنُوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمثلثة النجوم في السماء، بهم يهتدي الحيران في الظلماء، وحاجة الناس إليهم أعظم من حاجتهم إلى الطعام والشراب¹.

وقال ابن جماعة رحمه الله تعالى في تعريفهم: أنهم العالمون الأبرار المتقون الذين قصدوا بعلمهم وجه الله الكريم والزلفى لديه في جنات النعيم، لا من طلبه بسوء نية أو خبث طوية أو لأغراض دنيوية من جاه أو مال أو مكاترة في الأتباع والطلاب.

فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم: "من طلب العلم ليماري به السفهاء، أو يكثر به العلماء، أو يصرف به وجوه الناس إليه، أدخله الله النار."^{2 3}

يتبين مما سبق من التعاريف: أن العلماء هم علماء الشريعة، الخائفون من ربهم - جل وعلا - الذين قصدوا بعلمهم وجه الله تعالى، العاملون بعلمهم على هدى وبصيرة.

وليس المراد بالعلماء ما يفهمه البعض من الناس بأنهم أهل الصناعات، والاختراع والاطلاع على أسرار الكون، والذين يسمون بمسميات مختلفة كعالم هندسة، أو عالم فلك، وغير ذلك، فهم علماء لكن في مهنتهم. أما إذا أطلق لفظ العلماء، فإنه ينصرف إلى علماء الشريعة الذين هم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن العلماء ورثة الأنبياء"⁴.

2- فضل العلم والعلماء في القرآن الكريم.

1- استشهد الله سبحانه بأولي العلم على أجل مشهود عليه وهو توحيده فقال: (شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط) [آل عمران: 8].
قال الإمام ابن القيم رحمه الله: وهذا يدل على فضل العلم وأهله من وجوه:
أحدها: استشهادهم دون غيرهم من البشر.

1- انظر سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، 1/ 114، ط1، 1407هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

2- انظر سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، 1/ 114، ط1، 1407هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

3- انظر سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، 1/ 114، ط1، 1407هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.

4- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب العلم، باب الزجر عن كتبة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها، 1/ 290، ط2، 1414هـ/ 1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت. قال المحقق: اسناده صحيح على شرط مسلم.

ثانياً: اقتران شهادتهم بشهادته.

ثالثاً: اقترانها بشهادة ملائكته.

رابعاً: إن في هذا تركيبتهم وتعديلهم فإن الله لا يستشهد من خلقه إلا العدول.

2-: أنه سبحانه وتعالى نفى التسوية بين أهله وبين غيرهم كما نفى التسوية بين أصحاب النار وأصحاب الجنة فقال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [الزمر: 9]. كما قال تعالى: لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) [الحشر: 20]. وهذا يدل على غاية فضلهم وشرفهم.

3-: أنه سبحانه جعل أهل الجهل بمتزلة العميان الذين لا يبصرون فقال: (أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى) [الرعد: 19].

4-: أنه سبحانه أخبر أنهم أهل خشيته بل خصهم من بين الناس بذلك فقال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور) [فاطر: 28].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كفى بخشية الله علماً وكفا بالاغترار بالله جهلاً)

5-: أنه سبحانه أمر بسؤالهم والرجوع إلى أقوالهم وجعل ذلك كالشهادة منهم فقال تعالى: (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فاسألوا أهل الذكر إن كنتم تعلمون) [النحل: 43] وأهل الذكر هم أهل العلم بما أنزل على الأنبياء.

6-: أن العلم حياة ونور والجهل موت وظلمة والشر كله سببه عدم الحياة والنور والخير كله سببه النور والحياة فإن النور يكشف عن حقائق الأشياء ويبين مراتبها.

قال تعالى: (أومن كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) [الأنعام: 122]. كان ميتاً بالجهل قلبه فأحياه بالعلم وجعل له من الإيمان نوراً يمشي به في الناس.

7-: أن الله سبحانه ذم أهل الجهل في مواضع كثيرة من كتابه فقال تعالى: (ولكن أكثرهم يجهلون) [الأنعام: 111] وقال: (ولكن أكثرهم لا يعملون) [الأنعام: 37]. وقال تعالى: (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً) [الفرقان: 44].

8-: أنه سبحانه أمر نبيه أن يسأله مزيد العلم فقال تعالى: (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إليك وحيه وقل رب زدني علماً) [طه: 114].

9-: أنه سبحانه شهد لمن آتاه العلم بأنه قد آتاه خيراً كثيراً فقال تعالى: (يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً) [البقرة: 269].

10-: ومن أهمية العلم ومترلته عن المولى تبارك وتعالى دعوته للنظرة في العلم والتفقه في الدين فقال تعالى: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون) [التوبة: 122].

فضائل العلم:

يتميز العلم بالعديد من الفضائل، وهي كما يلي: [٢] إن العلم هو إرث الأنبياء، حيث لم يورث الأنبياء لا درهماً ولا ديناراً بل ورثوا العلم. إن العلم يبقى والمال يفنى، والدليل من السنة عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال، إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث؛ صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له). [٥] إن العلم لا يتعب صاحبه في حراسته؛ حيث إن محله القلب، وهو لا يحتاج إلى مفاتيح أو صناديق فهو محروس بالنفس والقلب. يتوصل الإنسان بالعلم إلى أن يكون من شهداء الحق، والدليل على ذلك قوله تعالى: (شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ). [٦] يُعتبر أهل العلم من ولاة الأمر الذين تجب طاعتهم، والدليل على ذلك قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا). [٧]

المحاضرة الثامنة

في التفسير الموضوعي الكشفي (الوحدة الموضوعية)

الدرس الأول:

الوحدة الموضوعية لسورة الفاتحة

- بين يدي السورة وفيه:
- اسم السورة
- عدد آيها
- مكيتها ومدنيها
- أسباب نزولها
- فضلها
- محور السورة
- أغراض السورة
- مناسبات السورة الداخلية والخارجية
- المناسبات بين أغراض السورة ومحورها
- مع السورة التي قبلها والتي بعدها
- الخاتمة

أولاً: أسماءها: كثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وقد وردت أسماء كثيرة لسورة الفاتحة، منها ما

ثبت بالنص ومنها ما استنبط من خلال ما قيل عنها، وسنقتصر على ما ثبت من أسمائها بالنص الصحيح.

أ- الفاتحة أو (فاتحة الكتاب) : ففي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: لا صلاة لمن لم يقرأ فاتحة الكتاب¹.

ب- أم الكتاب: ورد في سنن أبي داود ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني².

ج- أم القرآن: في صحيح البخاري: (أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم)، وأخرج مسلم والنسائي من حديث أبي هريرة: (من صلى صلاة لم يقرأ فيها بأم القرآن فهي خراج، ثلاثاً، غير تامة).

د- السبع المثاني: أخرج البخاري وأحمد وأبو داود والنسائي من حديث أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال له: (لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد، قال: فأخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج من المسجد قلت: يا رسول الله إنك قلت لأعلمنك أعظم سورة في القرآن، قال: نعم، الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته)، قالوا: سميت بذلك لأنها تثنى في الصلاة فتقرأ في كل ركعة.

هـ- سورة الصلاة: روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: قال الله عز وجل: قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبي ما سألت، فإذا قال العبد ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2] قال الله تعالى: (حمدي عبدي، وإذا قال العبد ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هذا بيني وبين عبدي، ولعبي ما سألت فإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال هؤلاء لعبي ولعبي ما سألت³.

و- سورة الرقية:

1- صحيح البخاري، الحديث رقم (756)، وصحيح مسلم، الحديث رقم (394).

2- صحيح البخاري، كتاب التفسير ص9، ص4.

3- صحيح مسلم الحديث رقم 829.

في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال: كنا في مسير لنا فترلنا فجاءت جارية، فقالت: إن سيد الحي سليم، وإن نفرنا غيب فهل منكم راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبئه¹ برقية فرقاه فبرأ، فأمر له بثلاثين شاة، وسقانا لبناً، فلما رجع، قلنا له أكنت تحسن رقبة أو كنت ترقى؟ قال: لا ما رقيت إلا بأم الكتاب، قلنا لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي ونسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي -صلى الله عليه وسلم- فقال: (وما كان يدريه أنها رقية اقسموا واضربوا لي بسهم)²

ثانياً- فضائل سورة الفاتحة:

- 1- سورة الفاتحة أعظم سور القرآن الكريم وقد تقدم حديث أبي سعيد المعلى عندما قال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد... ثم ذكر له أنها سورة الحمد لله رب العالمين وهي السبع المثاني والقرآن العظيم.³
- 2- لا مثيل لسورة الفاتحة في الكتب المتزلة فقد أخرج أحمد والترمذي وصححه من حديث أبي بن كعب أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال له: (أتحب أن أعلمك سورة لم يتزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها؟ ثم أخبره أنها الفاتحة .
- 4- سورة الفاتحة نور، وتقدم الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه... فتزل منه ملك فأتى النبي -صلى الله عليه وسلم- فقال أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته.
- 5- سورة الفاتحة رقية وعلاج ودواء وشفاء للأسقام المادية والمعنوية، وتقدمت الأحاديث في ذلك، عندما رقى الصحابي اللديغ بالفاتحة، وكذلك الحديث الذي أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي والحاكم وصححه عن خارجة ابن الصلت التميمي عن عمه: أنه أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثم أقبل راجعاً من عنده، فمر على قوم وعندهم رجل مجنون موثوق بالحديد، فقال أهله: أعندك ما تداوي به هذا؟ فإن صاحبكم قد جاء بخير، قال: فقرأت عليه فاتحة الكتاب ثلاثة أيام في كل يوم مرتين غدوة وعشية، أجمع

1- نأبئه: أي ما كنا نعلم أنه يرقى فعليه بذلك، والأبئ: التهمة، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير 33/1، ط دار المعرفة- بيروت. ت خليل شيما.

2- صحيح البخاري، الحديث رقم (5617)، وصحيح مسلم، الحديث رقم (5687).

3- تقدم تخريجه في البخاري.

بزاقني ثم أتفل فبرأ فأعطاني مائة شاة، فأتيت النبي -صلى الله عليه وسلم- فذكرت ذلك له فقال: كل فمن أكل برقية باطل فقد أكلت برقية حق.

ثالثاً- عدد آيات الفاتحة: أجمع العلماء على أن فاتحة الكتاب سبع آيات، إلا أنهم اختلفوا في الآية السابعة، فمن جعل البسملة أولى آياتها¹، قال إن قوله تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ آية واحدة وهي السابعة، ومن لم يجعل البسملة آية من الفاتحة² قال ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ لآية السادسة و ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ الآية السابعة³ قال الخازن: وهي سبع آيات بالاتفاق، وسبع وعشرون كلمة، ومائة وأربعون حرفاً⁴.

رابعاً- وقت نزولها: قال جمهور العلماء: نزلت سورة الفاتحة بمكة، ولهم أدلة على ذلك، منها:

- 1- أخرج أبو بكر بن الأنباري في المصاحف عن عبادة قال: فاتحة الكتاب نزلت بمكة.
- 2- وأخرج الواحدي في أسباب النزول عن علي قال: نزلت فاتحة الكتاب بمكة عن كتر تحت العرش .
- 3- وأخرج أبو نعيم في الدلائل عن رجل من بني سلمة قال: لما أسلمت فتيان بني سلمة... فسأله فقرأ عليه: الحمد لله رب العالمين، وكان ذلك قبل الهجرة.
- 4- وقالوا: لم تكن صلاة في الإسلام بدون فاتحة الكتاب، ومن المعلوم أن الصلاة شرعت في الأيام الأولى من البعثة، وفرضت الصلوات الخمس في ليلة الإسراء والمعراج، وكانت قبل الهجرة بثلاث سنوات. وقال مجاهد:

◆ إنها نزلت في المدينة، واعتبر بعض العلماء أن هذا القول كبوة جواد من مجاهد، والرواية التي استندوا عليها هي ما أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، وأبو سعيد ابن الأعرابي في معجمه والطبراني في الأوسط من طريق مجاهد عن أبي هريرة: رنَّ إبليس حين أنزلت فاتحة الكتاب، ونزلت بالمدينة، ولا تقوم بهذه الرواية حجة.

◆ وقيل نزلت مرتين، مرة في مكة حين فرضت الصلاة، ومرة في المدينة حين حولت القبلة، ولذلك سميت مثاني، قاله البنوي، وأيضاً هذا القول لا دليل عليه، وفي القول بتزول بعض السور أو الآيات مرتين نظراً.

1- وهم قراء الكوفة ومكة، وبه أخذ الإمام الشافعي ورواية عند أحمد.

2- وهم قراء المدينة والبصرة والشام وبه أخذ الجمهور أبو حنيفة ومالك وأحمد.

3- من أراد أدلة كل فريق فليراجع أحكام القرآن للجصاص، وأحكام القرآن لابن العربي وتفسير آيات الأحكام للسايس. ومفاتيح الغيب للرازي.

4- انظر تفسيره المسمى لباب التأويل 11/1.

والراجح القول الأول -أي أنها سورة مكية، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87] وهذه الآية في سورة الحجر، وسورة الحجر مكية بالإجماع، وقد صح في الحديث قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- عن الفاتحة إنها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته. **خامساً- موضوعات سورة الفاتحة:** قال جلة من علماء التفسير: إن سورة الفاتحة اشتملت على أغراض القرآن الأساسية، فمن الموضوعات في سورة الفاتحة:

1-**الألوهية:** التوحيد بأنواعه: توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية، وتوحيد الأسماء والصفات، فأخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

2-**اليوم الآخر:** هو يوم الدين الذي يلقي العبد فيه حسابه على ما قدمت يدها في الحياة الدنيا، وكل ما يكون بعد الموت يتعلق بيوم الدين، فالحياة البرزخية والبعث بعد الموت، والحشر والحساب والميزان والصراف، والاستقرار في الجنة أو النار، كلها من متعلقات يوم الدين، اليوم الآخر، فأخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: 4]

3-**عبادة الله سبحانه وتعالى:** والإخلاص لله تعالى فيها، العبادة بمفهومها الواسع وتدخل الشعائر التعبديّة من صلاة وزكاة وصوم وحج وجهاد وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، في مفهوم العبادة الواسع دخولاً أولاً، فإن حياة المؤمن ومماته على منهج الله وفي طاعته كلها عبادة كما تشير الآية الكريمة ﴿قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَأَشْرِكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: 162-163]، وهذا يدل عليه قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

4-**الاستعانة بالله وحده:** في كل الأمور وجميع شؤون الحياة، ما تعلق منها بالمعاش وما تعلق منها بالتوفيق لصالح العمل والإخلاص فيه، والقبول عند الله في كل ما يعمله العبد وما يدع، فالله الموفق لصالح العمل المعين على أدائه المتفضل بقبوله، وهو ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

5-**الالتزام بالصراف المستقيم:** بعد الاهتداء إليه فضل عظيم من الله تعالى يوفق عباده المخلصين، وللصراف المستقيم دلالة واسعة يشمل كل ما جاء من الله سبحانه وتعالى وأنزله على أنبيائه ورسله من لدن آدم عليه السلام إلى خاتمهم محمد -صلى الله عليه وسلم-، الذي اشتملت رسالته على جميع الرسالات وهداياتها، كما أشارت الآية الكريمة (وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه) المائدة/48، وكل ذلك في قوله تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾.

6- صراط المنعم عليهم: من عباد الله المصطفين المخلصين، الذين جاء ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: 69]، وهذا الصراط بمفهومه المديد عبر تاريخ البشرية يشمل معتقدات المنعم عليهم، وأساليبهم في دعوة الأقوام إلى الخير الذي التزموا به، والعظات والعبر التي أخذت من الحوادث التي مرت بهم، وما خلفوه وراءهم من سير عطرة، وحضارات ربانية بقيت منارات ومعالم يهتدي بها على مر العصور.

7- تجنب صراط المغضوب عليهم والضالين: وهما نموذجان من البشر:

الأول: عرف الحق ثم عاداه وتنكب طريقه، بسبب الحسد أو العناد أو اتباعاً للهوى، وعلى رأس هذا النموذج اليهود.

والثاني: فئات الضلال، ولا تخصي هذه الفئات فمنهم من أضل الطريق فلم يهتد إلى الحق، ومن منهم من ضل في متاهات الأفكار البشرية، ومنهم من انحرف عن منهج الحق وجادة الصواب، وكلما استجدت أفكار وأحداث استجدت فئات الضلال، وعلى رأس هؤلاء الضالين النصارى.

وقد ورد في الحديث النبوي تمثيل هذين النموذجين) المغضوب عليهم اليهود والضالون النصارى (كما في حديث عدي بن حاتم -رضي الله عنه-.

ولو رجعنا إلى أغراض القرآن المكّي لوجدناها تدور حول) التوحيد، اليوم الآخر، النبوات، أمهات العبادات والأخلاق (ولو رجعنا إلى أغراض القرآن المدني لوجدناها تدور حول) بناء المجتمع الإسلامي بتشريع العبادات والمعاملات، وحمايته من مكائد الأعداء والمنافقين من الخارج والداخل، وصيانته من الانحرافات والأخطاء).

وكل هذه الأغراض في السور المكّية والمدنية تعود إلى الأغراض المذكورة في الفاتحة، ولعلنا ندرك بعد هذا البيان الحكمة من وصف رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لسورة الفاتحة أنها) أم الكتاب وأم القرآن(، فهي كالأم ومن الأم تتوالد الذرية وتتكاثر، وإلى الأم يرجع في الانتساب فمن موضوعات سورة الفاتحة المجملة تأتي التفصيلات في السور الأخرى، وكل أغراض السور القرآنية ترجع إلى هذه الأساسيات المجملة في سورة الفاتحة.

وهل يمكننا بعد هذا البيان أن نفهم من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: 87]، ومن قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الفاتحة إنها السبع المثاني القرآن العظيم الذي أوتيته.

أن الفاتحة سبع آيات اشتملت على سبعة أهداف، وهذه الأهداف تثني في سور القرآن الكريم وتكرر من خلال محاور السور وأغراضها؟؟.

سادساً- محور سورة الفاتحة: يمكن أن يقال إن لسورة الفاتحة محوراً واحداً هو) بيان طريق العبودية لله وحده (كما يمكن أن يقال إن للفاتحة عدة محاور، هي المحاور التي يدور عليها القرآن الكريم كله بسوره المكية والمدنية.

ولعل إشارة ابن مسعود إلى هذا الجانب الأخير، فقد أخرج عبد بن حميد عن إبراهيم قال: كان عبد الله بن مسعود لا يكتب فاتحة الكتاب في المصحف، وقال: لو كتبتها لكتبت في أول كل سورة، وكأنه يرى أن كل سورة تفصل جانباً أو محوراً مما اشتملت عليه سورة الفاتحة، وهذا ما أطلقنا عليه عنوان) موضوعات سورة الفاتحة(، وسيأتي تفصيله فيما بعد.

وفصل محمد بن جزي الكلبي ذلك وكأنه شرح لكلام ابن مسعود يقوله: (سميت أم القرآن لأنها جمعت معاني القرآن كله، فكأنها نسخة مختصرة، وكان القرآن كله بعدها تفصيل لها، وذلك لأنها جمعت:

◆ الإلهيات في ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

◆ والدار الآخرة في ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: 4]

◆ والعبادات كلها من الاعتقاد والأحكام التي تقتضيها الأوامر والنواهي في ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾

[الفاتحة: 5]

◆ والشريعة كلها في ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: 6]

◆ والأنبياء وغيرهم في ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفاتحة: 7]

◆ وذكر طوائف الكفار في ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ .

ولو أضاف أمراً سابعاً أو محوراً سابعاً وهو (طريق العبودية إلى الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا ﴾ لاكتملت المحاور السبعة، ولألقى ضوءاً على سر تسميتها بالسبع المثاني والقرآن العظيم).

سابعاً: التفسير الإجمالي للفاتحة: سورة الحمد أفضل سورة في القرآن، اشتملت على آداب وحكم ومواظ في غاية الشمول والعموم والدقة والروعة والجمال.

ففيها براعة الاستهلال، وحسن الثناء على خالق الكون ومدبر أمره، الذي خلق ورزق، ولطف بعموم رحمته وعميم فضله، وإليه مصي الخلائق للحساب جزاء وفاقاً¹.

وفي هذه السورة تعليم العباد بالتوجه إلى بارئهم بتقديم الوسائل التي شرعها لهم ربهم، والتقرب إليه بخالص النيات لتثبيتهم على شرائع الإسلام بالتمسك بالعروة الوثقى، وحبل الله المتين، الذي تمسك به عباده المنعم عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، والذي طرفه من عند الله وطرفه الآخر في جنات النعيم، وأن يجنبهم الزلل في المعتقد والانحراف في السلوك، كما كان حال ملل عرفت الحق فتنكبته عن عمد وسبق إصرار فاستحقوا غضب الله ومقته، وملل تاهت عن الحق فضلت سبيل الهداية، فهم في كل وادٍ يهيمون².

إن هذه المعاني التي اشتملت عليها سورة الفاتحة من الثناء على الله سبحانه وتعالى واللجوء إليه في الدعاء، رمز هذه العبودية التي يتقرب بها المؤمن إلى الله عز وجل، فيتعلق قلبه بربه رب العالمين، ويحاسب نفسه في تلك المحطات التي يقف فيها بين يديه ليستشعر عظمة مالك يوم الدين فيعيد النظر فيما قدمه بين الصلاتين من قول أو عمل ليدرك في أي كفتي الميزان توضع، وليدرك أن لا توفيق ولا فلاح إلا من وفقه الرحمن الرحيم وأخذ بناصيته إلى الخير والطاعة وثبته عليها، وان من سلك سبيل الغي وابتغى هواه وانساق وراء أهل الزيغ والضلال فنهايته إلى غضب الله وعذابه³.

فليدرك المؤمن هذا الاستشعار والتوجه في أعماقه وهو يقف بين يدي ربه في صلاته ودعائه، وليقل بعد قراءة هذه السورة العظيمة الجامعة (آمين) (أي استجب يا ربنا لدعائنا).

ثامناً- الهدايات والحكم والآداب فيها:

1- تسميتها بفاتحة الكتاب: يدل على فضلها وشرفها، لأن الابتداء بالشيء يدل على أهميته، وتقدمه على غيره، وفي سورة الفاتحة براعة الاستهلال وجمال الابتداء.

2- تسميتها بأم الكتاب وأم القرآن: لأنها مشتملة على أغراض القرآن الأساسية، فسور القرآن الكريم كالتفصيل لما ورد في الفاتحة من الإجمال، فصارت كالأصل، والأم تشبيهاً بالأم التي هي منشأ الولد، من حيث ابتداء الظهور والوجود.

1- التحرير والتنوير، ج6، ص: 325.

2- تفسير المراغي، مصطفى المراغي، ج4، ص: 321.

3- سيد قطب، الظلال، ج3، ص: 421.

3- تسميتها بالسبع المثاني: لأنها سبع آيات تثنى -تكرر- في الصلوات، أو تكرر معانيها في سور القرآن الكريم.

4- يسن للقارئ بعد فراغه من الفاتحة: أن يقول) آمين (مفصلاً عنها بسكتة، ويقولها المأموم أيضاً، في صحيح البخاري: أن الإمام إذا قرأ غير المغضوب عليهم ولا الضالين، فقولوا: آمين، فإن الملائكة تقول: آمين، فمن وافق تأمينة تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، وأخرج أحمد وابن ماجه والبيهقي بسند صحيح عن عائشة أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام بالتأمين).

5- استحباب التوسل إلى الله عز وجل: قبل الدعاء بأسمائه الحسنى وصفاته العلى والثناء عليه وتمجيده، فهو أرجى للإجابة.

6- الله جل جلاله المستحق بالعبادة وحده، ومنه وحده تطلب المعونة على أدائها، وسائر شؤون الحياة .

7- لزوم المداومة على الدعاء: بالثبات على الدين القويم والالتزام بشرائع الله سبحانه وتعالى (فقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء)، ومن دعاء رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك)¹

8- استحباب الدعاء: بصيغة الجمع ليضم دعاءه إلى دعاء الصالحين فهو أدعى للقبول، وكأنه يقول: انني العبد المذنب المقصر أرفع حاجتي مع حاجات عبادك الصالحين، فشفعهم في، فلا يليق بجناب الكريم أن يقضي بعض الحاجات ويرد بعضها، وقد رفعت مجتمعه.

9- الاقبال على الله سبحانه وتعالى: عنوان السعادة وجملة الخير والفلاح والأعراض عن الله تعالى والبعد عن شرائعه والالتزام بها رأس المفاسد والمعاصي والآفات والخذلان في الدنيا والآخرة وذلك لأن أول الفاتحة اشتمل على الحمد لله والثناء عليه، وآخرها في ذم المعرضين عن الإيمان وتنكب شرائعه وطاعته².

10- شأن المؤمن أن يكون من الرجاء والخوف: فهما كجناحي الطائر ليعتدل طيرانه، فإن اختل أحدهما لم يستقم أمره، وكذلك المؤمن في سيره إلى الله تعالى فيدعو ربه ليهديه إلى طريق المنعم عليهم ويرجو ذلك ويتطلع إليه، ويستعيد بالله من أن يكون مع المغضوب عليهم والضالين، فهو يخاف أن ينضم إلى فئاتهم ويحشر معهم.

1- انظر سنن الترمذي، كتاب الدعوات، الحديث رقم (3524)، ومسنده أحمد 4/182.

2- مفاتيح الغيب للرازي 1/262.

المحاضرة التاسعة

الدرس الثاني

الوحدة الموضوعية لسورة لقمان

- مقدمة
- بين يدي السورة وفيه:
- اسم السورة
- عدد آيها
- مكها ومدنيها
- أسباب نزولها
- فضلها
- محور السورة
- أغراض السورة
- مناسبات السورة الداخلية والخارجية
- المناسبات بين أغراض السورة ومحورها
- مع السورة التي قبلها والتي بعدها
- الخاتمة

مقدمة:

تعتبر الأسرة هي النواة الأولى لبناء المجتمع، إن صلح أفرادها صلح المجتمع وإن فسدوا فسد، ويعتبر الأولاد أطفال اليوم رجال المستقبل هم الذين ينهضون بالأمة أو العكس لذا وجب الاهتمام بهم وتربيتهم تربية سليمة وإعدادهم إعدادا جيدا يؤهلهم لحمل الأمانة، فجادت العقول بالأفكار، وسالت الأقلام بالخير تأليفا فظهر على الساحة الكثير من المختصين في تربية الأبناء، وزحرت المكتبات بالكتب والمؤلفات في فنون التربية للأولاد مليئة بالأفكار والنظريات إلا أنها ليست عامة وشاملة لكل زمان ومكان، وللوصول إلى نظريات وأفكار عامة وشاملة ونافعة على مر الأماكن والأزمان لا يسعنا إلا العودة واللجوء إلى القرآن الكريم، دستور حياتنا الذي إن تمسكنا به لن نضيع ولن نخبأ أبدا. والذي اعطى أهمية كبرى للأخلاق والتربية. ولعل وصايا لقمان الحكيم الواردة في سورة لقمان تعد منهاجا متكاملا لتربية الأبناء، كونها صادرة عن رجل صالح حكيم (ولقد أتينا لقمان الحكمة) (لقمان 12)، نابعة من قلب محب مشفق على ولده ناصح له أساسها الصدق والقناعة والتجربة والمعرفة.

بين يدي السورة :

اسم السورة: سميت هذه السورة بإضافتها إلى لقمان لأن فيها ذكر لقمان وحكمته وجملا من حكمه التي أدب بها ابنه، وليس لها غير هذا الاسم، وبه عرفت بين القراء والمفسرين، وهذه السورة هي السورة السابعة والخمسون في تعداد نزول السور، نزلت بعد سورة الصافات وقبل سورة سبأ¹.

عدد آياتها: عدد آياتها ثلاثا وثلاثين في عدد أهل المدينة ومكة، وأربعا وثلاثين في عدد أهل الشام والبصرة والكوفة².

مكان نزول السورة: وهي مكية كلها غير آيتين. قال قتادة : (ولو انما في الأرض من شجرة أقلام) إلى آخر الآيتين، وقال ابن عباس : ثلاث آيات، أولهن (ولو انما في الأرض من شجرة أقلام)³.

1- محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير و التنوير، الدار التونسية للنشر، ج21، تونس، 1984، ص 137- 138.

2- المرجع نفسه، ص138.

3- بو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لاحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة و أي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الاولى، ج16، بيروت، لبنان، 2006، ص468.

وقيل أيضا: هي مكة إلا الآيات 28، 29، 30 فمدنية، فإن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة قال له أحبار اليهود: بلغنا أنك تقول: «وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» أعنيتم أم قومك؟ قال: كَلَّا عنيتم، فقالوا: إنك تعلم أننا أوتينا التوراة وفيها بيان كل شيء، فقال عليه الصلاة والسلام ذلك في علم الله قليل، فأنزل الله هؤلاء الآيات¹.

أسباب النزول: نزلت في النصر بن الحارث، كان يتجر إلى فارس ويشترى كتب الأعاجم فيحدث قريشا بحديث رستم واسفنديار ويقول: يخبركم محمد عن عاد وثمود وأحدثكم أنا عن رستم واسفنديار وبهرام، فصدرت هذه السورة بالتنويه بهدي القرآن ليعلم الناس انه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير ومثل الكمال النفسي، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبابرة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه، فكان صدر هذه السورة تمهيدا لقصة لقمان، وقيل سبب نزول هذه السورة أن قريشا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة لقمان مع ابنه، أي سألوه سؤال تعنت واختبار².

وقيل نزلت في النصر بن الحرث اشترى قينة وكان لا يسمع بأحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته، فيقول: اطعميه واسقيه وغنيه، هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وان تقاتل بين يديه، فترلت³.

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

(1) إنه تعالى قال في السورة السالفة: «وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» وأشار إلى ذلك في مفتتح هذه السورة.

(2) إنه قال في آخر ما قبلها: «وَلَكِنَّ جَهَنَّمَ بَايَةٌ لِّقَوْلِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ» وقال في هذه: «وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا».

(3) إنه قال في السورة السابقة: «وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ» وقال هنا: «مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ إِلَّا كَنْفُسٍ وَاحِدَةً»، ففي كليهما إفادة سهولة البعث.

1- الواحدي، أسباب النزول، ص: 152.

2- المرجع السابق، ص 138، 139.

3- جلال الدين السيوطي، لباب النقول في اسباب النزول، الطبعة الرابعة، دار احياء العلوم، بيروت، لبنان ص 169.

(4) إنه ذكر هناك قوله: «وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ»، وقال هنا: «وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظَّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ» فذكر في كل من الآيتين قسما لم يذكره في الآخر.

(5) إنه ذكر في السورة التي قبلها محاربة ملكين عظيمين لأجل الدنيا، وذكر هنا قصة عبد مملوك زهد فيها، وأوصى ابنه بالصبر والمسألة، وذلك يقتضى ترك المحاربة، وبين الأمرين التقابل وشاسع البون كما لا يخفى.

مناسباتها لما بعدها:

لما كان المقصود في سورة لقمان إثبات الحكمة لمثل هذا الكتاب وختمها بأنه سبحانه وتعالى مختص بعلم المفاتيح بعد أن أُنذر بأمر الساعة فثبت بذلك وما قبله انه ما اثبت شيئا فقدر غيره من أهل الكتاب ولا غيرهم على نفيه، ولا نفى شيئا فقدر غيره على إثباته ولا إثبات شيء منه، كانت نتيجة ذلك انه لا يكون شيء من الأشياء دقيقها وجليها إلا يعلمه سبحانه وتعالى واجل ذلك إنزال هذا الذكر الحكيم الذي فيه إثبات هذه العلوم مع شهادة العجز عن معارضته له بأنه من عند الله فلذلك قال تزييل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين¹.

المواضيع التي تناولتها سورة لقمان:

أغلب السور المكية التي نزلت على النبي قبل الهجرة كانت تؤكد على المواضيع التي تتعلق بالإيمان بالله، والثواب والجزاء في الدنيا والآخرة كون النبي كان في مرحلة الدعوة للدين ولم يصل بعد لمرحلة تفصيل وتبيين أحكام الدين لمن يؤمن به، فقد كان في مرحلة التمهيد للدعوة، ولكون سورة لقمان مكية فإن أكثر المواضيع التي ذكرت بها تتعلق بالإيمان وقد جاءت على لسان لقمان على شكل وصايا لابنه من أبرزها:

- 1- ضرورة الإيمان بالله وحده وعدم الشرك به.
- 2- التأكيد على بر الوالدين في غير معصية الله.
- 3- تربية الأبناء التربية الصالحة وحثهم على الصلاة والتأكيد عليها.
- 4- الحث على التواضع ونبد الكبر والعجرفة.
- 5- التأكيد على أن الدنيا دار ممر وليست مستقرًا، وأنها زائلة.
- 6- التركيز على حسن الخلق وكيفية التعامل مع الآخرين بأدب وذوق.

1- برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الايات و السور، دار الكتاب الاسلامي، ج15، القاهرة، مصر، دون سنة، ص141.

7- أن يكون الفرد له هدف في الحياة ويخطط لمستقبله ولا يعيش بشكل عبثي وألا يكون عبئاً على أحد.

مناسبة أغراض السورة للمحور الأساسي لها:

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "ومع أن القضية واحدة ومجال العرض واحد فإنها تعرض في السورة أربع مرات في أربع جولات تطوف كل منها بالقلب البشري في ذلك المجال الفسيح مستصحبة في كل مرة مؤثرات جديدة ومتبعة أسلوباً كذلك جديداً في العرض والتناول"¹.

تبدأ **الجولة الأولى** بعد افتتاح السورة بالأحرف المقطعة؛ فتقرر أن هذه السورة من جنس تلك الأحرف هي آيات الكتاب الحكيم وهي هدى ورحمة للمحسنين. وهؤلاء المحسنون هم: {الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون} فتقرر قضية اليقين بالآخرة وقضية العبادة لله.....

فأما **الجولة الثانية** فتبدأ من خلال نفوس آدمية وتتناول القضية ذاتها في المجال ذاته بأسلوب جديد ومؤثرات جديدة، قال تعالى: { ولقد آتينا لقمان الحكمة } فما طبيعة هذه الحكمة وما مظهرها الفريد؟ إنها تتلخص في الاتجاه لله بالشكر: { أن اشكر لله } فهذه هي الحكمة وهذا هو الاتجاه الحكيم. والخطوة التالية هي اتجاه لقمان لابنه بالنصيحة: نصيحة حكيم لابنه. فهي نصيحة مرآة من العيب صاحبها قد أوتي الحكمة. وهي نصيحة غير متهمة فما يمكن أن تتهم نصيحة والد لولده. هذه النصيحة تقرر قضية التوحيد التي قررتها الجولة الأولى وقضية الآخرة كذلك مصحوبة بهذه المؤثرات النفسية ومعها مؤثرات جديدة: { وإذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم } . ويؤكد هذه القضية بمؤثر آخر فيعرض لعلاقة الأبوة والأمومة بأسلوب يفيض انعطافاً ورحمة.....

ثم تبدأ **الجولة الثالثة**. تبدأ بعرض القضية المعهودة في مجال السماوات والأرض مصحوبة بمؤثر منتزع من علاقة البشر بالسماوات والأرض وما فيها من نعم سخرها الله للناس وهم لا يشكرون: { ألم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير..... } وقرب ختام الجولة يقفهم وجهها لوجه أمام منطلق الفطرة وهي تواجه هذا الكون فلا تملك إلا الاعتراف بالخالق الواحد الكبير: { ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون } . ويختتم الجولة بمشهد كوني يصور امتداد علم الله بلا نهاية وانطلاق مشيئته في الخلق والإنشاء بلا حدود؛ ويجعل من هذا دليلاً كونياً على البعث والإعادة وعلى الخلق

1- سيد قطب الظلال، ج...، ص: ..

والإنشاء} :وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ { ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة. إن الله سميع بصير.

وتبدأ الجولة الرابعة بمشهد كوني ذي إيقاع خاص في القلب البشري. مشهد الليل وهو يطول فيدخل في جسم النهار ويمتد؛ والنهار وهو يطول فيدخل في جسم الليل ويمتد. ومشهد الشمس والقمر مسخرين في فلكيهما يجريان في حدود مرسومة إلى وقت لا يعلمه إلا خالقهما الخبير بهما وبالناس وبما يعملون} :ألم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير}¹

ويمكن أن نذكر أغراض السورة بالتفصيل كما جاء في "نظم الدرر" في نقاط محددة حتى يسهل الأخذ بها:

1- إثبات الحكمة للكتاب اللازم منه حكمة منزله سبحانه في أقواله وأفعاله وقصة لقمان المسمى به السورة دليل واضح على ذلك.²

2- التنويه بهدي القران ليعلم الناس انه لا يشتمل إلا على ما فيه هدى وإرشاد للخير ومثل الكمال النفساني، فلا التفات فيه إلى أخبار الجبارة وأهل الضلال إلا في مقام التحذير مما هم فيه ومن عواقبه.

3- تسفيه الضر بن حارث وقصصه الباطلة.

4- وصايا لقمان.

5- تذكير المشركين بدلائل وحدانية الله تعالى وبنعمه عليهم.

6- ذكر مزية دين الإسلام.

7- تسليية الرسول صلى الله عليه وسلم بتمسك المسلمين بالعروة الوثقى وانه لا يجزئه كفر من كفر.

8- الرد على المعارضين للقران.

9- التحذير من دعوة الشيطان والتنبيه إلى بطلان ادعاء الكهان علم الغيب.

10- تبيان ما في قصة لقمان من علم وحكمة وهدى وأنها مسوقة للمؤمنين لا للذين سألوا عنها.

محور السورة:

1- سيد قطب في ظلال القرآن، ج: ، ص: ...

2- برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الاسلامي، ج15، القاهرة، مصر، دون سنة: ص140.

جاء هذا القرآن الكريم ليخاطب الفطرة البشرية بمنطقها، نزله الذي خلق هذه الفطرة والذي يعلم ما يصلح لها وما يصلحها ويعلم كيف يخاطبها ويعرف مداخلها ومسارها. جاء يعرض على هذه الفطرة الحقيقة المكنونة فيها من قبل؛ والتي تعرفها قبل أن تخاطب بهذا القرآن لأنها قائمة عليها أصلاً في تكوينها الأول. تلك هي حقيقة الاعتراف بوجود الخالق وتوحيده والتوجه إليه وحده بالإناابة والعبادة مع موكب الوجود كله المتجه إلى خالقه بالحمد والتسبيح.... وهذه السورة المكية نموذج من نماذج الطريقة القرآنية في مخاطبة القلب البشري.

وهي تعالج قضية العقيدة في نفوس المشركين الذين انحرفوا عن تلك الحقيقة. إنها القضية التي تعالجها السور المكية في أساليب شتى ومن زوايا متنوعة تتناول القلب البشري من جميع أقطاره؛ وتلمس جوانبه بشتى المؤثرات التي تخاطب الفطرة وتوقظها.

هذه القضية الواحدة- قضية العقيدة- تتلخص هنا في توحيد الخالق وعبادته وحده وشكر آلائه. وفي اليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل. وفي اتباع ما أنزل الله والتخلي عما عداه من مألوفات ومعتقدات¹.

الخاتمة:

الاسس المذكورة خلال هذا البحث تعد وصايا نافعة، ونصائح غالية يقدمها لقمان لابنه كي يكون انسانا صالحا يخدم دينه، فحري بنا ان نستفيد منها وان نجعلها نصب اعيننا في تربية انفسنا وتربية ابنائنا فينشأ جيل صالح سليم العقيدة طيب الاخلاق يخدم دينه وبلده فينهض بالأمة الاسلامية ويعيد لها مجدها. لذا ينبغي على كل اب او معلم او من له اهتمام بمجال التربية ان يتبع هذه المعالم اذ انه لا سبيل للفلاح الا بالنهل من سنن الاسلام.

1- سيد قطب، الظلال، ج: ، ص: .

المحاضرة العاشرة

الدرس الثالث

الوحدة الموضوعية لسورة الاسراء

- ✓ مقدمة
- ✓ بين يدي السورة وفيه:
- ✓ اسم السورة
- ✓ عدد آيها
- ✓ مكها ومدنها
- ✓ أسباب نزولها
- ✓ فضلها
- ✓ محور السورة
- ✓ أغراض السورة
- ✓ مناسبات السورة الداخلية والخارجية
- ✓ المناسبات بين أغراض السورة ومحورها
- ✓ مع السورة التي قبلها والتي بعدها
- ✓ الخاتمة

اسمها:

(الإسراء، بني إسرائيل، سبحان)، وهي من العتاق الأول كما قال ابن مسعود، رضي الله عنه¹، وذلك ما يبين أنها سورة مكية. عدد آياتها: 111 آية.

وسميت سورة (الإسراء)؛ نظراً لما ذكر في فاتحتها من إسراء النبي صلى الله عليه وسلم من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. كما تسمى سورة (بني إسرائيل)؛ لأنها تحدثت عن إفسادهم في الأرض وعتوهم فيها. كما تسمى سورة (سبحان)؛ لأنها افتتحت بتسبيح الله سبحانه، وذكر التسبيح فيها في أكثر من آية، وقد تميزت آياتها بالطول النسي، واشتملت على خصائص السور المكية من ناحية، وعلى خصائص السور المدنية من ناحية ثانية؛ لأنها من أواخر ما نزل من السور بمكة، فكانت بمثابة التمهيد للعهد المدني.

ما اختلف من الآيات عن السورة في نزولها:

قال الإمام السيوطي: «استثني منها: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} الآية لِمَا جاء في قول ابن مسعود - رضي الله عنه - أنها نزلت بالمدينة في جواب سؤال اليهود عن الروح. واستثني منها أيضاً: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ} إلى قوله: {إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا}، وقوله: {قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ} الآية، وقوله: {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا} الآية، و {إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ}»²، ونزلت بعد القصص وقبل يونس.

ظروف نزولها: نزلت هذه السورة في العهد المكي، حين بلغ عناد وجدال المشركين أوجّه لمواجهة حامل الرسالة صلى الله عليه وسلم، ووصلت معارضة الرسالة نفسها حدّ المصادمة والاقتيال. ذلك أن هذه السورة نزلت بعد سورة القصص التي جاءت فيها أخبار موسى وفرعون؛ وكيف كانت نهاية الأخير نذير شؤم لكل طاغية أئيم. فحمي فيها الجدل مع المشركين حول هذا القرآن، وصدق الوحي الذي واجههم بتسفيه عقائدهم، والتنديد بجاهليتهم، فسارعوا إلى تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم والتشكيك في أصل مصداقية النبوة وصحة الرسالة، وحاولوا النيل من جنبه والتنقيص من شأنه؛ فرموه بالسحر والكهانة والجنون، وطفقوا يطلبون منه الآيات والخوارق، زاعمين أن الهدف إنما هو التثبّت من الدعوى.

وقيل: سورة الإسراء مكية بالاتفاق، نزلت في السنة الحادية عشرة من البعثة الحمديّة، قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بسنة وشهرين.

أسباب نزولها:

1- جاء في صحيح البخاري، كتاب التفسير، سورة بني إسرائيل (الإسراء)، باب: عن ابن مسعود - رضي الله عنه - قال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول.

2- الإتيان في علوم القرآن (1/60)، غير أنه باستثناء الآية الأولى ذكرها تقع بقية الآيات موقع اختلاف كبير من حيث مكّيتها ومدنيتها؛ بل منها ما تترجح مكّيته؛ كما هو الشأن بالنسبة لقوله - تعالى - : {وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَبْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ} [الإسراء: 60].

لم نقف على سبب نزول السورة كاملة باعتبار أنها نزلت منجمة مفارقة ثم جمعت في المصحف على هذه الهيئة، وقد جاءت أسباب نزول بعض آياتها، نجمل منها الآتي:

ما ورد في أسباب نزولها: قَالَ عَبْدُ الْحَقِّ بْنُ غَالِبِ بْنِ عَطِيَّةِ الْأَنْدَلُسِيِّ (ت: 546هـ): (وقوله): {وإن كادوا ليستفزونك} [الإسراء: 76]، نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف، وحين قالت اليهود ليس هذه بأرض الأنبياء. (المحرر الوجيز: 433/15 م).

قَالَ عَلْمُ الدِّينِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ السَّخَاوِيُّ (ت: 643هـ): (قال الكلبي [...]) وقوله عز وجل: {وإن كادوا ليستفزونك} نزلت حين جاءه وفد ثقيف، وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء. وقوله: {وقل رب أدخلني مدخل صدق} {وزاد مقاتل} وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس {و} قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله. (جمال القراءة: 1/13 م).

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الشَّوْكَانِيُّ (ت: 1250هـ): (قوله عز وجل): {وإن كادوا ليستفزونك} [الإسراء: 76] نزلت حين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد ثقيف، وحين قالت اليهود: ليست هذه بأرض الأنبياء. (فتح القدير: 285/3).

ما ورد في نزول قوله تعالى: (مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا) (15)

قَالَ جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: 911هـ): (قوله تعالى: {مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا} (15) (أخرج ابن عبد البر في التمهيد بسند ضعيف عن عائشة قالت: سألت خديجة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد المشركين، فقال:)) هم مع آبائهم ((ثم سألته بعد ذلك، فقال:)) الله أعلم بما كانوا عاملين ((، ثم سألته بعد ما استحکم الإسلام، فنزلت: {ولا تزر وازرة وزر أخرى} (وقال:)) هم على الفطرة ((أو قال:)) في الجنة. ((لباب القول: 160))

ما ورد في نزول قوله تعالى: (وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) (26).

قَالَ جَلَالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: 911هـ): (قوله تعالى: {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا}، (26).

أخرج الطبراني وغيره عن أبي سعيد الخدري قال: لما أنزلت {وَأْتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ} دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاطمة فأعطاه فذك.

قال ابن كثير: هذا الحديث مشكل فإنه يشعر بأن الآية مدنية والمشهور خلافه. وروى ابن مردويه عن ابن عباس مثله. (لباب القول: 160).

ما ورد في نزول قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا) (29).

قال عليُّ بنُ أحمدَ الواحديُّ (ت: 468هـ): (قوله عز وجل: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ} الآية . أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن علي بن عمران قال: أخبرنا أبو علي بن أحمد الفقيه قال: أخبرنا أبو عبيد القاسم بن إسماعيل الحمالي. قال: حدثنا زكرياء بن يحيى الضرير قال: حدثنا سليمان بن سفيان الجهني قال: حدثنا قيس بن الربيع عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال: جاء غلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إن أُمِّي تسألُك كذا وكذا فقال:)) ما عندنا اليوم شيء ((قال: فتقول لك: اكسني قميصك قال: فخلع قميصه فدفعه إليه وجلس في البيت حاسراً فأُنزل اللهُ سبحانه وتعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ} الآية .

وقال جابر بن عبد الله: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قاعداً فيما بين أصحابه أتاه صبي فقال: يا رسول الله إن أُمِّي تستكسيك درعاً ولم يكن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قميصه فقال للصبي:)) من ساعة إلى ساعة يظهر كذا فعد إلينا وقتاً آخر ((فعاد إلى أمه فقالت له: إن أُمِّي تستكسيك القميص الذي عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم أ[سباب التزول: 294] داره ونزع قميصه وأعطاه وقعد عرياناً فأذن بلال للصلاة فانتظروه فلم يخرج فشغل قلوب الصحابة فدخل عليه بعضهم فرآه عرياناً فأُنزل اللهُ تبارك وتعالى هذه الآية [أسباب التزول: 295].

قال جلال الدين عَبْدُ الرَّحْمَنِ بنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: 911 هـ): (قوله تعالى: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} 29)) (ك) أخرج سعيد بن منصور عن سيار أبي الحكم قال: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بز من العراق، وكان معطاء كريماً فقسمه بين الناس، فأتاه قوم فوجدوه قد فرغ منه، [لباب النقول: 160] فأُنزل اللهُ: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا} الآية .

وأخرج ابن مردويه وغيره عن ابن مسعود قال: جاء غلام إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: إن أُمِّي تسألُك كذا وكذا، قال:)) ما عندنا شيء اليوم ((قال: فتقول لك اكسني قميصك، فخلع قميصه فدفعه إليه فجلس في البيت حاسراً، فأُنزل اللهُ: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا} 29. ((ك))، وأخرج أيضاً عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعائشة:)) أنفق ما على ظهر كتفي ((، فقالت: إذا لا يبقى شيء، فأُنزل اللهُ: {وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ} الآية . وظاهر ذلك أنها مدنية [لباب النقول: 161].

نكتفي بهذه الآيات ومن أراد الاستزادة من أسباب التزول الآيات الأخرى الباقية من السورة فلينظر

الملحق 3.

فضلها:

وردت جملة من الأحاديث النبوية التي تبين فضائل هذه السورة، من ذلك:

1- قالت عائشة - رضي الله عنها - : «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل»¹؛ (أي سورة الإسراء)، وهي من المثمين التي ورد في فضلها حديث واثلة بن الأسقع - رضي الله عنه - الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وَأُعْطِيتَ مَكَانَ الزُّبُورِ الْمُثْمِنِ»².

2- ما رواه البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه قال في بني إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: (إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي). معناه: من أول ما أخذت من القرآن، شبهه بتلاد المال القديم، ومعناه: أن ذلك كان بمكة.

3- عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: سألت أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحى الجبال عنهم، فيزدرعوا، فقليل له: إن شئت أن تستأني بهم -يقال: استأني به: ترفق-، وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوها، فإن كفروا أهلكوا، كما أهلكت من قبلهم، قال: لا، بل أستأني بهم، وأنزل الله هذه الآية: {وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها} (الإسراء: 59). وفي رواية: فدعا، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن ربك يقربك السلام، ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر منهم بعد ذلك عذبتهم عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة، قال: بل افتح لهم باب التوبة والرحمة³.

4- عن معاذ بن أنس الجهني رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أنه كان يقول: آية العزة -وفي رواية: العز- وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل (الإسراء: 111) إلى آخر السورة⁴.

5- عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: بينا أنا أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، استقبله رجل رث الثياب رث الهيئة، مستقام، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا فلان! ما الذي بلغ بك ما أرى؟ قال: الفقر والسقم. قال: أفلا أعلمك كلمات، إذا قلتين ذهب عنك الفقر والسقم؟ فقال: لا، ما يسرني بهذا إني شهدت معك بدرأً وأحدأً، قال: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: وهل يدرك أهل بدر وأهل أحد ما يدرك الفقير القانع؟ قال أبو هريرة: فقلت: يا رسول الله! فعلمنيهن. قال: قل: توكلت على الحي الذي لا يموت، والحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل

1- أخرجه الإمام الترمذي (3405)، والبيهقي في السنن، قال الترمذي: حديث حسن غريب. وصححه الألباني في تعليقه عليه، وفي سلسلته الصحيحة (641).

2- أخرجه الإمام أحمد في مسنده (17023) وعلق عليه شعيب الأرنؤوط بقوله: «إسناده حسن».

3- رواه أحمد. قال البيهقي: رجال الروايتين رجال الصحيح.

4- رواه أحمد والطبراني.

وكبره تكبيراً. {قال: فلقي النبي صلى الله عليه وسلم أبا هريرة بعد أيام، فقال: يا أبا هريرة! ما الذي أرى من حسن حالك؟ فقال: يا رسول الله! ما زلت أقرأ الكلمات منذ علمتنيهن¹.

مقاصد السورة:

تدور معظم موضوعات سورة الإسراء على العقيدة؛ وبعضها عن قواعد السلوك الفردي والجماعي وآدابه القائمة على العقيدة، إلى شيء من القصص عن بني إسرائيل، وطرف من قصة آدم وإبليس وتكريم الله للإنسان.

والعنصر البارز في كيان هذه السورة، ومحور موضوعاتها الأصيل هو شخص الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم، وموقف القوم منه في مكة.

تتلخص مقاصد هذه السورة الكريمة في جملة من المحاور والموضوعات نذكرها بالتفصيل مع إبراز التناسب الموجود بينها وبين المحور الأساسي للسورة:

1- توحيد الله سبحانه، {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه} {الإسراء:23}، فالله سبحانه وتعالى هو الموحد الحق، ولا معبود سواه .

2- تنزيه الله تعالى وتسيبجه وحمده وشكر آلائه، وقد تكرر مقصد التسيبج في آيات عديدة من هذه السورة؛ ففي مطلعها، قال تعالى: {سبحان الذي أسرى بعبده} {الإسراء:1}. وعند ذكر دعاوى المشركين عن الآلهة، عقب سبحانه بقوله: {تسبح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم} {الإسراء:44}. وعند حكاية قول بعض أهل الكتاب حين يتلى عليهم القرآن {ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولاً} {الإسراء:108}.

3- قررت السورة أن ثواب الاهتداء وإثم الضلال إنما يعود على الفرد نفسه ولن يغني عن غيره شيئاً كما أن غيره لن يغني عنه شيئاً، {من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها} {الإسراء:15}، فطريق الهداية واضح وظاهر، أوضحه سبحانه لعباده عن طريق رسله وكتبه، وما على الإنسان إلا أن يسير في هذا الطريق، ويعرض عن غيره من الطرق .

4- بيان إعجاز القرآن الكريم، وأن البشر يستحيل عليهم أن يأتوا بمثله، {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً} {الإسراء:88}، فالقرآن الكريم معجزة هذا الدين، ومعجزة نبيه عليه الصلاة والسلام، وليس بمقدور أحد -مهما أوتي من علم- أن يأتي بمثل هذا القرآن، ولا بشيء منه.

1- رواه الطبراني وأبو يعلى .

5- بيان الحكمة من إنزال القرآن على فترات، وليس دفعة واحدة، {وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً} {الإسراء:106}، فغاية إنزال القرآن على دفعات؛ ليستوعب الناس أحكامه، وليكون أمامهم متسع من الوقت؛ ليطبقوا أوامره ويجتنبوا نواهيه.

6- تنزيه الله عن الولد والشريك والناصر والمعين، {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً} {الإسراء:111}. فالله سبحانه هو الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد.

7- قررت السورة مبدأ المسؤولية الشخصية، فكل إنسان يتحمل عاقبة عمله، ولا يتحمل أحد عاقبة عمل غيره، {ولا ترر وازرة وزر أخرى} {الإسراء:15}، فالإنسان إن عمل خيراً فلنفسه، وإن أساء فعليها.

8- ذكر سبحانه في هذه السورة سنة إلهية، وهي أنه سبحانه لا يعذب عباده إلا بعد أن يرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين، ويقوم عليهم الحجة بالآيات التي تقطع عذرهم، قال سبحانه {وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا} {الإسراء:15}.

9- ذكر سبحانه سنة تتعلق بسلوك الإنسان عموماً، وهي أن الإنسان إذا أصابه ضراء وبلاء، لجأ إلى ربه وخالقه طالباً منه العون والنجاة، ثم إذا كشف الله عنه ما نزل به من ضرٍّ، إذا به يكفر بخالقه، ويُعرض عن هدي ربه، {وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الإنسان كفورا} {الإسراء:67}.

10- بينت السورة قيمة القرآن الكريم، حيث ورد لفظ القرآن في هذه السورة أحد عشر مرة. نحو قوله سبحانه {إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين} {الإسراء:9}.

11- بينت السورة أنه لا أحد يملك من الأمر شيئاً؛ إذ الأمر كله لله، فلا نافع ولا ضار إلا الله، ولا ناصر ولا معين إلا هو سبحانه، {قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلاً} {الإسراء:56}.

12- عُنت السورة بالحديث عن مكارم الأخلاق، فدعت إلى الإحسان إلى الوالدين، وصلة الرحم، والعطف على الفقير والمسكين وابن السبيل، ونهت عن التبذير والقتل والزنا وتطيف الكيل والميزان وأكل مال اليتيم والكبر والبطر.

13- دحضت أوهام الوثنية الجاهلية حول نسبة البنات والشركاء إلى الله، وعن البعث واستبعادهم لوقوعه، وعن استقبالهم للقرآن وتقولاهم على الرسول صلى الله عليه وسلم، {أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثاً إنكم لتقولون قولاً عظيماً} {الإسراء:40}، {قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً} {الإسراء:42}.

14- أمر المؤمنين أن يقولوا التي هي أحسن، وتحذيرهم من الانسياق وراء وساوس الشيطان، وبيان أنه العدو الأول والأخطر للإنسان؛ لأنه لا يفارقه أبداً، فهو يعيش بين جنبيه، وهو عدو خفي غير ظاهر، قال

تعالى} :وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان يترغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا }
(الإسراء:53).

15- بيان الحكمة في عدم إنزال المعجزات التي اقترحها المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم، {وما
منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا
تخويفا} {الإسراء:59}.

- بيان عناد المشركين وطلبهم من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوافقهم في بعض معتقداتهم، وإلحاحهم في
ذلك، {وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا } {الإسراء:90}..
16- الحديث عن البعث والحشر مع إقامة الأدلة على إمكانه، {أولم يروا أن الله الذي خلق السماوات
والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فأبى الظالمون إلا كفورا } {الإسراء:99}..

محور سورة الاسراء:

سورة الإسراء من السور المكية التي تعنى بشؤون الدين والعقيدة والوحدانية لكن تميزت هذه السورة بأنها
تتكلم عن القرآن بشكل تفصيلي لم يرد في باقي سور القرآن.

وقد تعرّضت السورة لمعجزة الإسراء التي كانت مظهراً من مظاهر التكريم الإلهي لنبيه الكريم بعد ما لاقاه من
أذى المشركين.

وهي قصة إسراء النبي الكريم من مكة إلى المسجد الأقصى؛ حيث التقى بجميع الأنبياء من آدم إلى عيسى
عليهم جميعاً وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام، وتقدم الرسول فقال له جبريل: “تقدم يا محمد فصل
بالأنبياء إماماً”، وهذه معجزة ليس لها مثيل في تاريخ البشرية ولم تأتي مصادفة أو عبثاً وإنما هدفها كان
تسليم الرسالة التي تناقلها الأنبياء من قبل إلى رسولنا وأمته الذين سيحملون هذه الرسالة الخاتمة إلى يوم
القيامة، فكأن تسمية السورة تفيد انتقال الكتاب من بني إسرائيل إلى أمة محمد، وهذه السورة هي أكثر
سورة ورد فيها ذكر القرآن (11 مرة).

إذن قيمة القرآن هو محور السورة وقد جاء الحديث الشريف ليؤكد هذا المحور: ”قال الرسول: ألا إنها
ستكون فتنة فقال الإمام علي فما المخرج منها؟ قال كتاب الله فيه نبأ من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما
بينكم وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله وهو حبل
الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا
يشبع منه العلماء ولا يبلى من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه وهو الذي لم ينته الجن إذ سمعوه إلا أن قالوا: إنا

سمعنا قرآنًا عجباً هو الذي من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم.

وانظر كيف تسلسل الحديث في هذه السورة عن القرآن الكريم تسلسل عجيب غريب:

1- انتقال الكتاب إلى الأمة الجديدة: (سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) آية 1.

2- انتقال الكتاب عبر الأمم (وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا * ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) آية 2 و3.

3- تفريط بني إسرائيل بالكتاب (وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوقًا كَبِيرًا ...) آية 4

4- وصول القرآن إلى أمة محمد ﷺ (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) آية 9

5- قيمة الكتاب وأوامره: (وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا *... * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سِيئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا) الآيات من 23 إلى 38. ربع كامل تقريباً يتحدث عن هذه الأوامر التي هي أوامر الفطرة البشرية مثل: بر الوالدين، إيتاء ذوي القربى واليتامى، عدم التبذير وعدم البخل، عدم قتل الأولاد، الإبتعاد عن الزنى، عدم قتل النفس، عدم أكل أموال اليتامى، الوفاء بالعهود، القسط في الكيل والميزان، التواضع وعدم الخيلاء.

6- التعقيب: قيمة هذا الكتاب: (ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا) آية 39 و (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا) آية 41.

7- قيمة القرآن: (وَإِذَا قُرَأَتِ الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا) آية 45، (وَإِن مِّنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا) آية 58، (وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ

الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَنُحُوفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا) آية 60، (وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي
الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا) آية 73.

8- حلاوة القرآن: هو الشفاء والرحمة (أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ
الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) آية 78 و 79
(وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) آية 82.

9- عظمة القرآن: (قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ
كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا * وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا)
آية 88 و 89.

10- دور القرآن: (وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى
النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) آية 105 و 106.

11- ختام السورة: أحباء القرآن: (قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ
يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ
وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا) الآيات من 107 إلى 109.

12- وكان السورة كلها تدعو لعدم التخلي عن القرآن كما فعلت الأمم السابقة، لما تخلوا عن الكتاب
استبدلهم الله بأمم أخرى تحافظ على الكتاب. وهذا القرآن هو الذي يخرج من الظلمات إلى النور وعلينا أن
نتمسك به كما وصَّانا: "تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وسنتي" والحرف
فيه بحسنة لا أقول ألم حرف وإنما أقول ألف حرف، لام حرف وميم حرف.

وهذه السورة تقع في وسط القرآن وكأنما هي تذكير أن القرآن هو كتاب هذه الأمة التي جعلها تعالى أمة
وسطا. وآخر السورة فيها سجدة حتى نسجد ونستشعر قيمة هذا القرآن العظيم الذي كان الذين أوتوه من
قبلنا إذا سمعوه يخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا وفي هذا توجيه للمسلمين أن يحافظوا على هذا القرآن
ويستشعروا عظمته ويحرصوا على تطبيق تعاليمه حتى لا يترع من هذه الأمة كما نزع ممن سبقها.

سورة الإسراء تحدثت عن القرآن وتبدأ سورة الكهف مباشرة بعدها بقوله تعالى (الحمد لله الذي أنزل على
عبدك الكتاب) فسبحان الله العلي القدير.

المحاضرة الحادية عشر

في التفسير الموضوعي للمصطلح القرآني

الدرس الأول

دراسة خمسين صفحة من كتاب المفردات للراغب الأصفهاني

● التعريف بالمؤلف

● التعريف بالمؤلف

● مميزات منهج كتاب المفردات للأصفهاني

● التعريف بعلم الغريب

● علم غريب القرآن

● مفهوم الغريب

● أسباب غرابة الألفاظ

● نماذج من كتاب الراغب الأصفهاني

التعريف بالمؤلف:

الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد. (ت 1108): أديب لغوي وفقه، أصله من أصفهان، وعاش ببغداد. ألف عدة كتب في التفسير والأدب والبلاغة، مثل: «حل متشابهات القرآن»، و«الأخلاق»، و«أدب الشطرنج»، و«أفانين البلاغة»، وأشهرها: «محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء البلغاء»، وهو 25 جزءاً تضم مختارات من الأخبار والأقوال والأشعار، و«المفردات في غريب القرآن» الذي تتبع فيه دوران كل لفظ في الآيات القرآنية، وأتى بالشواهد عليه من الحديث والشعر، وأورد ما أخذ منه من مجاز وتشبيه ورتبه على الألفباء، فأصبح من أهم الكتب المفسرة لألفاظ القرآن¹.

وقيل: "الراغبُ الحسينُ بنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُفَضَّلِ الْأَصْبَهَانِيِّ الْعَلَّامَةِ الْمَاهِرِ، الْمُحَقِّقِ الْبَاهِرِ، أَبُو الْقَاسِمِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ الْمُفَضَّلِ الْأَصْبَهَانِيِّ، الْمَلَقَّبُ بِالرَّائِغِ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ"².

الراغب الأصفهاني: هناك من نسبه لأهل السنه ومن نسبه للرافضه، إلا أنه معتزلي كما هو واضح من تفسيره المفردات في غريب القرآن.

مشايقه والكتب التي استعان بها: محمد بن علي بن عمر أبو منصور بن الجبان: أحد حسنات الريّ وعلمائها الأعيان، جيد المعرفة باللغة باقعة الوقت وفرد الدهر وبحر العلم وروضة الأدب، تصانيفه سائرة في الآفاق، كان من ندماء الصاحب ابن عباد ثم استوحش منه. قال ابن منده: قدم أصبهان فتكلم فيه من قبل مذهبه³.

محمد بن بحر الأصبهاني أبو مسلم صاحب التفسير. ذكره أبو الحسن بن بانويه في تاريخ الري وقال: كان على مذهب المعتزلة ووجهها عندهم وصنف لهم التفسير على مذهبهم، ومات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة وهو ابن سبعين سنة⁴.

أَبُو عَلِيٍّ الْفَارِسِيُّ الْحَسَنُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ الْغَفَّارِ إِمَامُ النَّحْوِ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، وَكَانَ فِيهِ اعْتِرَالٌ⁵.
أَبُو عَبِيدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التِّيمِيُّ مَوْلَاهُمْ، الْبَصْرِيُّ، النَّحْوِيُّ، الْإِمَامُ، الْعَلَّامَةُ، الْبَحْرُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ، وَقَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: كَانَ الْعَرِيبُ وَأَيَّامُ الْعَرَبِ أَغْلَبَ عَلَيْهِ، وَكَانَ لَا يُقِيمُ الْبَيْتَ إِذَا

1 - <http://archive.is/3KCrr#selection-271.1-271.496> - الموسوعة العربية الميسرة، 1965.

2- سير أعلام النبلاء: 18 / 120.

3- معجم الادباء ج6ص2578 شهاب الدين الحموي.

4- لسان الميزان ج7ص6.

5- سير أعلام النبلاء ج16ص380

أَنْشَدَهُ، وَيُخَطِّئُ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ نَظْرًا، وَكَانَ يُبْعِضُ الْعَرَبَ، وَأَلَّفَ فِي مَثَالِبِهَا كُتُبًا، وَكَانَ يَرَى رَأْيَ الْخَوَارِجِ¹.

مميزات منهج الأصفهاني في كتابه المفردات في غريب القرآن:

المفردات في غريب القرآن هو كتاب من تأليف الراغب الأصفهاني (المتوفى 502هـ)، يكاد يجمع علماء الأمة وأعلامها على أن كتاب "مفردات ألفاظ القرآن" للراغب الأصفهاني يأتي في المرتبة الأولى من الكتب الكثيرة المؤلفة في هذا الموضوع .

في هذا الكتاب تتبع الأصفهاني دوران كل لفظ في الآيات القرآنية، وأتى بالشواهد عليه من الحديث والشعر، وأورد ما أخذ منه من مجاز وتشبيه ورتبه على الألفباء²، رتب مفردات القرآن حسب حروف الهجاء باعتبار أوائلها، فمادة (حَسَب) تسبق (حَسَد) وهما تسبقان مادة خرج وهلم جرا³.

إمتاز كتاب المفردات للامام الأصفهاني بمجموعة من الخصائص يمكن إجمالها في بعض النقاط:

1. كشف جذر الكلمة: والمراد به: جذر المعنى الذي تلتقي عنده جميع معانيها، وأغلب الظن أنه متأثر في هذا بما فعله ابن فارس في "معجم مقاييس اللغة".

2. تتبع المعاني المستعارة.

3. تحري المعاني الصحيحة: قد يصدر عن الأنبياء بعض الأقوال التي يمكن تفسيرها على غير وجهها. بما لا يتفق مع عصمة النبي، وفي مثل هذه الحال، يحرص الراغب على تحري معنى صحيح يليق بعصمة النبي.

4. نفي معان موهومة: ربما يخطر ببال القارئ في بعض الأحيان معانٍ تتبادر إلى الذهن، ويكون المعنى على غير هذا المتبادر، وفي مثل هذه الحال يحرص الراغب على نفي تلك المعاني ويبين المعنى اللائق باللفظ، وذلك كما ورد تحت مادة "خوف" حيث ذكر فيها الراغب: "والخوف من الله": لا يراد به ما يخطر بالبال من الرعب، كاستشعار الخوف من الأسد، بل إنما يراد به الكف عن المعاصي وتحري الطاعات..

5. قواعد كلية: كثيراً ما يورد الراغب أثناء شرحه لبعض الكلمات قواعد كلية استخلصها من تتبع الاستعمال القرآني للكلمة، مثل، قوله: كل موضع ذكر فيه لفظ "تبارك" فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات).

6. قواعد أكثرية: وفي بعض الأحيان ينص الراغب على بعض القواعد بأنها الأكثر في الاستعمال لينفي عنها صفة الكلية، مثل: أكثر ما يستعمل "السعي" في الأحوال المحمودة¹.

1- سير أعلام النبلاء ج9 ص445.

2- "الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد". الموسوعة العربية الميسرة. موسوعة شبكة المعرفة الريفية. 1965. اطلع عليه بتاريخ تشرين 2013.

3- كتاب الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة، عمر عبد الرحمن الساريسي، 229

منهج الراغب الأصفهاني في كتابه:

أولا في تبويب الكتاب: رتب المؤلف معجمه هذا ترتيبا ألفبائيا، الألف أولا ثم الباء ثم التاء... وهكذا. ثم في

ترتيب الكلمات: فاء الفعل ثم عينه ثم لامه. مثلا:

- في باب الألف: "أب"، "أتى"، "أثاث"، "اجر"، "أحد..."
- في باب الباء: "بأس"، "بتر"، "بث"، "بجس"، "بجع"، "بدر..."
- في باب الجيم: "جبت"، "جبر"، "جبل"، "جين"، "جبه"، ...

في ترتيبه لأبواب الحروف: يقدم باب الواو على باب الهاء، وهذا الترتيب الألفبائي يكون في أوائل حروفه

الأصلية دون الزوائد، هذا من حيث الترتيب المنهجي لأبواب الكتاب وترتيب الكلمات، أما من حيث طريقته في شرح مفردات ألفاظ القرآن فهو يعطي المعنى اللغوي، أي أصل الوضع في اللغة، ثم يعدد المعاني التي يفيدها اللفظ حسب استعماله في الآية القرآنية .

أما الاستشهاد: فيستشهد بالقرآن الكريم إذا كانت تلك اللفظة المراد شرحها في آية أخرى وفي سياق آخر بنفس المعنى لكنه أوضح.

كما أنه يستشهد بالأحاديث النبوية وأقوال الصحابة، وهذا يوجد خاصة عندما يذهب إلى معنى اصطلاحى أو شرعى، ثم يستشهد بأبيات من الشعر الذي هو ديوان العرب، كما أنه يستشهد بالأمثال المشهورة. وهذا الأمر لا نجد عند شرحه لكل لفظة من ألفاظ القرآن، بل قد يكتفي بالشرح اللغوي من غير استشهاد بغير القرآن، فمثلا: عند شرحه لفظة "النبز" قال: «النبز التلقب، قال: "ولا تنازروا بالألقاب" هنا أوجز إيجازا ولم يأت بشاهد من اللغة أو غيرها، ولعله وضح المعنى فلم يشأ الإطناب، لكن في مواضع أخرى من الكتاب لا يكتفي بالشرح اللغوي بل يتعداه إلى المعنى الاصطلاحي و الشرعى، مثال هذا الأخير في شرحه للفظه "توب"، قال: «والتوبة في الشرع ترك الذنب لقبحة والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعادة، وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة فمتى اجتمعت هذه الربع فقد كمل شرائط التوبة².

وفي شرحه لألفاظ القرآن يعتني كثيرا بالقراءات القرآنية، فلا يكتفي بالقراءة الواحدة وإنما يتعداها إلى غيرها من القراءات الثابتة عن الرسول(ص)، فعندما شرح القدر قال: «و القدر وقت الشيء المقدر له، والمكان المقدر له. قال: (إلى قدر معلوم) وقال: (فسالت أودية بقدرها)، أي بقدر المكان المقدر لها لأن يسعها، وقرئ: "بقدرها"-بسكون الدال و كسر الياء-أي تقديرها(..). وقدرت عليه الشيء ضيقته كأنما جعلته بقدر

1- أنظر : معاجم مفردات القرآن (موازنات ومقترحات)، أ. د. أحمد حسن فرحات ، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ص ، 9 - 17.

2- مقال: إضاءات في علم غريب القرآن، عمر اكداش-خالد الضريف، كلية اللغة العربية، مراكش،

بخلاف ما وصف بغير حساب، قال (ومن قدر عليه رزقه) أي ضيق، وقال: (يسط الرزق لمن يشاء و يقدر) ، وقال: (فظن أن لن نقدر عليه) ، أي لن نضيق عليه، وقرئ: (لن نقدر عليه بتشديد الراء و كسرهما- وظاهر أن بتعدد القراءات تتعدد المعاني، فكان حكيما إذ ذكر القراءات.

وعند وقوفه على مفردة اختلف الصحابة أو التابعين في معناها نجده يعدد أقوال الصحابة أو التابعين أو هما معا في المسألة فيرجح رأيا أو ينشئ آخر مستقلا به؛ فعند شرحه للفظه "قر" قال في قوله تعالى: "فمستقر ومستودع، قال ابن مسعود: مستقر في الأرض ومستودع في القبور، وقال ابن عباس: مستقر في الأرض ومستودع في الأصلاب، وقال الحسن مستقر في الآخرة ومستودع في الدنيا، وجملة الأمر أن كل حال ينقل عنها للإنسان فليس بالمستقر التام»، نلاحظ أنه تجاوز أقوال الصحابة والتابعين و أنشأ رأيا خاصا به، طبعاً لما كان اجتهاده منهم (ض) وليس نقلا عن الرسول(ص)، والذي يبدو أنه كان موقفاً في رأيه.

فالرجل ليس متضلعا في اللغة فقط، كما يبدو من خلال عنوان الكتاب؛ بل له الدلو المعلى في العلوم الشرعية أيضا؛ وتعالى ننظر في شرحه للفظه: "شبه"، حيث لبس رداء الأصوليين وصار يقلب المعنى ويعمل فيها قواعد أصول الفقه، فكأنك أمام كتاب أصولي.

قال: "والمتشابه من القرآن ما أشكل تفسيره لمشبهته بغيره، إما من حيث اللفظ أو من حيث المعنى، فقال الفقهاء: المتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده، وحقيقة ذلك أن الآيات عن اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب محكم على الإطلاق، ومتشابه على الإطلاق، ومحكم من وجه ومتشابه من وجه، فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب:

- متشابه من جهة اللفظ فقط.

- ومتشابه من جهة المعنى فقط .

- ومتشابه من جهتهما .

والمتشابه من جهة اللفظ ضربان:

أحدهما: يرجع إلى الألفاظ المفردة.(...)

والثاني: يرجع إلى جهة الكلام المركب، وذلك على ثلاثة أضرب.

كما تجده فقيها أحيانا أخرى، يستنبط الأحكام الفقهية ويرد على الفقهاء ويخطئ بعضهم، وسلاحه في ذلك اللغة؛ وهذا ما نجده عند شرحه للفظه "طهر" يقول: (وأنزلنا من السماء ماء طهورا)، قال الشافعي:

الطهور بمعنى المطهر، وذلك لا يصح من حيث اللفظ لأن فعولا لا يبنى من أفعل وفعل، إنما يبنى ذلك من فعل، وقيل إن ذلك اقتضى التطهير من حيث المعنى، وذلك أن الطاهر ضربان- ضرب لا يتعداه الطهارة كطهارة الثوب فإنه طاهر غير مطهر به، فوصف الله تعالى الماء بأنه طهور تنبيهاً على المعنى".

كما أنه يجذو في شرحه لألفاظ القرآن حذو التفسير الموضوعي؛ لأنه عمد فيما ذهب إليه إلى جمع الآيات ذات الموضوع الواحد ففسرها، فجاء ترتيب مصنفه بحسب ما يأتي به التفسير الموضوعي للقرآن الكريم،

نعطي هنا مثالا و هو شرحه للفظه "البصر" قال: «البصر يقال للجارحة الناظرة، نحو قوله تعالى: (كلمح البصر)، (وإذ زاغت الأبصار)، وللقوة التي فيها، ويقال: لقوة القلب المدركة-بصيرة و بصر، نحو قوله تعالى: (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) أو (أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني) ، أي على معرفة و تحقق، وقوله:(بل الإنسان على نفسه بصيرة) ، أي تبصره فتشهد له و عليه من جوارحه بصيرة تبصره فتشهد له و عليه يوم القيامة كما قال: "تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم" (وأنبتنا فيها من كل زوج يهيح تبصر)، أي تبصرة و تبيانا) و (ولا يسأل حميم حميما يبصرونهم) أيجعلون بصراء بأثرهم. ذكر هنا جميع الآيات التي ذكرت فيها لفظه " البصر" ثم شرحها و أعطى المعاني التي تفيدها حسب موضعها و سياقها في الآية.

تعريف بعلم الغريب:

لغة:

تدل مادة: "غَرَب" في قواميس اللغة على جملة من المعاني، منها الغياب والبعد والغموض والخفاء... قال الزمخشري: «غرب: بَعُد... وغربت الوحش في مغاربا أي غابت في مكانها... ورمى فأغرب أي أبعد المرمى... وتكلم فأغرب إذا جاء بغرائب الكلام ونوادره، وقد غُرِبَت هذه الكلمة أي غمضت فهي غريبة... وأغرب الفرس في جريه والرجل في ضحكه إذا أكثر منه، ونُهي عن الاستغراب في الضحك وهو أقصاه»¹

وقال ابن منظور: «غرب أي بَعُد، ويقال أُغْرِبُ عني أي تباعد... وغربت الكلاب: أي أمعنت في طلب الصيد... والغريب: الغامض من الكلام»².

المعنى الاصطلاحي:

الغريب من القرآن هو الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم التي لم تتضح دلالتها على المعنى بشكل ظاهر، وهي على وجهين: إما أن يكون معناها غامضا لا يفهم إلا بعد بحث وتنقيب وجهد، وإما أن يكون معناها معروفا لدى قوم دون غيرهم، لأما مستعملة في لغتهم . ولا يُقصدُ بها الحوشي والوحشي من الألفاظ، والذي ينافي الفصاحة ويُجلُّ بها، فالألفاظ القرآن الكريم كلها فصيحة تجل وتُنزّه عن هذا الوصف.

أما علم غريب القرآن:

فهو العلم الذي يهتم بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها، بما جاء في لغة العرب وكلامهم . قال أبو حيان الأندلسي: "لغات القرآن العزيز على قسمين: "قسم: يكاد يشترك في معناه عامة

1- الزمخشري، أسرار البلاغة، ص: 332.

2- لسان العرب، ابن منظور، مادة -غرب- ج6، ص: 552.

المستعربة وخاصتهم، كمدلول السماء والأرض وفوق وتحت. وقسم: يختص بمعرفته من له اطلاع وتبحر في اللغة العربية، وهو الذي صنف أكثر الناس فيه، وسَمَّوه: غريب القرآن¹. ”

مفهوم الغريب:

يلخص الدكتور محمود نحلة مفهوم الغريب فيقول: "الغريب في اللغة ما خالف الشائع المؤلف وتباعده عنه.

وفي اصطلاح البلاغين هو الوحشي أو الحوشي الذي لا يظهر معناه إلا بالتنقيح عنه في كتب اللغة المبسوطة. ثم ينقل عن ابن الأثير أن الوحشي قسمان: غريب حسن، وغريب قبيح، ثم يقسم الألفاظ إلى ثلاثة أقسام: قسمان حسنان، وقسم قبيح، "فالقسمان الحسنان أحدهما ما تداول استعماله الأول والآخر من الزمن القديم إلى زماننا هذا ولا يطلق عليه وحشي، والآخر ما تداول استعماله الأول دون الآخر ويختلف في استعماله بالنسبة إلى الزمن وأهله. وهذا هو الذي يعاب استعماله عند العرب، لأنه لم يكن عندهم وحشياً وهو عندنا وحشي، وقد تضمن القرآن الكريم منه كلمات معدودة، وهي التي يطلق عليها غريب القرآن... وأما القبيح من الألفاظ الذي يعاب استعماله فلا يسمى وحشياً فقط، بل يسمى الوحشي الغليظ"².

وينقل عن الأستاذ مصطفى صادق الرافعي - تعالى - قوله: "وفي القرآن ألفاظ اصطلاح العلماء على تسميتها بالغرائب، وليس المراد أنها منكراً أو نافرة أو شاذة كما رأيت في باب اللغة فإن القرآن مزه عن هذا جميعه، وإنما اللفظة الغريبة ها هنا هي التي تكون حسنة مستعربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها سائر الناس"³.

أسباب غرابة الألفاظ:

1- اشتمال القرآن على لغات العرب، من ثقيف وهذيل وغيرهم، فقد روي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كان يخاطب وفد بني فهد، قال: "يا رسول الله نحن بنو أب واحد، ونراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال: أدبني ربي فأحسن تأديبي، ورُبِّيت في بني سعد". ومن ذلك أيضاً ما روي عن عمر بن الخطاب: "بينما عمر رضي الله عنه على المنبر، قال: يا أيها الناس، ما تقولون في قوله عز وجل {أو يأخذكم على تخوف} [النحل، 47]؟ فسكت الناس، فقال شيخ من هذيل: هي لغتنا يا أمير المؤمنين، التخوف: التنقص... فقال عمر: أتعرف العرب ذلك في أشعارهم؟ قال نعم: قال شاعرنا أبو كبير الهذلي - يصف ناقه:

1- البحر المحيط، أبو حيان الاندلسي، ج5، ص: 134.

2- دراسات قرآنية في جزء عم/ د. أحمد محمود نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1989م، ص 72.

3- السابق ص 74.

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَأْمِكًا قَرِدًا كَمَا تَخَوَّفَ عَوْدَ النَّبْعَةِ
السَّفِينُ

فقال عمر رضي الله عنه: يا أيها الناس، عليكم بديوان شعر الجاهلية فإن فيه تفسير كتابكم ومعاني كلامكم.
2- اشتمال القرآن الكريم على ألفاظ مُعَرَّبَةٍ، تصادف وجودها عند أمم أخرى، مثل: {غسلين} [الحاقة،36] ومعناها صديد أهل النار، {قمطيريرا} [الإنسان،10] معناها شديدا - {استبرق} [الكهف،31] معناها الديباج.

3- اشتماله على بعض الخصائص التي تمتاز بها مفردات اللغة العربية كالترادف والمشارك اللفظي والتضاد. فمن أمثلة الترادف (الأسف) وهو الحزن إلا في قوله تعالى: {فلما آسفونا} [الزخرف،55] فمعناها أغضبونا. ومن الاشتراك اللفظي - يسميه بعض العلماء بالوجوه والنظائر - ما ذكره ابن الجوزي في كتابه نزهة الأعين: “ذكر أهل التفسير أن السوء في القرآن على أحد عشر وجها: أحدها الشدة ومنه قوله تعالى في سورة البقرة {يسومونكم سوء العذاب} [الآية39]...”، ومن التضاد قوله تعالى: {والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء} [البقرة، 227] فالقراء عند أهل الحجاز يعني الطهر، وعند أهل العراق يعني الحيض.

4- المعاني الإسلامية الجديدة التي أكسبها القرآن للألفاظ العربية، ولم تكن للعرب معرفة بها في الجاهلية، كأسماء الله الحسنى والاصطلاحات الفقهية وأسماء الآخرة كالصاخة والقارعة والواقعة.
5- دخول اللسان الأعجمي إلى الإسلام إثر الفتوحات الإسلامية، وما صاحبها من لحنٍ وابتعادٍ عن الفصاحة التي عرفها عصر الاستشهاد.

نماذج من كتاب المفردات في غريب القرآن للأصفهاني:

الصفحة الأولى من المقدمة ، وفيها عنوان الكتاب منسوب لصاحبه كالتالي:

المفردات في غريب القرآن تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى سنة 502هـ.

الصفحة الثانية من المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين. قال الشيخ أبو القاسم الحسين ابن محمد بن الفضل الراغب رحمه الله: أسأل الله أن يجعل لنا من أنواره نورا يرينا الخير والشر بصورتيهما. ويعرفنا الحق والباطل بحقيقتيهما، حتى نكون ممن يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، ومن الموصوفين بقوله تعالى (هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين) وبقوله: (أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه)، كنت قد ذكرت في الرسالة المنبهة على فوائد القرآن أن الله تعالى كما جعل النبوة بنبينا محتمة، وجعل شرائعهم بشريعته من وجه منتسخة ومن وجه مكملة متممة كما قال تعالى: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا (جعل كتابه المترل عليه متضمنا ثمرة كتبه التي

أولها أوائل الأمم كما نبه عليه بقوله تعالى: (يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة) وجعل من معجزة هذا الكتاب أنه مع قلة الحجم متضمن للمعنى الجم، وبحيث تقصر الأبواب البشرية عن إحصائه، والآلات الدنيوية عن استيفائه كما نبه عليه بقوله تعالى: (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم) وأشارت في كتاب الذريعة إلى مكارم الشريعة أن القرآن وإن كان لا يخلو الناظر فيه من نور ما يريه، ونفع ما يوليه، فإنه: كالبدر من حيث التفت رأيته * يهدى إلى عينيك نورا ثاقبا كالشمس في كبد السماء وضوءها * يغشى البلاد مشارقا ومغربا لكن محاسن أنواره لا يتقفها إلا البصائر الجليلة وأطاب ثمره لا يقطفها إلا الأيدي الزكية، ومنافع شفاؤه لا ينالها إلا النفوس النقية كما صرح تعالى به فقال في وصف متناوليه (إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون) وقال في وصف سامعيه (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى). وذكرت أنه كما لا تدخل الملائكة الحاملة للبركات بيتا فيه صورة أو كلب كذلك لا تدخل السكينات الجالبة للبينات قلبا فيه كبر وحرص، فالحيثات للحيثين، والحيثون للحيثات، والطيبات للطيبين، والطيبون للطيبات. ودلت في تلك الرسالة على كيفية اكتساب الزاد الذي يرقى كاسبه في درجات المعارف حتى يبلغ من معرفته أقصى.....

الصفحة الأولى بعد المقدمة، وهي الصفحة السابعة 7 من الكتاب.

كتاب الألف أبا: الأب: الوالد، ويسمى كل من كان سببا في إيجاد شئ أو إصلاحه أو ظهوره أبا، ولذلك يسمى النبي صلى الله عليه وسلم أبا المؤمنين، قال الله تعالى: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم) وفي بعض القراءات: وهو أب لهم، وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي " أنا وأنت أبوا هذه الأمة " وإلى هذا أشار بقوله: " كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سبي ونسبي ". وقيل أبو الأضياف لتفقد إياهم، وأبو الحرب لمهيجها، وأبو عذرتها لمفتضاها. ويسمى العم مع الأب أبوين، وكذلك الام مع الأب وكذلك الجد مع الأب، قال تعالى في قصة يعقوب: (ما تعبدون من بعدي، قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهنا واحدا) وإسماعيل لم يكن من آبائهم وإنما كان عمهم. وسمى معلم الانسان أباه لما تقدم من ذكره، وقد حمل قوله تعالى: (وجدنا آباءنا على أمة) على ذلك أي علماءنا الذين ربونا بالعلم بدلالة قوله تعالى: (ربنا إنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا). وقيل في قوله: (أن اشكر لي ولوالديك) إنه عنى الأب الذي ولده، والمعلم الذي علمه. وقوله تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) إنما هو نفى الولادة وتبنيه أن التبني لا يجري مجرى البنوة الحقيقية. وجمع الأب: آباء وأبوة، نحو بعولة وخؤولة. وأصل أب فعل وقد أجرى مجرى قفا في قول الشاعر: * إن أباه وأبا أباه * ويقال أبوت القوم كنت لهم أبا أبوهم، وفلان يأبو بهم أي يتفقدتها تفقد الأب.

وزادوا في النداء فيه تاء فقالوا يا أبت. وقولهم: بأبا الصبي فهو حكاية صوت الصبي إذا قال بابا.

أبي: الاباء: شدة الامتناع، فكل إباء امتناع وليس كل امتناع إباء. قوله تعالى: (ويأبى الله إلا أن يتم نوره) وقال: (وتأبى قلوبهم) وقوله: (أبى واستكبر) وقوله: (إلا إبليس أبى) وروى: (كلكم في الجنة إلا من أبى). ومنه رجل أبى ممتنع من تحمل الضيم، وأبى الضير تأبى، وتيس آبى، وعتر أبواء، إذا أخذ من شرب ماء فيه بول الأروى. داء يمنع من شرب الماء. أب: قوله تعالى: (وفاكهة وأبا)¹.

الصفحة الثانية 2 بعد المقدمة وهي الصفحة الثامنة 8 من الكتاب:

الأب المرعى المتهين للرعى والجز، من قولهم أب لكذا، أي تمياً أبا وإبابة وإبابا. وأب إلى وطنه إذا نزع إلى وطنه نزوعاً تمياً لقصد، وكذا أب لسيفه إذا تمياً لسله. وإبان ذلك فعلان منه وهو الزمان المهيأ لفعله ومحيطه. أبدأ: قال تعالى: (خالدين فيها أبداً) الأبد عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما يتجزأ الزمان، وذلك أنه يقال: زمان كذا، ولا يقال أبداً كذا. وكان حقه أن لا يثنى ولا يجمع إذ لا يتصور حصول أبداً آخر يضم إليه فيثنى به، لكن قيل أبداً، وذلك على حسب تخصيصه في بعض ما يتناول كتحصيل اسم الجنس في بعضه ثم يثنى ويجمع. على أنه ذكر بعض الناس أن أبداً مولد وليس من كلام العرب العراء وقيل: أبدأ، أبداً، وأبداً أي دائم وذلك على التأكيد.

وتأبد الشيء بقي أبداً، ويعبر به عما يبقى مدة طويلة. والآبدة البقرة الوحشية، والأوابد الوحشيات، وتأبد البعير توحش فصار كالأوابد، وتأبد وجه فلان توحش، وأبداً كذلك، وقد فسر بغضب. أبق: قال الله تعالى: (إذ أبق إلى الفلك المشحون) يقال: أبق العبد يأبق إباقاً وأبق يأبق إذا هرب. وعبد أبق وجمعه أباق، وتأبق الرجل تشبه به في الاستتار، وقول الشاعر:
قد أحكمت حكمت القد والأبقا قيل: هو القنب.

إبل: قال الله تعالى: (ومن الإبل اثنين) الإبل يقع على البعران الكثيرة ولا واحد له من لفظه. وقوله تعالى: (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت) قيل أريد بها السحاب، فإن يكن ذلك صحيحاً فعلى تشبيه السحاب، بالإبل وأحواله بأحوالها. وأبل الوحشي يأبل أبولاً وأبل أبلاً اجتزاً عن الماء تشبهاً بالإبل في صبرها عن الماء. وكذلك تأبل الرجل عن امرأته إذا ترك مقاربتها، وأبل الرجل كثرت إبله. وفلان لا يأبل، أي لا يثبت على الإبل إذا ركبها. ورجل آبل وأبل حسن القيام على إبله. وإبل مؤبلة مجموعة، والإبالة الحزمة من الحطب تشبهاً به. وقوله تعالى: (وأرسل عليهم طيراً أبابيل) أي متفرقة كقطعات إبل، الواحد أبيل.

أتى: الاتيان مجئ بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتى وأتاوى، وبه سمي الغريب فقيل أتاوى. والاتيان يقال للمجئ بالذات وبالأمور وبالتدبير. ويقال في الخير وفي الشر وفي الأعيان والاعراض نحو قوله

1- المفردات للراغب الأصفهاني: ص: 08، معلومات الطبعة.

تعالى (إن أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة) وقوله تعالى: (أتى أمر الله) وقوله: (فأتى الله بنيانهم من القواعد)
أي بالامر والتدبير، نحو: (جاء ربك) وعلى هذا النحو قول الشاعر:
* أتيت المروءة من بابها *

وعلى هذا المنوال جرى باقي الكتاب

وسأضيف بعض الصفحات من هذا الكتاب في الملحق إن شاء الله تعالى لمن أراد الاستزادة تحت عنوان

الملحق 4

المحاضرة الثانية عشر

الدرس الثاني

دراسة مصطلحات قرآنية

➤ الاصطفاء والاجتباء في القرآن الكريم

➤ التفكير في القرآن الكريم

➤ الران والختم والطبع في القرآن الكريم

➤ الارادة والمشينة والهداية والضلال في القرآن الكريم

➤ الاصلاح والرشد في القرآن الكريم

➤ الاصطفاء والاجتباء :

تعريف المصطلحين:

1-تعريف الاصطفاء: كلمة الاصطفاء هي من الفعل الخماسي اصطفى ، وجدر الفعل هو صفى .وصُطِفَاءُ الْوَكْدِ : تَفْضِيلُهُ ، اِخْتِيَارُهُ، والصافي والصفاء هما اللذان خليا من الكدر والشوائب وما يخل بالمادة الصافية والمرجوة ، والصفو والصفاء هما منزلة رفيعة وكريمة ومرتبة يكون لها خشوعها الداخلي وشم طيب وحسن داخل المرء وحسن خلقه وأديه، وكلمة اصطفى هي من وزن افتعال ، وهنا نعلم أن المصطفى يقوم بأمر ومنها:

- 1- يختار الشيء(الاشخاص ، الناس ، الأمة ، وحتى المادة.....).
- 2- يزيل عن المختار الشوائب وينقي معدنه.
- 3- الوصول إلى الامر المصطفى إلى حالة النقاء المطلوبة والمرجوة وكي تقوم بالمهمة المنوطة بها.
- 4- بعد الاصطفاء والاختيار وتزكية الشيء (الناس مثلا) ، ينوط بالمصطفى المهمة الطيبة والجيدة والكريمة بالذي اصطفى.

والاصطفاء مأخوذ من معنيين:

المعنى الأول: من الصفاء والصفو، ويعني الخلوص من الشوائب في مقابل الكدر، فيقال ماء صافٍ بمعنى خالص أو سماء صافية أي بدون غيوم.
هذا المعنى الأول من الصفاء والصفو يعني الخلوص في مقابل الكدر أو في مقابل التلوث.
المعنى الثاني: من الاصطفاء بمعنى الاختيار، مأخوذ من صفوة الشيء، يقال صفوة صفوة بالحرركات الثلاث، صفوة الشيء اختيار، وأخذ صفوة الشيء يقال له اصطفاء، إذن فالاصطفاء من هذين المعنيين هو خلوص الشيء وصفائه، واختياره وتفضيله وتقديمه¹.

آيات الاصطفاء من القرآن الكريم:

- ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ﴾ ﴿البقرة ١٣٢﴾
﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ﴾ ﴿آل عمران ٣٣﴾
﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾ ﴿النمل ٥٩﴾
﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا﴾ ﴿البقرة ١٣٠﴾
﴿قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ ﴿البقرة ٢٤٧﴾

1- معجم مقاييس اللغة، ج5، ص: 35.

﴿يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ آل عمران﴾
 ﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَىٰ النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي ﴿١٤٤﴾ الأعراف﴾
 ﴿أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ﴿٤٠﴾ الإسراء﴾
 ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴿٧٥﴾ الحج﴾
 ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿٣٢﴾ فاطر﴾ .
 ﴿وَأَنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ ص﴾ .

في القرآن الكريم

وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (15) مرة على اختلاف مشتقاتها .

2-تعريف الاجتباء:

ففي اللغة : "اجتبي الشيء : "اصطفاه واختاره "

وفي القرآن الكريم وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم (10) مرات بصيغ مختلفة، منها قوله تعالى :
 وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ.

والاجتباء قريب من جباية الأموال أي جمعها، ومن الجبّ مكان اجتماع الماء، فالإنسان المجتبي هو الذي جمع الله فيه المحاسن وكرّم السجايا.

لكن جبي فيها أخذ رغماً عن القوى المخالفة والمعارضة ، فكل الدلائل تقول أنه لن يخرج من ظهور أهل مكة -مثلا - رجل صالح أو نبي والله بقدرته فعل ذلك.

فلاجتباء هو تخليصه من دواعي القبح والشر حوله " شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ " .

أما اصطفي فهي عملية اختيار ناعمة طويلة الأمد للصفات الوراثية الحسنة - مثلا - حتى اجتمعت في مخلوق هو آدم ، ثم نوح.. فالاصطفاء هو ترقية من حسن إلى أحسن في الخلق والخلق¹ .

وتختلف كلمتا الإصطفاء والاجتباء، في أن الأولى تختص حسب قراءتنا للآيات بالأنبياء، بينما تعم الثانية المؤمنين من أوليائهم أيضاً. فقد يعبر بالاجتباء اختيار المؤمنين للإيمان، أو حتى للشهادة بالإيمان على الناس من حولهم. بلى؛ قد استخدمت كلمة الاجتباء في الأغلب للاصطفاء الإلهي للرسول عليهم السلام، حيث قال الله سبحانه: (مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ) (آل عمران/179)، وقد جاء في تفسير علي بن ابراهيم (اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ) أي يختار (ويَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ)، وهم المؤمنين الذين إختارهم وإجتباهم. (1).

الجمع بين معنى الاصطفاء والاجتباء:

قال الرَّاعِبُ الأصفهاني : الاجْتِبَاءُ الجَمْعُ على طَرِيقِ الاِصْطِفَاءِ ، واجْتِبَاءُ اللَّهِ العِبَادَ تَخْصِيصُهُ إِيَّاهُمْ بِفَيْضٍ يَتَحَصَّلُ لَهُمْ مِنْهُ أَنْوَاعٌ مِنَ النِّعَمِ بِلا سَعْيِ العَبْدِ ، وذلكَ لِلأَنْبِيَاءِ وَبَعْضِ مَنْ يُقَارِبُهُمْ مِنَ الصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ¹

آيات الاجتباء في القرآن الكريم:

- ﴿وَمَنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ سورة الأنعام (87)
- ﴿وَإِذَا لَمْ تَأْتِكُمْ بآيَةٌ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَاطٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ سورة الأعراف، الآية: 203.
- ﴿شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ سورة النحل، الآية: 121.
- ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرَوْا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ سورة مريم، الآية: 58.
- ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ سورة طه، الآية: 122.
- ﴿وَاجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ سورة الحج، الآية: 78.
- ﴿فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ سورة القلم، الآية: 50.

المحاضرة الثالثة عشر

الدرس الثالث

مصطلح التفكير في القرآن الكريم

- تعريف مصطلح التفكير واشتقاقاته اللغوية
- التعريف الاصطلاحي للفظ التفكير
- جمع الآيات المشتملة على لفظ التفكير
- موارد معاني مصطلح التفكير في القرآن الكريم
- الألفاظ المقاربة لفظ التفكير - التدبر - الاعتبار - التأمل -
- حقيقة التفكير
- الحث على التفكير
- مجالات التفكير
- نتائج التفكير

تعريف مصطلح "التفكير":

التفكير لغة:

جاء في لسان العرب : "التفكير التأمل ، والفكر : إعمال الخاطر في شيء"¹.
وقال ابن فارس: " الفاء والكاف والراء : تردد القلب في الشيء ، يقال : تفكر إذا ردد قلبه معتبراً"².
وقال الجوهري: التفكير: "التأمل والاسم: الفكر، والمصدر: الفكر بالفتح"³.
ولفظ التفكير مصدر لتفكر أو أمّا اسم (اسم مصدر) من فكر التي مصدرها التفكير، ومن المادة أيضا أخذ الفكر والفكر.

وعرف الإمام الفراهي الفكر بأنه: النظر فيما وراء الشيء، وقد يسمى بهذا المعنى اعتبارا.
وقال سيبويه: ولا يجمع الفكر، وحكى ابن دريد في جمعه أفكارا.

التفكير في الاصطلاح:

التفكير : جولان العقل في طريق استفادة علم صحيح⁴.
ومن المعنى اللغوي ندرك أن التفكير عمل قلبي مستمر ، ومناطه العقل ، وهو عملية لا تقصد بذاتها وإنما بما يحصله المرء منها ، وهو العمل والطاعة ، ولذلك فسر مجاهد - رحمه الله - قوله تعالى: وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ قال : يطيعون⁵ ، فالتفكير مآله الطاعة والتسليم والانقياد لله رب العالمين ، وإلا فلا فائدة منه.

قال ابن القيم في تعريف الفكرة في (متزلة الفكرة) : ((تحديق القلب إلى جهة المطلوب التماساً له))⁶، وقال الشرباصي : ((التفكير بالمعنى الأخلاقي الإسلامي القرآني : هو أن ينظر الإنسان في الشيء على وجه العبرة والعظة ، لتقوية جوانب الخير والصلاح ، ومقاومة دواعي الشر والفساد))⁷، وقال القرطبي في تفسير قوله تعالى : ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ((التفكير في قدرة الله تعالى ومخلوقاته والعبر الذي بث ، ليكون ذلك أزيد في بصائرهم : وفي كل شيء له آية تدلُّ على أنه واحد))⁸.
وقال ابن عثيمين : ((التفكير هو أن الإنسان يُعمل فكره في الأمر حتى يصل فيه إلى نتيجة))⁹.

¹ - ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص : 65.

² - ابن فارس معجم مقاييس اللغة، ج4، 446.

³ - في لسان العرب، ابن منظور، ج5، ص: 3451، دار المعارف.

⁴ - محمد الطاهر بن عاشور، ج4، 244.

⁵ - ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج4، ص: 11.

⁶ - تهذيب مدارج السالكين ، ص 105 ، ابن القيم ، دار السوادي.

⁷ - موسوعة أخلاق القرآن ، للشرباصي ج 2 ، ص 226.

⁸ - الجامع لأحكام القرآن ، للقرطبي ، ج4 ، ص 313 .

⁹ - شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، ج2 ، ص 536 .

مفهوم التفكير في القرآن الكريم

في القرآن الكريم ورد لفظ التفكير وما يشتق منه ثمان عشرة (18) مرة، أغلب هذه الموارد في سور مكية. عدد من هذه الموارد جاء في تعداد نعم الله - عز وجل - وما سخره للإنسان في هذه الأرض من وسائل الحياة: (وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة الرعد/ الآية: 3] (وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة الجاثية/ الآية: 12].

وغالبا ما يعقب ذكر هذه الآيات المسخرات الحث على التفكير، وكأن التفكير هو الوسيلة الموصلة إلى فهم طبيعة هذه الآيات الكونية التي تفضي هي نفسها إلى نتيجة واحدة هي أن وراء هذا الكون المسخر إله واحد يستحق من الإنسان الشكر على هذه الآيات المسخرات، وأول منازل هذا الشكر: العبادة، وتتلو هذه الحقيقية حقيقة أخرى هي أن هذا العالم الدنيوي لم يكن ليخلق عبثا، بل هو مطبنا إلى العالم الحقيقي، وهذه حقيقة نطق بها القرآن الكريم على لسان المؤمنين المتفكرين: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قِنَا عَذَابَ النَّارِ) [سورة ال عمران/ الآية: 191].

كما جاءت هذه الحقيقة في سياق استنكار فعل الغافلين عن الآخرة: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) [سورة الروم/ الآية: 7].

ومن خصائص موارد لفظ التفكير أنه جاء في أكثر من موضع في سياق ضرب الأمثال نذكر منها المثل الذي ضرب للحياة الدنيا:

(إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَعْنِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة يونس/ الآية: 24]، وضرب الأمثال كما هو معلوم من الوسائل الاستدلالية والبرهانية التي يستعملها القرآن الكريم لتقرير الحقائق الدينية، ولذلك غالبا ما يعقب ذكر المثل الدعوة إلى التفكير فيه: (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَّاسٍ لِّعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة الحشر/ الآية: 21]. فالمثل هنا ليس مقصودا لذاته، وإنما هو مسوق لمقصد آخر لا نستطيع الوصول إليه إلا بإعمال الفكر والتدبر والتأمل، ولذلك ناسب التعقيب في آيات الأمثال باستعمال هذه المفردات.

ومن خصائص موارد اللفظ أيضا وروده في سياق حوار الأنبياء مع أقوامهم، ودعوتهم إياهم لعبادة الله وحده، والتفكير في هذه المواطن مطلوب، ذلك أن دعوة الأنبياء بنيت على أساس من البرهان يروم لفت النظر إلى مجموعة من الحقائق، منها حقيقة النبوة وطبيعة النبي التي لا تفارق في شق منها الطبيعة البشرية: (قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنِّي أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ

يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ) [سورة الأنعام/ الآية: 51]. ومنها وظيفة النبي المتمثلة في البيان الذي يستلزم من المتلقين له التفكير: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) [سورة النحل/ الآية: 44].

إن حقيقة النبوة من الحقائق العقديّة الكبرى التي تستلزم التفكير، ولو أن الناس تفكروا قليلا في دعوات الأنبياء لما حادوا عن اتباعهم، وقد شدد الله -عز وجل- على هذا الأمر كثيرا في معرض عرض مواقف الناس من الأنبياء: (أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [سورة الأعراف/ الآية: 184]. (قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَأَحَدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جَنَّةٍ إِن هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ) [سبأ: 46].

إن الناظر في مفهوم التفكير من خلال هذه الآيات، يلحظ أن التفكير هو بحق طريق الإيمان والاعتقاد الصحيح بالله -عز وجل- وبآياته وبرسله¹.

الآيات الواردة في "التفكير":

- 1- يستلونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويستلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (219)¹.
- 2- أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون (266)
- 3- إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب (190) الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار (191) ربنا إنك من تدخل النار فقد أجزيتنا وما للظالمين من أنصار (192).
- 4- قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون (50).
- 5- واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين (175) ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون (176).
- 6- أو لم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة إن هو إلا نذير مبين (184) أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون (185).

¹ - مقال للدكتورة فريدة زمرد، نشر في ميثاق الرابطة: يوم 20 - 11 - 2009م، <https://www.maghress.com/almithaq/2400>، بتصرف.

7- إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون (24).

8- الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون (2) وهو الذي مد الأرض وجعل فيها رواسي وأهوارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (3).

9- هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون (10) ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (11) وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (12) وما ذرأ لكم في الأرض مختلفا ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يذكرون (13) وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (14).

10- وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا نوحى إليهم فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون (43) بالبينات والزبر وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون (44).

11- وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون (68) ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون (69).

12- أو لم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله السماوات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون (8) أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (9).

13- ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون (20) ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (21) ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين (22) ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغائكم من فضله إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون (23) ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا ويتزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (24).

14- قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد (46).

15- الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (42).

- 16- الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون (12) وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون (13) .
- 17- لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون (20) لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون (21) .

حقيقة التفكير

قال ابن القيم- رحمه الله-: أصل الخير والشر من قبل التفكير؛ فإن الفكر مبدأ الإرادة والطلب في الزهد والترك والحب والبغض.

وأنفع الفكر الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها وفي دفع مفسد المعاد وفي طرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أجل الأفكار، ويلها أربعة: فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفسد الدنيا وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء.

ورأس القسم الأول الفكر في آلاء الله ونعمه وأمره ونهيه وطرق العلم به وبأسمائه وصفاته من كتابه وسنة نبيه وما والاهما، وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها وفي الدنيا وخستها وفنائها أثمر له ذلك الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل وضيق الوقت أورثه ذلك الجد والاجتهاد وبذل الوسع في اغتنام الوقت.

وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد موتها وسفولها وتجعله في واد والناس في واد. وبإزاء هذه الأفكار الرديئة التي تجول في قلوب أكثر الخلق. كالفكر فيما لم يكلف الفكر فيه ولا أعطي الإحاطة به من فضول العلم الذي لا ينفع، كالفكر في كيفية ذات الرب مما لا سبيل للعقول إلى إدراكه.

الألفاظ المقاربة للفظ الفكر والتفكير:

التدبر - التذكر - الاعتبار - النظر - التأمل - البصر.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله : - (والتذكر والنظر والتأمل والاعتبار والتدبر والاستبصار كلها معان متقاربة)¹.

قال الغزالي في الإحياء : ((أما التدبر والتأمل والتفكير : فعبارات مترادفة على معنى واحد ليس تحتها معانٍ ، وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر ، فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل المسمى واحد))². ومع وجود الاختلاف في معنى الاعتبار والنظر إلا أن النظر قد يطلق - أحيانا - ويراد به الاعتبار .

قال الدماغي : ((في الوجه الثالث لمعنى النظر في كتاب الله [النظر : الاعتبار ، وقوله تعالى في سورة الغاشية: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ أي ((أفلا يعتبرون))¹. ولعل هذا هو المعنى المشترك الذي

¹ - ابن القيم، مفتاح دار السعادة، ج1، ص: 182.

² - احياء علوم الدين، الغزالي: ج4، ص: 426.

تتضمنه كل كلمة منها ، والذي أشار إليه ابن القيم² فذكر أن التفكير والتذكر والنظر والتأمل والاعتبار والتدبر والاستبصار معانٍ متقاربة تجتمع في شيء وتفترق في آخر³.

الحث على التفكير باعتباره فريضة اسلامية

يظن الكثير من الناس أن أيًّا من التدبُّر في كلام الله -القرآن الكريم- أو التفكُّر في خلق الله المحسوس -الكون الفسيح- هو رفاهية فكرية يستمتع بها محبو الفكر في وقت صفائهم الذهني. إن هذا الظن لهو من أكبر الأخطاء في فهم دين الإسلام.

إن التدبُّر والتفكُّر لهما واجبان حتميان على أي مسلم يريد أن يرضي الله تعالى في الدنيا والآخرة. قال الغزالي⁴ - رحمه الله -: "كثر الحث في كتاب الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار، ولا يخفى أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم، وأكثر الناس قد عرفوا فضله ورتبته لكن جهلوا حقيقته وثمرته ومصدره"⁵.

والتفكير يحتاج إلى شيء من الصبر والتكلف ، وتصرف القلب في طلب المعنى ، ومبدأ ذلك معنى يخطر الله تعالى على بال الإنسان فيطلب متعلقاته التي فيها بيان عنه من كل وجه يمكن منه⁶.

وقد أمر الله - عز وجل - بالتفكير في مخلوقاته والتأمل في بديع صنعه والنظر في آياته الشاهدة على وجوده ووحدانيته . قال - عز وجل: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خَلَقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ * فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ ، قال القرطبي - رحمه الله تعالى - : ((استدل بهذه الآية - وما كان مثلها من قوله تعالى : ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ ، من قال بوجوب النظر في آياته والاعتبار بمخلوقاته . قالوا : وقد ذم الله - تعالى - من لم ينظر ، وسلبهم الانتفاع بجواسمهم فقال تعالى : ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾⁷ . وسواء قيل بالوجوب أم بالاستحباب فإن الإعراض عن هذه العبادة - بلا شك - مصيبة ، إذ إنها إشارة إلى غفلة القلب وإعراضه عن ربه ، وقد جعل الله - عز وجل - الإعراض عن التفكير عقوبة من العقوبات التي تلحق المتكبرين والحائدين عن طريق الحق ، قال

¹ - قاموس القرآن أو إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم ، الدامغاني ، ص 459 ، دار العلم للملايين ، ط3.

² - مفتاح دار السعادة ، ج 1 ، ص 182 ، دار الفكر(العبارة بتصرف).

³ - كتاب الرائد ، ج 1 ص 206.

⁴ - احياء علوم الدين، الغزالي، ص:321.

⁵ - للاستزادة: انظر صفات: التأمل- التأني- التبين (التثبت) - التدبر- تذكر الموت- التذكير- الذكر- النظر والتبصر. وفي ضد ذلك:

انظر صفات: اتباع الهوى- الأمن من المكر- لبلادة والغباء- العجلة- الغفلة- اللهو واللعب- الإعراض.

⁶ - نظم الدرر، البقاعي: ج 3، ص: 4.

⁷ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: ج 7، ص: 331.

تعالى : ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ . قال الإمام الطبري : ((سأمنع فهم الحجج والأدلة الدالة على عظمي ، قلوب المتكبرين عن طاعتي ، عقوبة لهم على تكبرهم ، فهم عن الاعتبار والادِّكار مصروفون))¹ .

فوائد وفضائل التفكير:

- (1) طريق موصل إلى رضوان الله ومحبته.
- (2) انشراح للصدر وسكينة للقلب.
- (3) التفكير يورث الخوف والخشية من الله - عز وجل -.
- (4) التفكير يورث الحكمة ويحيي القلوب.
- (5) كثرة الاعتبار والاتعاظ من سير السابقين.
- (6) التفكير قيمة عقلية كبرى تؤدي إلى يقظة الأفراد ونهضة الأمم.

¹ - مختصر تفسير الطبري ، للصابوني ، ج 1 ، ص 283 ، دار القرآن الكريم ، ط 1.

المحاضرة الرابعة عشر

الدرس الرابع

الران والختم والطبع في القرآن الكريم

- الفروق بين هذه المصطلحات
- تعريف هذه المصطلحات
- علاقة الران بالختم
- استعمالات القرآن الكريم لهذه المصطلحات
- لطائف وهدايات من خلال آيات الران والختم والطبع

الفرق بين هذه المصطلحات¹:

الفرق بين الران و الختم و الطبع : في قوله تعالى (كلا بل ران على قلوبهم) وفي قوله تعالى (بل طبع الله عليها بكفرهم) وفي قوله تعالى (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) .
لماذا استخدم الله عز وجل في الآية الأولى الران وفي الثانية الطبع وفي الثالثة الختم هل هناك فرق ؟
أصل الران : الصداً الذي يعلو حديدَ السيف والمرآة ، ويعني : اسوداد القلب من الذنوب ؛ لأن العبد إذا ارتكب ذنباً نكت في قلبه نقطة سوداء . وأصل المعنى مستنبط من : أن تضرب في الأرض بقضيب ؛ فيؤثر فيها نكتة سوداء ، ومعنى نُكت في قلبه نكتة سوداء ؛ أي : جعلت في قلبه نكتة سوداء ؛ أي : أثر قليل كالنقطة يشبه الوسخ في المرآة والسيف ونحوهما . وفيه حديث صحيح : فعن أبي هريرة أن رسول الله قال : إن المؤمن (في بعض الروايات : إن العبد) إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر سقل (جلي) منها قلبه وإن زاد زادت حتى يعلق بها قلبه فذلك الران الذي ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) . إذن قد يقع المؤمن في : الران وهو نسبي بحسب رغبته في المعصية ؛ فيختلف الران على حسب المعصية وقدرها ؛ ولذا فقد شبه النبي — — القلب بثوب في غاية النقاء والبياض . والمعصية بشيء في غاية السواد ، وقد أصاب السواد ذلك الأبيض ؛ فبالضرورة أنه سيذهب ذلك الجمال منه ؛ فكذلك الإنسان إذا أصاب المعصية صار كأنه حصل ذلك السواد في ذلك البياض ، فإذا هو نزع نفسه عن ارتكاب المعاصي واستغفر ؛ أي : سأل الله عز وجل المغفرة وتاب من الذنب : انجلي قلبه ، وعاد للبياض . لأن التوبة تمحو وسخ القلب وسواده ، وإن عاد العبد في الذنب والخطيئة زيد فيها ؛ أي : في النكتة السوداء حتى تعلق النكت قلبه ؛ أي : تطفئ نور قلبه فتعمي بصيرته . ولا حول ولا قوة إلا بالله . فيصبح الران كالغشاوة على قلبه . و(الران) قد ورد في القرآن الكريم في شأن الكافر المكذب الذي إذا تتلى عليه آيات الله قال أساطير الأولين ؛ فهذا زعم فاسد ، بل هو كلام الله سبحانه وتعالى ، وإنما حجب قلوبهم عن الإيمان به ما عليها من الران الذي قد لبس قلوبهم من كثرة الذنوب والخطايا والران يعتري قلوب الكافرين . لكن المؤمن إذا تلذذ بالمعصية واستمر عليها يشبه الكافر في اسوداد القلب (أسأل الله لي ولكم العافية) وقوله عز وجل : (ما كانوا يكسبون) ؛ أي : ما عملوه سالفاً من سيئات أعمالهم وجماعهم عن التدبر في الآيات حتى صار الإعراض والعناد خُلُقاً متأصلاً فيهم فلا تفهم عقولهم . والتعبير بقوله تعالى : (يكسبون) بصيغة المضارع دون الماضي لإفادة تكرر ذلك الكسب وتعددده في الماضي . ولا بد أن ندرك أن الله تبارك وتعالى عندما يذكر صفات المكذب ، والكافر ؛ فإنه يذكرها لأمرين : 1- لبيان صفات هؤلاء الكافرين . 2- لتحذير المؤمن من الوقوع في تلك الصفات .

¹ - هناك مصطلحات قريبة من المصطلحات المذكورة الثلاثة، مثل: الحجاب- الغلاف- الغطاء- ألحت تعاريف خاصة بها في الملحق 6 من كتاب الحاوي في تفسير القرآن، من أراد الاستزادة فليرجع إليها.

والختم حقيقته السد على الإناء والغلق على الكتاب بطين (وهو ما يعرف الآن بالشمع الأحمر) ونحوه مع وضع علامة مرسومة في خاتم ليمنع ذلك من فتح المختوم ، فإذا فُتح علم صاحبه أنه فتح لفسادٍ يظهر في أثر النقش . وقد كانت العرب تختم على القوارير . ومن هنا ندرك أن (الختم) مرحلة أعلى من الران ، ولذا لم يكن إلا في حق الكافر . وكان في قوله تعالى : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة) . لأن الله تبارك وتعالى هو الذي يخبر عن هؤلاء الكافرين ؛ فأخبر هنا بالختم الذي هو في المرحلة الثانية من الإغلاق ؛ لعل منهم من يفكر ؛ فيعود لربه ؛ فالباب مفتوح . ولذا عندما قالوا (قلوبنا غُلف) يريدون أن يشبوا أنهم هم الذي أغلقوا قلوبهم عن الهداية ؛ فقال الله تعالى مبيناً أنه هو الذي طبع عليها بسبب كفرهم . : (بل طبع الله عليها بكفرهم) .

والطبع : إحكام الغلق بجعل الطين (ما يعرف بالشمع الأحمر) فوق الشيء المطبوع ، لكنه أكثر إحكاماً للغلق من : (الختم) بحيث لا ينفذ إليه مستخرج ما فيه إلا بعد إزالة ذلك الشيء المطبوع به . والطبع يُعدّ مرحلة أعلى ؛ لأن به إحكام الغلق إحكاماً تاماً ، ولذا فهو أعلى مرحلة . وللطبع معنى آخر ، وهو : الصدأ الذي يعلو الشيء فيفسده . ولذا لم يستعمل الله (الطبع) على السمع إلا في موضع واحد لحكمة أرادها الله جل وعلا . وكذا لم يستعمل الختم في السمع ، وإنما الغشاوة فقط ؛ فلماذا ؟ ولتقريب المعنى بين : الران ، والختم ، والطبع ، أقول : لو أن عندك شيء ثمين ، وتريد إخفائه ، فأنت تتبع المراحل الآتية : 1- إخفاؤه بأن تُدهنه لونا آخر يخفي معالمة ، لكن هذا اللون قد يفسده إذا تركته فترة كبيرة . (وهذا يقابله الران) . 2- تغلق باب الغرفة التي وضعت فيها الشيء من حرصك . (وهذا يقابل الختم) . 3- تغلق باب البيت الخارجي . (وهذا يقابل الطبع) . فأصبح الطريق للوصول إلى الشيء صعباً بل مستحيلاً . فالطبع هو : أعلى المراحل ، ولذلك : لم قال الله عز وجل : (ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) ، ولم يقل : (فهم لا يفقهون ، أو : فهم لا يعقلون)...¹ .

التعريف بمصطلح الران:

وأما الران فقد قال تعالى : { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } ، قال أبو عبيدة: غلب عليها والخمر ترين على عقل السكران والموت يرون على الميت فيذهب به ومن هذا حديث اسيفع جهينة وقول عمر: فأصبح قدرين به أي غلب عليه وأحاط به الرين وقال أبو معاذ النحوي: الرين أن يسود القلب من الذنوب والطبع أن يطبع على القلب وهو أشد من الرين والإقفال أشد من الطبع وهو أن يقفل على القلب وقال الفراء: كثرت الذنوب والمعاصي منهم فأحاطت بقلوبهم فذلك الرين عليها وقال أبو إسحاق: ران

¹ - من لطائف القرآن - الكفار بين الختم والغشاوة . د. صلاح الخالدي . بتصرف قليل.

غطى يقال ران على قلبه الذنب يرين رينا أي غشيه قال: والرین كالغشاء يغشى القلب ومثله الغين قلت: أخطأ أبو إسحاق فالغين ألطف شيء وأرقه¹.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإنه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة» وأما الرين والران فهو من أغلظ الحجب على القلب وأكثرها وقال مجاهد: هو الذنب على الذنب حتى تحيط الذنوب بالقلب وتغشاه فيموت القلب.

وقال مقاتل: غمرت القلوب أعمالهم الخبيثة.

وفي سنن النسائي والترمذي من حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء فإن هو نزع واستغفر وتاب صقل قلبه وإن زاد زيد فيها حتى تعلو قلبه وهو الران الذي ذكر الله { كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ } » قال الترمذي هذا حديث صحيح.

وقال عبد الله بن مسعود: كلما أذنب نكتت في قلبه نكتة سوداء حتى يسود القلب كله فأخبر سبحانه أن ذنوبهم التي اكتسبوها أوجبت لهم رينا على قلوبهم فكان سبب الران منهم وهو خلق الله فيهم فهو خالق السبب ومسببه لكن السبب باختيار العبد والمسبب خارج عن قدرته واختياره².

التعريف بمصطلح الختم:

ختمت الشيء ختما فهو محتوم ومختم، شدّد للمبالغة، وختم الله له بخير، وختمت القرآن : بلغت آخره ، واختتمت الشيء نقيض افتتاحه، والخاتم والخاتم والختام والخاتام كـلّه بمعنى، والجمع الخواتيم، وتختمت : إذا لبسته، وخاتمة الشيء : آخره، ومحمد خاتم الأنبياء ص، والختام : الطين الذي يختم به، و { خِتَامُهُ مِسْكٌ } [المطففين : 26] : أي آخره لأن آخر ما يجدونه رائحة المسك، وعليها ختم أي طينة محتومة مثل قبض بمعنى مقبوض³.

فأما الختم وهو الطبع على الشيء، - فذلك من الباب أيضا، لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره في الأحراز، والخاتم مشتق منه لأن به يختم، ويقال الخاتم والخاتام والخيتام. وختام كل مشروب : آخره. قال تعالى { خِتَامُهُ مِسْكٌ } [المطففين : 26] ، أي ان آخر ما يجدونه منه عند شربهم آياه رائحة المسك.

التهذيب 7 / 313- قال الليث : ختم يختم اى طبع، والخاتم : الفاعل والخاتم : ما يوضع على الطينة، وهو اسم مثل العالم. والختام : الذي يختم به على كتاب. وختام الوادي : أقصاه، وخاتمة السورة : آخرها،

¹ - الحاوي في تفسير القرآن، المعروف بـ (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق) ، عبد الرحمن القماش، ج6، ص: 224.

² - المصدر السابق، ج6، ص: 226.

³ - حسن المصطفوي، تحقيقات في ألفاظ القرآن، ج3، ص: 25-28.

وخاتم كل شيء : آخره. ويقال ختمنا زرعنا إذا سقيته أول سقية فهو الختم والختم اسم له، لأنه إذا سقى فقد ختم بالرجاء ، { خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } [البقرة : 7] - كقولهِ { - طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ } [النحل : 108].

علاقة الختم بالطبع:

هناك تداخل كبير بين معنى المادتين لدرجة أن العلماء يجعلون الختم طبعا ، والطبع ختما . لذلك لا أسرد هنا كلامهم في معنى (ختم) ثم كلامهم في معنى (طبع) إنما أسوق هذه المعاني من خلال المادتين معا ، حتى تتجلى الفروق الدقيقة بينهما فتكون مرآة في طليعة هذه الدراسة الموجزة ترشد إلى شيء من أسرار اختلاف التعبير بـ (ختم) في موطن من القرآن وبـ (طبع) في موطن آخر، وبغيرهما في ثالث... وهكذا.

دلالة اختلاف التعبير بـ (ختم و طبع) في القرآن الكريم من خلال شواهدهما، وبنقاش ما قيل فيهما من أنهما بمعنى واحد، أو أن الثاني أقوى من الأول ، وأنهما من باب المجاز أو الحقيقة، وكيف كانت شواهد (طبع) أكثر من شواهد (ختم)، وما في كل منهما من خصوصيات حيث اختصت (ختم) بالقلوب، والأسماع، والأفواه، وجاءت (طبع) مرة واحدة على القلوب، والأسماع ، والأبصار، وما عدا ذلك كانت على القلوب فقط إلا أن شواهدا - غالبا - تختم بنفي السمع ، أو العلم ، أو الفقه، أو الإيمان، ولكل شاهد مقامه الذي يجليه موطن الاستدلال، ودار البحث حول ذلك دراسة ومناقشة.

ففي معنى (ختم) يقول ابن فارس : الخاء والتاء والميم أصل واحد ، وهو بلوغ آخر الشيء ، يقال: ختمت العمل ، وختم القارئ السورة ، فأما الختم وهو الطبع على الشيء فذلك من الباب أيضا ، لأن الطبع على الشيء لا يكون إلا بعد بلوغ آخره و في معنى (طبع) يقول: "الطاء والباء والعين أصل صحيح ، وهو مثل على نهاية ينتهي إليها الشيء حتى يختم عندها ، يقال: طبعت على الشيء طبعا، ومن ذلك : طبع الله على قلب الكافر كأنه ختم عليه ، حتى لا يصل إليه " ١ هدى ولا نور فلا يوفق لخير . فنلاحظ التقارب الشديد في عرضه معنى المادتين حتى قال في الأولى: فأما الختم وهو الطبع ..، وقال في الثانية: طبع الله على قلب الكافر كأنه ختم عليه ، وهذا التداخل كان من أهم دوافع هذا العمل حتى يتجلى سر التعبير بـ (ختم) هنا، و(طبع) هناك.

أما الراغب الأصفهاني فدرسهما كأشياء واحدة وهو يتحدث عن معنى (ختم) ثم فرق بينهما من جهة العموم والخصوص وهو يتحدث عن معنى (طبع) فبين أولا أنهما على وجهين .الاول: مصدر ختمت وطبعت، وهو تأثير الشيء كنقش الخاتم والطابع.

والثاني: الأثر الحاصل عن النقش، ويتجاوز بذلك تارة في الاستيثاق من الشيء والمنع منه ، اعتبارا بما يحصل من المنع بالختم على الكتب والأبواب ، نحو "ختم الله على قلوبهم" ، "ختم الله على سمعه وقلبه"¹.

استعمال القرآن للمصطلحات الثلاثة:

1- استعمال الختم والطبع على القلوب الاسماع:

جاءت (ختم) على القلوب والاسماع بصيغة الجمع في القلوب، والإفراد في السمع مرة ، وبصيغة المفرد فيهما أخرى ، والأولى تقدمت فيها القلوب . قال تعالى: سورة البقرة - ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم (7) البقرة ٧ . والثانية تقدم فيها السمع ، قال تعالى: ! سورة الجاثية - أفرايت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون (23) الجاثية ٣ . وبينهما فروق ، أما (طبع) فجاءت على القلوب والاسماع والأبصار، وذلك في شاهد واحد قال تعالى: أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْعَافِلُونَ النحل ١٠٨ وقد وردت كلها بصيغة الجمع ، ولم يأت على الأبصار ختم ، بل جاءت عليها الغشاوة ، ولم يأت عليها طبع إلا في هذه الآية ، ولكن يمكن أن يطبع على قلوبهم فتسلب عن الاسماع صفتها ، وعن العقول عملها كما ورد في آيات تسلط الختم فيها على القلوب ، وزيلت بقوله سبحانه "فهم لا يسمعون" و "فهم لا يفقهون" يعنى آلات أخرى يؤدي الطبع على القلوب إلى تعطيلها عن سماع الحق وفقهه .. والملاحظ هنا أن (طبع) فيها عموم ليس في ختم . والملاحظ هنا أن (طبع) فيها عموم ليس في ختم حيث تسلطت على الثلاثة (القلب والسمع والبصر) وأدت إلى تعطيل السمع تارة والفقهاء أخرى .

2- استعمال ختم على القلوب واختصاصها بالأفواه:

فجاء الختم على القلوب فقط في شاهدين ولكل منهما مقامه: الأول في سورة الأنعام ، ومقامه التذكير بقدرة الله تعالى ، ودليل صحة هذا المقام أنه سبحانه بعد أن تحدث عن قدرته على بعث الموتى وإرجاعهم إليه في قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46)، قوله بين قدرته على إنزال الآية ، وبيان شأن كل دواب الأرض ، وبيان مصير المكذبين وموقفهم إذا حل بهم العذاب وأنه لا يستطيع كشفه أحد سواه ، ثم بين على طريق التقرير الدال على علمهم بالحق ومكابرتهم في الاعتراف به إن سلبت منهم النعم الدالة إلى الحق فمن غيره يأتيهم بما؟ وذلك هو موطن الشاهد قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ (46)، فالختم على القلوب هنا جاء بعد تقدير أخذ السمع والأبصار ، ولم يأت الحديث عن السمع بالختم ، وعن

¹ - المفردات للراغب الاصفهاني: ص: 223.

الأبصار بالغشاوة كما سبق ، بل تحدث عنهما بالأخذ الدال على السلب الكلي المؤدي إلى طمس المعالم ، وهذا أشد من الختم المسلط على القلوب ، ولو يصلح فيها الأخذ مع بقاء الحياة لعبر به ، ولكن جاء التعبير بـ "ختم" الدال على إغلاقها¹.

3- استعمال طبع على القلوب وحدها:

جاء الطبع على القلوب فقط دون الأسماع والأبصار أو أحدهما في عشرة شواهد من القرآن الكريم ، توجه الإسناد إلى اسم الجلالة صريحا في ستة منها ، و جاء التعبير بالماضي (طبع) في ثلاثة ، وبالمضارع في ثلاثة أخرى ، كما جاء الإسناد إلى ضمير اسم الجلالة في شاهدين ، والبناء للمفعول في آخرين ، فتلك عشرة شواهد بيّناها كما يأتي:

1- شواهد التعبير بالماضي مسندا للفظ الجلالة:

- قال تعالى: "بل طبع الله عليها بكفرهم" وذلك حينما قالوا "قلوبنا غلف". النساء، آية: 155. وهنا نلاحظ الفرق بين زعمهم بأنها غلف ، ورد الحق بأن عليها هذا الطبع بكفرهم، وهذا يجلي أنها خلقت على الفطرة لا غشاء عليها ، ولما كفروا عاقبهم الله بذلك.

- قال تعالى: سورة التوبة - إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون (93).

- قال تعالى: سورة النحل - أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون (108).

2- شواهد التعبير بالمضارع مستندا الى لفظ الجلالة أو ضميره.:

- قال تعالى: سورة الأعراف - تلك القرى نقص عليك من أنبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات -فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين (101).

- قال تعالى: سورة الروم - كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون (59).

- قال تعالى: سورة غافر - الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم كبير مقتا عند الله وعند الذين آمنوا كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار (35).

3- الطبع مسندا الى ضمير لفظ الجلالة:

- قال تعالى: سورة الأعراف - أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون (100).

- قال تعالى: سورة يونس - ثم بعثنا من بعده رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين (74)

¹ - بحث للسيد: السيد محمد السيد سلام، الختم والطبع ودلالاتهما البلاغية في القرآن الكريم. <http://bfam.journals.ekb.eg/article>.

4- الطبع مسندا للبناء للمفعول:

-قال تعالى: سورة المنافقون - ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (3).

-قال تعالى: سورة التوبة - رضوا بأن يكونوا مع الخوالم وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون (87).

استعمال القرآن الكريم الران:

قال تعالى: سورة المطففين - كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون (14).

- رَانَ ﴿١٤﴾ المطففين ﴿غلب وغطى﴾.
 - رَانَ على قلوبهم ﴿١٤﴾ المطففين ﴿غَلَبَ وَغَطَّى﴾ عليها أو طبع عليها.
 - رَانَ ﴿١٤﴾ المطففين ﴿ران عليها: غلب عليها وغطاها﴾.
 - رين الرين: صداً يعلو الشيء الجلي، قال: ﴿بل ران على قلوبهم﴾ [المطففين / 14]، أي: صار ذلك كصداً على جلاء قلوبهم، فعمي عليهم معرفة الخير من الشر.
- يقول صاحب أيسر التفاسير في تفسير الآية: . ليس الأمر كما زعموا، بل هو كلام الله ووحيه إلى نبيه، وإنما حجب قلوبهم عن التصديق به ما غشاها من كثرة ما يرتكبون من الذنوب.
- وجاء في تفسير الجلالين: ﴿بل ران﴾ غلب.

بعض اللطائف اللغوية والهدايات في تفسير آية الختم على القلوب (من كتاب الخالدي)

قال تعالى عن الكفار: " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة... " البقرة: {7} هذه الآية مكونة من جملتين: الجملة الأولى فعلية، وهي: "ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم" والجملة الثانية اسمية، وهي: "وعلى أبصارهم غشاوة". الختم هو الطبع، وإغلاق الشيء المفتوح، وهذا يناسب القلب الذي يختم عليه ليغلق، وعلى الأذن لتغلق أيضاً. والغشاوة هي الغطاء، الذي يغطي الشيء ويجعل سائراً على الشيء فلا تراه العين... والعين لا يختم عليها، وإنما توضع أمامها الغشاوة التي تحجبها عن الرؤية. ومن اللطائف التي يمكن أن نجدتها في الآية:

1- عبّر عن الختم على القلوب والآذان بالجملة الفعلية، الدالة على التجدد والاستمرار، للإشارة على تجدد الختم وتأكيده.

2- عبّر عن الغشاوة على الأبصار بالجملة الاسمية، الدالة على الثبات والاستقرار، للإشارة إلى ان الغشاوة ثابتة راسخة مستقرة.

3- ذكر حرف الواو في الآية مرتين: — كانت الواو في المرة الأولى حرف عطف: "على قلوبهم وعلى سمعهم" عطف السمع على القلوب، باعتبارهما اسمين مجرورين. — كانت الواو في المرة الثانية حرف استئناف، حيث دخلت على جملة اسمية استئنافية. "على أبصارهم": خبر مقدم. و "غشاوة": مبتدأ مؤخر. وذكر واو الاستئناف بعد واو العطف لطيف ورائع.

4_ ذكر حرف الجر "على" ثلاث مرات، وهذا من روائع التعبير القرآني . وحكمة تكرار "على" ثلاث مرات: استقلال كل حاسة في الآية بختم خاص أو غشاوة خاصة. القلوب أخذت ختماً خاصاً بها : "ختم الله على قلوبهم " . والسمع أخذ ختماً خاصاً ، لأنه أخذ حرف "على" خاصاً به : "وعلى سمعهم" .. والأبصار أخذت غشاوة خاصة: "وعلى أبصارهم غشاوة" .. ولو قال : ختم الله على قلوبهم وسمعهم ، ما دلّ على هذا!! الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم في قوله الله تعالى : في وصف الكافرين : (ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ..).

-لو تأملت هذه الآية الكريمة لوجدت أنها تشتمل على صورتين فئيتين هما : الصورة القائلة : (ختم الله على قلوبهم و على سمعهم) و الصورة القائلة : (وعلى أبصارهم غشاوة) و لعلك تتساءل عن الفرق بين هاتين الصورتين : الصورة القائلة بأن الله تعالى قد طبع أو ختم على قلب الكافر و على سمعه والصورة القائلة بأن الله تعالى قد جعل على بصره غشاوة ، ألم يكن من الممكن مثلاً أن يقول النص (ختم على قلوبهم وعلى سمعهم و على أبصارهم) بحيث يجعل صفة الختم على كل من القلب والسمع و البصر ؟ إلا أن الملاحظ أن النص قد خصص كلاً من القلب والسمع بطابع (الختم) وخصص البصر بطابع (الغشاوة) فما هو السر الفني وراء ذلك؟ قبل أن نجيب على هذا التساؤل، ينبغي أن نتبين أولاً طبيعة الصياغة لهاتين الصورتين، وما ترمزان إليه من الدلالات ... الصورة الأولى : تتضمن استعارة أو رمزاً هو : عملية الختم على قلب الكافر وسمعه ، ومعنى الختم هو : أن تضع مادة ما على الشيء بحيث تسده ، كما تلاحظ ذلك مثلاً فيما تضعه الدوائر الحكومية من الأختام على المحال التجارية أو الدور التي يراد حجزها ، و هذا يعني أن الختم هو سد الشيء ، حيث استعار النص القرآني هذه الصفة المادية للشيء و خلعها على القلب و السمع ، فجعل للقلب قفلاً تسد أمامه أبواب الفهم والإدراك و التعقل ، و مما يساعدنا على استخلاص هذا المعنى أن النص القرآني في سورة محمد و صف قلوب الكافرين (أم على قلوب أقفالها) فجعل الأقفال رمزاً لانسد الفهم والإدراك والمهم هو : أن نلاحظ أن عملية الانسد تتناسب مع طبيعة هذين الجهازين المعدين لالتقاط الحقائق و الأصوات ، بحيث إذا سدت أبوابهما لما أمكن للقلب أن يعي ، ولا للأذن أن تسمع ، وهذا بخلاف جهاز البصر الذي خلع عليه النص طابع الغشاوة ، حيث لا تتناسب هذه الصفة مع جهازي القلب والسمع بقدر ما تتناسب مع جهاز البصر ، فعندما تواجهك صورة (و على أبصارهم غشاوة) تلاحظ أنك أمام رمز يختلف عن الرمز الذي لحظته بالنسبة للقلب و السمع، فقد خلع النص على البصر طابع الغشاوة والغشاوة معناها الغطاء ، ، بينما خلع على القلب والسمع طابع الغلق والسد ... و السر الفني وراء ذلك هو : أن البصر من رغم إمكان جعله مسدوداً ، كما لو أغلق الكافر عينيه مثلاً ، إلا أن النص القرآني في صدد أن يوضح بأن الله تعالى هو الذي جعل الكافر- نتيجة سلوكه المعاند- عديم البصر ، ولذلك لا بد من وضع شيء على بصره من الخارج ، حتى يحجزه عن النظر إلى ما حوله ، وهذا ما يتناسب مع الغطاء ، لأن وضع أبسط غطاء على البصر كاف في منع عملية الإبصار، وهذا ما يفسر سبب عدم انسحاب هذه الصفة على القلب والسمع ،

وذلك لأن الغطاء لو وضع على القلب والأذن لا يمنع من عملية الإدراك و الاستماع، فلو قدر لك أن تضع غطاء على أذن أحد الأشخاص فهذا لا يحجز الأذن من وصول الأصوات إليها وكذلك القلب ، بعكس الختم الذي يعني وضع مادة تسد جميع منافذ الإدراك . واستهدف من وراء هذين الرمزين إلى الإنغلاق التام في ذهنية الكافر ، فلا أمل في إصلاحه أبداً مادام قلبه - وهو مركز الهداية- قد ختم عليه ، ومادام سمعه - و هو الحاسة التي يمكن لها أن تستمع إلى القول وتفيد منه - قد ختم عليه ومادام البصر - و هو الحاسة التي يمكن أن تفيد من النظر إلى الظواهر الكونية الدالة على وجود الله وإبداعه - قد وضعت الغشاوة عليه. هل قلب المسلم يُطبع عليه كما يطبع على قلب الكافر ؟

أولاً: الطبع على القلوب يكون على قلوب الكفار ، وعلى قلوب المسلمين العاصين ، فأما الطبع على قلوب الكفار : فهو طبعٌ على القلب كله ، **وأما** الطبع على قلوب المسلمين العاصين : فيكون طبعاً جزئياً ، بحسب معصيته ، وفي كل الأحوال ليس الطبع ابتداءً من الرب تعالى ، بل هو عقوبة لأولئك المطبوع على قلوبهم ، أولئك بما كفروا ، والآخرون بما عصوا ، كما قال تعالى في حق الكفار : (فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بَغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا) النساء/ 155 .

والله أعلم

المحاضرة الخامسة عشر

الدرس الخامس

الإرادة والمشية والهداية والضلال

1- معنى المصطلحات الأربعة

2- الاستعمالات القرآنية لهذه الألفاظ

3- علاقة هذه الألفاظ ببعضها البعض

4- الهدايات وفوائد فهم دلالات هذه الألفاظ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الإرادة، طلب حصول شيء (ولذلك تكون بمعنى الرغبة أو الميل إلى حدوث شيء)، والمشية إيجاد الشيء، فـ«الشيء» بمعنى الموجود، و«شاء» بمعنى أوجد (أي فعله وحققه).

ولأن الإرادة طلب أو رغبة، فإذا ساندتها الفعل تتحول إلى مشية (إيجاد أو تحقق).

أي أن الإرادة إذا تحققت صارت مشية، والله قادر على كل شيء، ولذلك فبمقدوره أن يحقق إرادته (طلبه أو رغبته) فتصير مشية (وجوداً أو فعلاً مُحققاً)، يقول تعالى: {إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} النحل 40، ويقول: {إِنْ رِبْكَ فَاعَالٍ لِمَا يَرِيدُ} هود 107، ولكن الإنسان غير قادر على كل شيء، ولذلك فقد يُريد الإنسان شيئاً ولا يسعى له فلا يصير مشية، وكذلك قد يُريد الإنسان شيئاً ويسعى له ومع ذلك لا يتحقق أي لا يصير مشية (لقصور في سعيه أو لأن الله لم يشأ هذا)، والإرادة تكون عادة للعاقل بمعنى الرغبة في حدوث شيء وقد تُنسب لغير العاقل بمعنى الميل إلى شيء أو يكون على وشك حدوث شيء له، يقول تعالى: {فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْراً} الكهف 77، فالجدار هنا يميل إلى التهدم أو هو على وشك التهدم.

وكل شيء في هذه الدنيا بمشيئة الله ولكن الله سبحانه شاء لنا (أي: أوجد لنا) أن تكون لنا إرادة ومشية يقول تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً} الكهف 29 و {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنَ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} البقرة 256 و {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} يونس 99، ولكن الله لم يشأ فهل يُمكنك أنت أن تُكرههم على الإيمان؟ ولذلك فقد يُريد (يطلب أو يرغب) الله منا أن نفعل شيئاً ولكن لأنه أعطانا حرية الاختيار فهو لن يشأ هذا الشيء لنا (أي يُجبرنا على فعله)، ولذلك نجد أن الله كذب قول المشركين أن كفرهم هو بمشيئة الله {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَبَ الَّذِينَ مِنَ الْقَبْلِ هُمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} الأنعام 148

آ {وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنَ الْقَبْلِ هُمْ فَمَنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ} النحل 35.

وفي الآية التالية نرى تضارب إرادة الله وإرادة بعض الناس {وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيماً} النساء 27، فالله يُريد (يطلب أو يرغب) أن تُؤمن كي يتوب علينا.

أما الذين يتبعون الشهوات فيريدون (يطلبون أو يرغبون) أن نكفر فنميل ميلا عظيما وهنا نجد أن إرادة (رغبة) هؤلاء الناس عكس إرادة (رغبة) الله فالله يريد (يرغب) لنا الإيمان (كما في الآية السابقة).

وكما في الآية: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} النساء 26. ولكنه لم يشأ لنا (أي لم يجبرنا عليه) بل ترك هذا لاختيارنا ومشيتنا ولذلك قال: {وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَتَسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} النحل 93

فالله يريد (يرغب) أن نكون مهتدين فنكون أمة واحدة ولكنه لم يشأ هذا فهو يضل من يشاء الضلال ويهدي من يشاء الهداية وهكذا يمكننا أن نفهم آية مثل: {وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} الإنسان 30 فلا يمكن أن تكون لنا مشيئة لولا أن الله أعطانا حرية الاختيار والمشية وبعد أن نختار الهداية والضلال أو نريدهما علينا بالسعي في هذا السبيل لتكون مشيئتنا وعندها يتدخل الله (وهذا هو التوكل على الله) فيساعدنا في مشيئتنا بزيادة الهدى أو الضلال يقول تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاَهُمْ هُدًى} الكهف 13 فهؤلاء الفتية شاءوا الإيمان فأعاهم الله وزادهم هدى.

ويقول تعالى: {وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} محمد 17

ويقول تعالى: {فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} البقرة 10 وهؤلاء شاءوا الكفر فزادهم الله كفرا.

ويقول تعالى: {وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ} التوبة 125. ويقول تعالى: {فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِتْنَةٍ وَاللَّهُ أَرَكْسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ سَبِيلًا} النساء 88.

فهؤلاء الكفار سعوا في الضلالة وكسبوا (وهذا اختيارهم ومشيتهم) فأضلهم الله (أي ساعدهم بزيادة ضلالهم).

ويقول تعالى: {وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمُّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءِ اللَّهُ يُضِلَّهُ وَمَنْ يَشَاءِ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} الأنعام 39

فهؤلاء كذبوا بآيات الله واختاروا الصمم والعمى عن آياته، ولذلك كانت مشيئة الله أن يساعدهم فيما اختاروه، وكذلك شاء أن يساعدهم من اختار الصراط المستقيم¹..

الاشتقاق اللغوي للفظي الارادة والمشية:

¹ مقال الفرق بين المشيئة والارادة: عز الدين نجيب، في الخميس 20 اكتوبر 2011-<http://www.ahl-2011>

وردت في القرآن الكريم أفعال مشتقة من “الإرادة” و “الشيء”. وهما مصدران. الإرادة بمعنى الطلب؛ وأما الشيء بمعنى الإيجاد. وكل واحدة منهما تستعمل اسماً كما تستعمل مصدران. المصدر يوضح العملية، أما الاسم حالة نشأت بتأثير هذه العملية¹. ومعنى الإرادة عند كونها اسماً هو الطلب، ومعنى الشيء عند كونها اسماً هو الشيء الموجود².

ومصدر الفعل، هو الأصل الذي تشتق منه بقية صيغ الأفعال. وحروف الماضي هي نفس حروف المصدر. وكلمة “الشيء” مكون من الحروف التالية: ش، ي، ع. وتوجد هذه الحروف في كلمة “شاء” هو الفعل الماضي من “الشيء”³. “ومن كلمة “الإرادة” اشتق فعل أراد⁴. ولا فرق بين المصدر والفعل في المعنى، إلا أن الأفعال مرتبطة بالأزمنة. لذا فمعنى “شاء” أوجد، ومعنى “أراد” طلب. كما أن لفعل “شاء” مصدر ميمي وهو “المشيئة” وهذه الكلمة لم تذكر في القرآن الكريم. وذكرت كلمة “شيء” بصيغتها الجمع 237 مرة. والمشيئة مع الميم في أولها والتاء المربوطة في آخرها مصدر على وزن “مفعلة” وهو شاذ⁵.

و”المشيئة” التي تناولها الكتب العقائدية استعملتها بمعنى “الإرادة” بلا أي دليل يُستند عليه. قالوا إن “شاء” بمعنى أراد لأنها مصدر. بالرغم من قول المحققين بأن المصدر الميمي مصدر بمعنى الاسم وليس مصدر⁶. من أجل ذلك لا يقال أن شاء بمعنى أراد؛ انطلاقاً من كلمة “المشيئة”. والمتخصصون في اللغة العربية غير راسخين، لذا فسروا كلمة المشيئة بـ الإرادة، ثم أعطوا نفس المعنى لفعل “شاء”. وبهذا أصبح الكثير من الآيات القرآنية غير مفهوم، وانقطعت بعض الآيات عن متعلقاتها. وفي هذا الموضوع نوضح معنى فعلي «أراد» و «شاء» توضيحاً صحيحاً، ونلفت النظر إلى الأخطاء التي وقع فيها المفسرون والمتكلمون.

أ. الإرادة

¹ - أحمد بن علي بن مسعود، مراحل الأرواح، ص. 4-8. محمد سعيد اصبر، بلال جنيدي. الشامل، معجم في علوم اللغات والمصطلحات، ص. 857. الطبعة الثانية، بيروت 1985م.

² - مفردات ألفاظ القرآن مادة: شئ و رود.

³ - شاء في الأصل شيئاً لكون ما قبل الياء مفتوحاً قلبت ألفاً فأصبح شاء.

⁴ - الإرادة مصدر أراد وهي في الأصل أرواد والواو مفتوحة وما قبلها ساكن فنقلت حركتها إلى ما قبلها فأصبحت أراد. والإرادة أصلاً الإرواد، حذف الواو وأضيف في آخرها التاء المربوطة عوضاً عن الواو المحذوفة.

⁵ - محمد سعيد اصبر، بلال جنيدي، المرجع السابق، ص. 945.

⁶ - محمد سعيد اصبر، بلال جنيدي، المرجع السابق، ص. 947.

الإرادة، طلب حصول شيء. قال الله تعالى: « يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ » (النساء، 26/4). ونحن نرى أن الناس قلما اهتدوا وتابوا مع وجود إرادة الله تعالى. يقول الله تعالى: « وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ » (يوسف، 103/12).

إن الذين لا يلقون الاهتمام لأوامر الله، ويجعلونها وراءهم ظهرياً، يتمنون أن ينجرف المؤمنون في تيارهم فيكونون سواء. وهذا يعني أن إرادتهم على العكس من إرادة الله تعالى. انظر إلى قوله تعالى: « وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا » (النساء، 27/4). وفي آية أخرى يقول الله تعالى: « يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ » (الصف، 8/61).

خلاصة القول إنه من الممكن أن تكون إرادة الإنسان على عكس إرادة الله تعالى. وليس الطلب كالفعل. والله تعالى يفعل ما يريد. فقال تعالى: « إن ربك فعال لما يريد » (هود، 107/11). « إن الله يحكم ما يريد » (المائدة، 1/5). إذا أراد الله تعالى أن يفعل ما يريد إنما يقول له كن فيكون. قال الله تعالى: « إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون » (يس، 82/36).

وقد أعطى الله تعالى للإنسان إرادة. ولكن إرادته محدودة بما أعطاه الله تعالى من القدرة والإمكان. وعليه أن يستعمل تلك القدرة والإمكان للخير. يقول الله تعالى: « مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا. وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا. كَلَّا تُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا » (الاسراء، 18/17-20)

وتحقق العمل الصالح مرتبط بما يبذله الإنسان من جهد. يقول الله تعالى: « وَقَلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَعِيثُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا. إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا » (الكهف، 18/29-31).

ب. القدر = المقياس:

خلق الله كل شيء وبين مقاييسه ومقاديره. الإيمان والكفر، الحلال والحرام، الخير والشر، كلها بقدر الله تعالى. ونذكر بعض الآيات المتعلقة بالقدر: قال الله تعالى: « وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا » (الفرقان، 2/25). « وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا » (الأحزاب، 38/33). « قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا » (الطلاق، 3/65). « وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى » (عبس، 19/80). « وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى » (الأعلى، 3/87).

فالقدر يعني تلك المقاييس والمقادير. والله هو الذي وضع مقياس كل شيء، وهو سبحانه ويشب أو يعذب على هذه المقادير. قال الله تعالى: « وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمْ وَبُكِّمُ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُضِلُّهُ وَمَنْ يَشَاءُ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (الأنعام، 39/6=)

وقد وضع الله القدر أي المقادير، وأمر أن تراعى، ولم يجبر أحدا عليها. ووعد بأن يفتح الطريق لمن عمل صالحا ويسهل له عمله، وهذا إكرام من الله تعالى. قال الله تعالى: «وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ. وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ. وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ. إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ. فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ. وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَىٰ» (الليل، 1/92-7).

وكما أنه سبحانه يسهل طرق الهداية لمن سلك سبيلها، فإنه كذلك يشق على الذين بخلوا وكذبوا وتكبروا وأعرضوا عن سبل الهداية، وهذا كذلك إكرام من الله تعالى يمتحن به من يشاء ليهتدي. قال الله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ. وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ. فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَىٰ. وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ» (الليل، 8/92-11).

ويقول الله تعالى عمن لا يهديه: «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» (البقرة، 264/2؛ المائدة، 67/5؛ التوبة، 37/9؛ النحل، 107/16). «وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ» (المائدة، 108/5؛ التوبة، 24/9، 80؛ الصف، 5/61؛ المنافقون، 5/63). « وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ » (البقرة، 258/2؛ آل عمران، 86/3؛ المائدة، 51/5؛ الأنعام، 144/6؛ التوبة، 19/9، 109؛ القصص، 50/28؛ الأحقاف، 10/46؛ الصف، 7/61؛ الجمعة، 5/62). « إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ » (الزمر، 3/39). «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ» (المؤمن، 28/40). «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ» (النحل، 104/16).

ويقول الله تعالى عمن يهديهم: « وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ » (الرعد، 27/13؛ الشورى، 13/42). « وَمَنْ يَعْتَصِمِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (آل عمران، 101/3). « يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » (المائدة، 16/5).

وما نراه في حياتنا اليومية ما هو إلا ترجمة عملية لما ورد في الآيات؛ فما من أحدٍ يطرق باب رحمة الله والهداية إلا ويجد المعونة والتوفيق، وما من أحدٍ يتنكب عن الحق ويعرض عنه إلا زاد ضلالا وانحرافا، وما هذه الحياة إلا امتحان يمتحن الله تعالى العباد كامتحان المدرس للطلاب _ والله المثل الأعلى _ . نحن نعرف أن الطلاب ليسوا بواضعي قوانين، وما عليهم إلا أن يجتهدوا ويستعدوا لينجحوا في الامتحان. والمدرس الصالح يعطي للطلاب المجتهد درجة جيدة، وينجحهم في الامتحان. والله تعالى كذلك يمتحن _ وله المثل الأعلى _، وهو يضع القوانين، ويوجه الإنسان حسبما يصلحه في دنياه وآخرته.

ت. فعلا «أراد» و «شاء».

«أراد» الشيء بمعنى طلبه. و«شاء» شيئاً بمعنى فعله. وكلمة «الشيء» تطلق على كل شيء. كما يقال على «الله» شيء. قال الله تعالى: «ليس كمثله شيء» (الشورى، 11/42).

وفعل «شاء» يفسر على حسب مفعوله. والله فاعل كل شيء، لأنه لو كان الفاعل فيه الله فهو خالق ما أراد، وإذا كان الفاعل إنسانا ففعله سواء كان شرا أم خيرا يتحقق بمشيئة الله تعالى. قال الله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ» (يونس، 99/10).
ويغيب هذا المعنى لو فسرنا «شاء» بـ «أراد»، وعندها تُفهم الآية خطأ، أي أن الله تعالى لا يريد أن يهتدي بعض الناس. ونضرب على ذلك ثلاثة أمثال:

الآية الرابعة من سورة إبراهيم: قال الله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»

ونجد هذه الآية في معظم التفاسير ومعاني القرآن الكريم قد فسرت كالتالي: أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» أي: بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل الله تعالى من يشاء عن وجه الهدى، ويهدي من يشاء إلى الحق، «وَهُوَ الْعَزِيزُ» الذي ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، «الحكيم» في أفعاله، فيضل من يستحق الإضلال، ويهدي من هو أهل لذلك.

وقد ذكرت فيها مضارع «شاء» وفسر بـ «أراد» فاصبح المعنى غير مفهوم. إذا كان الله تعالى يهدي من يشاء ويضل من يشاء فلماذا أرسل الرسل بلسان قومهم ليبين لهم؟ وما الفائدة في بيان الرسل لقومهم بلسانهم؟ وهل هذا المعنى المبهم يليق أن يكون كلام الله؟ وهل يجوز أن تُفسر الآيات بما يخالف بعضها بعضاً؟

والذين يفسرون «شاء» بـ «أراد» كان عليهم أن يرجعوا ضمير «شاء» على «من» وليس على لفظ الجلالة وبهذا لم يفسد التناسق في الآية. لأن لفظ «من» في من يشاء» قريب من الضمير ولفظ الجلالة «الله» بعيد. لذا لا بد من قرينة ليعود الضمير إلى لفظ الجلالة «الله». ولا توجد القرينة هنا فلم يبقَ إلا أن يعود الضمير إلى لفظ «من» القريب. فيكون معنى الآية كالتالي: أنه يرسل إليهم رسلاً منهم بلغاتهم ليفهموا عنهم ما يريدون وما أرسلوا به إليهم، «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» أي: بعد البيان وإقامة الحجة عليهم يضل من يختار الضلالة، ويهدي من يختار الهداية إلى الحق. وهو العزيز الحكيم.

ومثل هذا المعنى يحفظ التناسق في الآية ولكن لم تراخ فيه العلاقات الثنائية بين الآيات. كما بينا سابقاً أنه لا يكفي إرادة الإنسان بأن يصبح مسلماً. فلا بد من بذل الجهد طبقاً للإرادة. ولو قلنا أن «يشاء» بمعنى يريد لم يفهم منه ضرورة بذل الجهد.

وكثير من الذين وقعوا في هذا الخطأ يدعون أنهم على مذهب الماتيريدي. وأبو منصور الماتيريدي المؤسس لهذا المذهب يفسر الآية الرابعة من سورة إبراهيم كالتالي:

“وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ” (أي يضل الله من أثر سبب الضلال و يهدي من أثر سبب الهداية.)

ويقول الماتريدي: و قال قائلون: فيضلُّ اللهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، هذا حكم الله أن يضل المكذبين و يهدي المصدقين لكن الوجه فيه ما ذكرنا بدءاً أنه يضل من آثر سبب الضلال ويهدي من يشاء أي من آثر سبب الإهتداء¹.

وحين فسر الماتريدي «شاء» المذكورة في الآية الرابعة بـ «رجح» يحتمل أنه نظر إلى الآية الثالثة من تلك السورة بقوله الله تعالى: «الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَعُونَهَا عَوْجًا أَوْ لَعْنًا فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ.»

والماتريدي هو الذي قال في تأويل قوله تعالى «الَّذِينَ يَسْتَجِيبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ» أي آثروا واختاروا الحياة الدنيا على الآخرة...

وعلى مذهب الماتريدي، أن الكسب للعبد. أي أنه يبذل الجهد فقط. أما النتيجة فإنها تتوقف على مشيئة الله تعالى. وبمعنى آخر أن العبد مكتسب لأفعاله والله تعالى خالق لها. والعبد يكسب الهداية أو الضلالة والله تعالى يخلقه فيه.

والإمام الماتريدي توفي سنة 333 هجرية / 944 ميلادية. وهو الذي قال إن «شاء» بمعنى أوجد. ولم يتحدث عن «الإرادة». وهو ما يدل على أن التغيير في معنى هذه الكلمة حدث بعد ذلك التاريخ. لأن هذا التفسير أقدم المراجع التي تتواجد بين أيدينا.

الآية 148 والآية 149 من سورة الأنعام: قال الله تعالى: «سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ. قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ.»

قيل في معنى الآية إن المشركين قالوا لو شاء (أراد) الله ما أشركنا نحن ولا آبائنا... ثم قال الله تعالى ولو شاء (أراد) الله لهداكم ففي هذه الحالة كان قول الله تصديقا لقولهم. فلماذا قال إنهم كذابون وجاهلون ولا يتبعون إلا الظن؟ «كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ.»

ونقارن هذا مع هذه الآية: قال الله تعالى: «يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» (النساء، 26/4).

تدل هذه الآية على أن الله تعالى يريد أن يهدي جميع الناس. لذا أرسل الله تعالى رسلا مبشرين ومنذرين. ولا يمكن القول بأن الله تعالى أراد هداية الناس في الآية، وفي آية أخرى منعهم عن الهدى.

¹ - تأويلات القرآن لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (المتوفى. 333هجرى / 944 الميلادي) تحقيق خديجة بوينوقالين بإشراف بكر توبال أوغلو اسطنبول، 2006. 458/7.

² - معنى القرآن الكريم بالتركية لعمر نصوحي بلمن، 1997م.

ولو فسرنا «شاء» بـ «أوجد» لكان المعنى صحيحا ولم يبق أي إشكال. وشاء بمعنى أوجد الهداية، لأن «الشيء» بمعنى «الهداية». فيكون معنى قول المشركين: «لَوْ شَاءَ اللَّهُ (أوجد الله فينا الإيمان) مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا» لو أن الله تعالى أوجد الهداية فينا ما أشركنا نحن ولا آبائنا.

يعنى لو خلق الله فينا الهداية كما يخلق الله تعالى الموجودات. غير أنه لم يكن من سنة الله تعالى أن يجبر الناس على الإيمان بل خلقهم وأعطاهم حرية الاختيار، لذا استحق من آمن الثواب كما استحق من كفر العذاب. وإلا لخلق الله سبحانه الإيمان في قلوب الناس جميعاً فأصبحوا بذلك أمة واحدة، وعندئذ لا تصلح الدنيا لتكون دار ابتلاء وامتحان. ومن أجل ذلك قلنا في تفسير الآية 149 من سورة الأنعام: لو كان الله تعالى يخلق الإيمان فيكم لخلق في قلوبكم جميعاً. فأصبحتم أمة واحدة. كما قال الله تعالى: «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأُمَّةٍ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» (هود، 118/11، 119).

والمشركون يعرفون جيدا أن الهداية مرتبطة بإرادة الإنسان. فلو عزموا لآمنوا، لذا كان كلامهم كذبا. قال الله تعالى: «كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا.»

فدعا الله المشركين بأن يأتوا ببرهانهم إن كانوا صادقين فيما ادعوا؛ فقال تعالى: «قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا» فلعدم وجود العلم عندهم يعتمدون على الظن وما توى أنفسهم قال تعالى: «إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ.»

وفي آية أخرى يقول الله تعالى عن المشركين: «وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ.» (النحل، 35/16).

وهذه الآيات توضح كل شيء: «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ. وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ» (الأنعام، 111/6-112).

وقال تعالى: «أَفَلَمْ يَبْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا» (الرعد، 31/13). قال الله تعالى: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ. فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ. لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ. وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (التكوير، 25/81-29). وقد فسروها على النحو التالي: «وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» أي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجم، أي: لا يقدر على حمله، ولا يريده، ولا ينبغي له. وقوله تعالى: «فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ»؟ أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه هداية للجميع. وقوله: «إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ» أي: هذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون، «لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» أي: من أراد الهداية فعليه بهذا القرآن،

فإنه منجاةً له وهداية، ولا هداية فيما سواه، «وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» أي: ليست المشيئة موكولة إليكم، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله عز وجل رب العالمين¹. وهكذا في كل التفاسير باختلاف يسير.

والتناقض فيها ظاهر، وهو أن الله تعالى يدعونا إلى القرآن على أنه «تذكرة لمن شاء منكم أن يستقيم»، وفي نفس الوقت يقول «وما تشاؤون إلا أن يشاء الله» أي لا إرادة لكم إلا إن أردت أنا. فما فائدة الدعوة ما لم يكن للإنسان إرادة؟ وهل يجوز أن يكون بين كلام الله تضاداً؟ ومنشأ هذا التضاد هو تفسير كلمة «شاء» بـ «أراد». لو فسرنا «شاء» بمعناها الصحيح وهو «إيجاد الشيء» كان معنى الآية كالتالي: وما هذا القرآن بقول شيطان رجيم، فأين تذهبون عنه، وهذا القرآن ذكر لجميع الناس، يتذكرون به ويتعظون، «لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ» أي: من بذل جهده للاستقامة، ولا تحصلون عليه حتى يوجده الله تعالى².

الهداية والإضلال في القرآن الكريم....

وردت في القرآن الكريم عدة آيات في مسألة الهدى والضلال - التي عدّها العلماء من توابع قضية (الخير والإختيار والقضاء والقدر) - يشعر ظاهرها بأن الله تعالى هو الذي يهدي ويضل من دون اختيار للإنسان في ذلك كقوله تعالى: {فِيضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} ، {وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} ، وإذا كانت الهداية والإضلال من الله تعالى فلما ذا يعاقب الضالين على ضلالهم ويثيب المؤمنين على هداهم ، وكلاهما من فعل الله تعالى وبإشأته؟ .

وللجواب عن هذه التساؤلات لا بد أن نستعرض معاني الهدى والضلال كما وردت في كتب اللغة وكما استعملها القرآن الكريم في طيات آياته، لنفهم الغرض منها بدون لبس أو غموض: -أصل الهداية في اللغة: الدلالة على طريق الرشده⁽³⁾ ، وهداه للطريق وإلى الطريق ... اذا دلّه على الطريق، وهديته الطريق والبيت هداية أي عرفته⁽⁴⁾ ، والهدى ضد الضلال، وهو الرشاد والدلالة⁽⁵⁾ ، ويقال: هديت لك في معنى بينت لك⁽⁶⁾ كما قال تعالى: {أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ}.

¹ - ابن كثير، ج3، ص: 221.

² - مفهوم المشيئة والإرادة في القرآن الكريم، أ.د عبد العزيز بايندر، حبل الله المتين، تاريخ النشر 14/03/2011:

http://www.hablullah.com/?p=1215#_ftn1

³ - التبيان: ج1/ 41. (2)

⁴ - لسان العرب: ج15/ 355.

⁵ - (لسان العرب: ج15/ 353 - 354).

⁶ - لسان العرب: ج15/ 353 - 354

أما قوله عز وجل: {الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} ، معناه: خلق كل شيء على الهيئة التي بها ينتفع، ثم هداه لمعيشتة (1) .

والهداية في كلام العرب بمعنى التوفيق، قال الشاعر: لا تحرمني هداك الله مسألتي ولا أكونن كمن أودى به السفر يعني به: وفقك الله لقضاء حاجتي (2) .

وقوله تعالى: {فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ} أي أدخلوهم النار كما تهدى المرأة الى زوجها يعني بذلك انها تدخل إليه (3) .

ويقال لمن يتقدم القوم ويدلهم على الطريق: هاد (4)، والهداية: هي الثواب (5) قال تعالى: {يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ} أي يثيبهم ، وقال تعالى: {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} ، {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الكَافِرِينَ} ، {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الفَاسِقِينَ} ، {أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الخَائِبِينَ} اي لا يثيب، ومنه قوله تعالى: {لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} أي ليس عليك ثوابهم ولكن الله يثيب من يشاء .

- وأصل الضلال الهلاك ، ومنه قوله تعالى: {أِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ} أي هلكننا... والضلال في الدين: الذهاب عن الحق ، والاضلال : الدعاء الى الضلال والحمل عليه، ومنه قوله تعالى. {وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} ، والإضلال الأخذ بالعاصين الى النار (10)، ان النظرة الفاحصة لهذه المعاني التي يستعمل فيها لفظا الهدى والضلال ترشدنا الى ما يلي :

1- ان الإضلال قد يطلق على الاشارة الى خلاف الحق والدعوة الى الضلال والحمل عليه. وذلك ما لا يمكن وصف الله تعالى به او نسبته إليه {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ} ، بل ان الضلال - بصريح القرآن- لن يتحقق الا بفعل الانسان ومحض اختياره، قال تعالى: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا} ، {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي} ، {مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا} ، {إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ} ، كذلك يطلق الإضلال أيضا على الإبطال والإهلاك مثل قوله تعالى: {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الكَافِرِينَ} أي يهلكهم، وقوله تعالى: {وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} أي: ومن يهلك الله من الكافرين والظالمين فماله من مثير، وقوله تعالى: {وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ} أي فلن يبطل أعمالهم .

¹ - لسان العرب: ج15/ 353-354 .(6).

² - تفسير الطبري: ج1/ 72-73

³ - تفسير الطبري: ج1/ 72-73 .(8)

⁴ - مجمع البيان: ج1/ 27-28 .

⁵ - مجمع البيان: ج1/ 27-28 .(10) التبيان: ج1/ 46.

3- يطلق الهدى على الدلالة الى الحق مثل قوله تعالى: { الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ } ، وقوله تعالى: { بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ } ، وقوله تعالى: { وَأَمَّا نُمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى } .

4- كما يطلق الهدى على الاثابة أيضا مثل قوله تعالى: { سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالْقَوْمِ } أي سيهديهم . وعلى ضوء هذه الخلاصة لمعاني الهدى والضلال نصل الى نتيجة البحث ، وهي: ان الاضلال بمعنى الاشارة الى خلاف الحق مستحيل على الله تعالى لأنه الأمر بالحق، ولا يجوز في العقل أن يشير الى خلافه أبدا . وان الهدى بمعنى الدلالة الى الحق قد فعله الله وحققه بإرسال الأنبياء وانزال الكتب جيلا بعد جيل . ولم يبق لدينا من المعاني المنسجمة مع الواقع سوى الإضلال بمعنى الإهلاك في العقاب والهدى بمعنى الثواب، ويكونان هما المقصودين حصرا بما يتكرر وروده في القرآن الكريم نحو قوله تعالى: { أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ } : أي أ تريدون أن تتيبوا من أهلك الله بالعقاب، ونحو قوله تعالى: { يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا } أي بالقرآن؛ حيث يهلك الله تعالى بتزول القرآن كثيرا من الناس لتمردهم عليه وعدم تنفيذهم لأوامره ونواهيها بعد الزامهم بها ويثيب به كثيرا من الناس لإطاعتهم وتسليمهم واذعائهم .

وإذا لم يكن الغرض من الهداية الاثابة لما فهمنا معنى مقبولا لما جاء في قوله تعالى مخاطبا نبيه الأعظم: { لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } وقوله تعالى: { إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ } ، ولو كانت الهداية بمعنى الارشاد والدلالة لكانت هاتان الآيتان هدمًا لرسالة النبي في ابرز واجباتها وهو الدلالة والارشاد والتوجيه .

وعلى هذا المنهج نسير في فهم سائر الآيات المباركة التي تحمل كلمات الهدى والاضلال، حيث يتجلى لنا سلامة كل هذه النصوص القرآنية مما يتنافى مع الاختيار الكامل والإرادة الحرة المنبعثة من نفس الانسان ورغبته .

وبذلك نفهم أوضح الفهم معنى قول النبي صلى الله عليه وآله: الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من سعد في بطن أمه ، اذ ليس المقصود به أنه تعالى قد خلقه مجبورا على فعل ما يشقى به من معصية وضلال أو ما يسعد به من طاعة وهدى وارشاد، وانما الغرض منه كما قال الامام الصادق عليه السلام بيان أن الشقي من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل عمل الاشقياء والسعيد من علم الله وهو في بطن أمه أنه سيعمل عمل السعداء ، وهذا من باب انكشاف الواقع لعلم الله تعالى .. وليس فيه أي معنى من معاني الجبر والإكراه¹ .

¹ - مقال من اعداد: عباس الأسدي، الهداية والاضلال في القرآن الكريم،

مراتب الهداية والاضلال¹:

يسبق إلى أفهام كثير من الناس أن الله سبحانه وتعالى اختص عباده بالهداية، وحرّم آخرين حقاً من حقوقهم، ولو أراد الله أن يهديهم لهداهم، بل يحتجون بالقدّر لما يصدر عنهم من كفر أو معصية أو تقصير، زاعمين أن مشيئة الله نافذة وغالبة، بل يحتجون على تواكلهم وتقصيرهم عن الواجب وتغيير ما بأنفسهم بآيات من القرآن الكريم، يقطعونها من سياقها، ولا يفهمون معناها؛ من ذلك قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ [الكهف: 17]، ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: 13]، وهذا مصدر خطأ كبير في فهم مسألة سبق القضاء بالهداية والاضلال، والقرآن يوضح لنا ما في هذه القضية من لبس حين نعرف أن الهداية الواردة في القرآن الكريم على أنواع .

وهذه المسألة - مسألة الهدى والاضلال - هي قلب أبواب القدر ومسائله، فإن أفضل ما يقدره الله للعبد هو الهدى؛ فهو من أعظم النعم، وأعظم ما يتتليه به ويقدره عليه هو الضلال، وقد اتفقت رسل الله جميعاً، وكذلك كتبه المتزلة على أن الله يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فالهدى والاضلال بيده، لا بيد العبد، أمّا طلب الهداية والسعي إليها من طلب العبد وكسبه.

لذلك كان من الضروري ذكر مراتب الهداية كما وردت في القرآن الكريم، وتتلخص في أربع مراتب؛ هي:

1- الهداية العامة.

والله عز وجل يقول: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: 1 - 3]، وفيها ذكر الله أربعة أمور عامة وهي: الخلق، والتسوية، والتقدير، والهداية، وجعل التسوية من تمام الخلق، والهداية من تمام التقدير، وبذلك تكون التسوية والهداية كمالين للخلق والتقدير؛ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: 7].

2- هداية الدلالة والبيان، والإرشاد والتعليم.

وهذا النوع هو وظيفة الرسل والكتب المتزلة من السماء، وهو خاص بالمكلفين، وهذه الهداية هي التي أثبتتها لرسوله صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: 52]، كما أن هذا النوع من الهداية أخص من التي قبلها، فهي مصدر التكليف ومناطه، وبها تقوم حجة الله على عباده؛ فإن الله تعالى لا يدخل أحداً النار إلا بعد إرسال الرسل الذين يبينون للناس طريق الغي من الرشد: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: 57]، ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلْمَا يُكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]، يقول ابن كثير: (أي: إنه تعالى أنزل كتبه، وأرسل رسوله بالبشارة والندارة، وبين ما يحبه

¹ - محمد فتحي إحسان، مقال: مراتب الهداية في القرآن الكريم، 2010/05/16م.

وَيَرْضَاهُ مِمَّا يَكْرَهُهُ وَيَأْبَاهُ؛ لئَلَّا يَبْقَى لِمُعْتَذِرٍ عَذْرٌ؛ ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾ [طه: 134].

3- هداية التوفيق والمعونة.

وهذه المرتبة أخصُّ من التي قبلها، فهي هداية خاصة تأتي بعد هداية البيان؛ تحقيقاً لقوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: 76]، فلا تكون لملكٍ مُّقْرَّبٍ، ولا نبيٍّ مُّرْسَلٍ، إنما هي خاصةٌ بالله وحده، فلا يَقْدِرُ عليها إلا هو، ولا يُعْطِيها إلا لِمَنْ حَقَّقَ شروطها واستَوْفَى أسبابها.

﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: 15، 16]

وهذا النوع من الهداية هو الذي نَفَاهُ اللهُ عن نبيِّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص: 56]، ﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ [النحل: 37].

4- الهداية إلى الجنة والنار يوم القيامة.

وهذه المرتبة، وهي آخر مراتب الهداية، وهي الهداية يوم القيامة إلى طريق الجنة، وهو الصراط الموصِل إليها، فَمَنْ هُدِيَ فِي هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا إِلَى صِرَاطِ اللَّهِ الْمُسْتَقِيمِ الَّذِي أُرْسِلَ بِهِ رُسُلُهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ، هُدِيَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الْمَوْصِلِ إِلَى جَنَّتِهِ وَدَارِ ثَوَابِهِ، وَعَلَى قَدَرِ ثُبُوتِ قَدَمِ الْعَبْدِ، وَسَيَرِهِ عَلَى هَذَا الصِّرَاطِ الَّذِي نَصَبَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ الدُّنْيَا، يَكُونُ ثُبُوتُ قَدَمِهِ وَسَيَرُهُ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُنْصُوبِ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَحْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: 22، 23]، ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ * سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ * وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد: 4 - 6]، فهذه هداية بعد قتلهم؛ ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾؛ أي: إلى الجنة، وذلك يفسره قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ [يونس: 9]، ﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾؛ أي: أمرهم وحالهم ويعصمهم أيام حياتهم في الدنيا، ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾؛ أي: عرفهم بها وهداهم إليها.

المحاضرة السادسة عشر

الدرس السادس

مصطلح الاصلاح والرشد في القران الكريم

- ✓ التعريف بالمصطلحين في اللغة والاصطلاح
- ✓ الاشتقاق اللغوي لمصطلحي: الاصلاح والرشد
- ✓ استعمال القران لمصطلحي: الاصلاح والرشد
- ✓ العلاقة بين مصطلحي: الاصلاح والرشد
- ✓ الهدايات المستنبطة من معاني الآيات التي أوردت المصطلحين

مفهوم الرشد¹:

ورد مصطلح الرشد في القرآن الكريم تسع عشرة مرة بالصيغ الموالية: الرُّشْد - رَشَدًا - الرَّشَاد - يرشُدون - رشيد - مُرشد - الراشدون .

والراء والشين والذال (رشد) في اللغة أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامة الطريق²، و"الرَّشَادُ: خلاف العَيِّ، وقد رَشَدَ يَرشُدُ رُشْدًا، ورَشِدَ بالكسر يَرشُدُ رَشْدًا لُغَةً فيه"³.

ولقد ورد الرشد في مقابل الغي في موضعين من موارد المصطلح هما قوله عز وجل: "لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْعَيْ" [سورة البقرة، الآية: 245] وقوله: "وَأِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعَيْ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا" [سورة الأعراف: 145].

وبنفس الاستعمال ورد في قوله صلى الله عليه وسلم في إحدى خطبه: "مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى حَتَّى يَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ"⁴. و"العَيُّ: الضلال والخيبة أيضاً. وقد غَوَى بالفتح يَعْوِي عَيًّْا وَغَوَايَةً، فهو غَاوٍ وَغَوٍ، وَأَغْوَاهُ غَيْرُهُ فهو غَوِيٌّ عَلَى فَعِيلٍ"⁵.

كما جاء الرشد مقابلاً للشر في قوله سبحانه وتعالى: "وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا" [سورة الجن، الآية: 10] وللضر في قوله عز وجل: "قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشْدًا" [سورة الجن، الآية: 21].

واعتر القرآن الكريم الإيمان طريقاً للرشد في آيات قرآنية منها قوله سبحانه: "وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلَيْسَتْ حِيُوبًا لِي وَلِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرشُدُونَ" [سورة البقرة، الآية: 185]. ومن خصائص مصطلح الرشد في القرآن الكريم ارتباطه بالقصص القرآني، حيث ورد في معظم مواردده في سياق ذكر أخبار مؤمني الأمم السابقة كمؤمن آل فرعون وأصحاب الكهف، ثم ورد في سياق ذكر الجن الذين آمنوا بالقرآن، ودعوتهم قومهم واصفين القرآن الكريم بقولهم: "إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَأَمْنَا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا" [سورة الجن، الآية: 1-2].

كما ورد أيضا في سياق الحديث عن قصص كل من لوط وشعيب وموسى عليهم السلام مع أقوامهم. ولقد ورد الرشد بوصفه أمرا محسوسا يمكن لمسه في تصرفات الراشد في قوله سبحانه وتعالى: "وَابْتُلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ

¹ - كلثومة دخوش نشر في ميثاق الرابطة يوم 21 - 05 - 2010م.

² - ابن فارس، مقاييس اللغة، رشد.

³ - الجوهري، الصحاح، رشد.

⁴ - مسند الإمام الشافعي، كتاب إيجاب الجمعة، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، البيهقي، معرفة السنن والآثار.

⁵ - الجوهري.

حَسْبًا" [سورة النساء، الآية: 5]، قال ابن عطية في معرض تفسيره للآية: "قال الحسن وقتادة: الرشد في العقل والدين، وقال ابن عباس: بل في العقل وتدبير المال لا غير، وهو قول ابن القاسم في مذهبا، والرواية الأخرى: أنه في العقل والدين، مروية عن مالك"¹. وقال الطبري بعد ذكر أقوال المفسرين في معنى الرشد في هذه الآية: "وأولى هذه الأقوال عندي بمعنى "الرشد" في هذا الموضع، العقل وإصلاح المال لإجماع الجميع على أنه إذا كان كذلك، لم يكن ممن يستحق الحجرَ عليه في ماله، وحوَزَ ما في يده عنه، وإن كان فاجراً في دينه"².

من هنا يكون للرشد معنى الصلاح في أمر الدين، وهو الأكثر، ومعنى الصلاح في أمر الدنيا أيضا، ومنه وصف الأمر بالرشد كما في قوله عز وجل: "وما أمرُ فرعونَ برشيد" [سورة هود، الآية: 96]، "وقال بعضهم: الرشد أي بفتحيتين... أحص من الرشد؛ لأن الرشد بالضم يقال في الأمور الدنيوية والأخروية والرشد يقال في الأمور الأخروية لا غير"³.

والرشيد والراشد هو المستقيم على طريق الحق، قال الله تعالى: "وَأَعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ" [سورة الحجرات، الآية: 7].

تعريف الاصلاح:

الاصلاح: في اللغة هو ضد الفساد أو ضد الشيء، ورجل صالح في نفسه من قوم صلحاء ومصلح نفسه، و الاصلاح هو نقيض الفساد، وأصلح الشيء أي أقامه.

صلح صلاحا وصلوحا: زال عنه الفساد، وأصلح ذات بينهما: زال ما بينهما من عداوة وشقاق⁴.

المعنى الاصطلاحي للصلاح:

فقد عرفه الامام الغزالي (ت505هـ) بعدما وضع واجب المسلم اتجاه نفسه بتهذيبه، شرع في بيان معنى الاصلاح فقال (ثم يعلم ذلك أي الذي قام بتهذيب نفسه وصلاحه- ثم أهل بيته وتعدى بعد الفراغ منهم الى جيرانه ثم الى أهل محلته ثم الى أهل السواد المكثف)⁵.

وقد عرفه أيضا ابن تيمية (728هـ)-رحمه الله (إن الاصلاح هو صلاح العباد بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فان صلاح المعاش و العباد في طاعة الله ورسوله، ولا يتم ذلك الا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبه صارت هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس)¹

¹ - جامع البيان في تفسير القرآن.

² - المحرر الوجيز.

³ - نقل هذا القول الألووسي في تفسيره روح المعاني

⁴ - المفردات، الاصبهاني: ص: 177.

⁵ - إحياء علوم الدين، أبي حامد الغزالي ، 342/2.

وذكر الألويسي (1270هـ) رحمه الله فقال: (الصلاح عبارة عن الإتيان بما ينبغي والاحتراز عما لا ينبغي)².
عرفه الدكتور عمار حمزة العلواني: المقصود بالإصلاح :- هو أحداث تغيير نوعي في نمط الاستجابة
للمؤثرات المحيطة بالفرد سواء كانت المؤثرات داخلية أم خارجية، وهذا التغيير النوعي في الاستجابة يتبعه
تغيير في نمط سلوك الفرد وتصرفه حيال المثيرات والمخدورات في الموقف ويتحدد نوع هذا التغيير في نمط
الاستجابة وفي نوعية السلوك في مقاييس وقواعد الآداب والسلوك المتبعة في المحيط الاجتماعي.
فإصلاح سلوك الفرد وتقويمه في نطاق علم الإجرام يتحدد في أحداث تغير يتحول في نمط الاستجابة وبالتالي
نوعية السلوك، من السلوك المضاد إلى المجتمع إلى السلوك المنسجم مع قوانين المجتمع وقواعد السلوك والآداب
السائدة فيه³.

آيات وردت فيها لفظة "الإصلاح":

فقد وردت معاني منها: ما يقابل الفساد ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ (الأعراف: 56)، وما
يقابل السيئة ﴿حَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾ [التوبة: 102]، وتوفيق الله لعباده لعمل الصالحات ﴿يَا
أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ (الأحزاب: 71)، ومحو التباغض بين
المتخاصمين: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ
سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: 224)...

أدله المفهوم:

قد أشارت الكثير من النصوص إلى مفهوم الإصلاح بمعانيه المتعددة، وجعله القران جوهر رسالات السماوية،
فوصف به إبراهيم: ﴿وَلَقَدْ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة:
130)، وعيسى ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: 46)، وشعيب ﴿إِنْ أُرِيدُ
إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88] (يقول الإمام الرازي في
تفسيره الكبير (والمعنى: ما أريد إلا أن أصلحك بموعظتي ونصيحتي، وقوله ما (استطعت) فيه وجوه:
الأول: أنه ظرف والتقدير مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا.
والثاني: أنه بدل من الإصلاح، أي المقدار الذي استطعت منه.
والثالث: أن يكون مفعولا له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه.

¹ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ص: 73.

² - روح المعاني، ج9، ص: 149.

³ - تحديد معنى مصطلح الإصلاح، عمار سليم حمزة العلواني، 2016/02/18م،

ثم يميز القرآن الكريم بين الإصلاح الحقيقي على الوجه السابق بيانه وادعاء الإصلاح (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) يقول القاشاني: (كانوا يرون الصلاح في تحصيل المعاش، وتيسير أسبابه، وتنظيم أمور الدنيا لتوغلهم في محبة الدنيا) (1).

خصائص الإصلاح:

أ/ التدرج في التشريع: أي التدرج في بيان درجة الالتزام في القاعدة الشرعية المعينة) من الإباحة الى الكراهة الى التحريم او من الندب الى الوجوب...، ومن اشكاله التدرج في بيان درجة الالتزام في شرب الخمر من الإباحة عند قوله تعالى {وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا} [النحل: 67]، الى الكراهة عند قوله تعالى {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ} [البقرة: 219]، و قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا} [النساء: 43]، الى التحريم عند قوله تعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [المائدة: 90]، غير ان هذا النوع من انواع التدرج قد انتهى بختم النبوة بوفاة الرسول(ص).

ب/ التدرج في التطبيق: أي التدرج في تطبيق القاعدة الشرعية وليس في بيان درجة الإلزام في القاعدة الشرعية ومن أدلته قول عمر بن عبد العزيز لابنه (إن قومك قد شدوا وهذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم ، لم آمن أن يفتقوا على فتقاً تكثر فيه الدماء، والله لزوال الدنيا أهون علي ، من أن يراق في سبي محجمة من دم ، أو ما ترضي أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بدعة ، ويحيي فيه سنة ، حتى يحكم الله بيننا ، وبين قومنا بالحق وهو خير الحاكمين) (2).

¹ - محاسن التأويل للقاسمي، 1/252

² - حلية الأولياء 282/5 - صفة الصفوة لابن الجوزي 2/128.

الملاحق

الملحق 1: آيات التوحيد في القرآن الكريم:

- 1- وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا (النساء 36).
- 2- قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيَّكُمْ عَلَيَّكُمْ إِلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَمْ وَصَّاهُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (الأنعام 151).
- 3- وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (النور 55).
- 4- إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (يوسف 40).
- 5- قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا آلَ عِمْرَانَ (آل عمران 64).
- 6- قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ (الأنعام 162-163).
- 7- هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ (غافر 65).
- 8- قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبٍ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ (الرعد 36-37).
- 9- إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (الفاحة 5).
- 10- يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَاتِي تُوَفَّقُونَ (فاطر 3).
- 11- وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (الأنبياء 25).
- 12- وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ (النحل 73).
- 13- أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (الأعراف 191).
- 14- لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ (الرعد 14).
- 15- وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ، أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (النحل 20-21).
- 16- قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا، قُلْ إِنِّي لَنْ مُجِيرِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (الحج 21-22).
- 17- وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ، وَإِنْ يَسْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (يونس 106-107).
- 18- وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا (الفرقان 3).
- 19- إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (الأعراف 194).
- 20- قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (المائدة 76).
- 21- اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُحْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (التوبة 31).
- 22- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا

يَعْلَمُونَ، وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بَحِيرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ

وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) النحل 75-76

23- وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ، قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ

مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) الفرقان 17-18

24- إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ

وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) العنكبوت 17

25- فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) البقرة 22

26- وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ

جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ) البقرة 165

27- وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا) سبأ 33

28- قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّعِبَ اللَّهَ وَحَدُّهُ وَنَذَرُ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) الأعراف 70

29- أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) الزمر 3

30- قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ

فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ) يونس 31

31- وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) غافر 60

32- ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ) الحج 62

33- هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ، أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ، قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) الشعراء 72-73-74

34- فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ، أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي

مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ) الزمر 2-3

35- وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَنْتَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) يونس 18

36- قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْتَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمِ

يَوْمِنَا) الأعراف 188

37- وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) آل عمران 80

38- قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا نُجُوبًا، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ

وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ) الإسراء 56-57

39- ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ

وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ) فاطر 13

40- قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ) سبأ

22

41- وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا

بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ) الأحقاف 5-6

42- وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) الجن 18

43- فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَاؤُ اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) العنكبوت 65

44- وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ ثُمَّ نُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي

قَرِيبٌ) هود 61

- 45- قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَقَّأَكُمْ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (يونس 104)
- 46- ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (الزمر 29)
- 47- قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ الرِّعْدِ (الرعد 36)
- 48- وَاللَّهُمَّ إِلَهَ وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (البقرة 63)
- 49- قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَتَيْتُكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَاللهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ (الأنعام 19)
- 50- قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا (الحج 20)
- 51- وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ (البينة 5)
- 52- يَا صَاحِبِي السَّجْنِ أَرَأَيْتَ أَتَمَرْتُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ، مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ (يوسف 39-40)
- 53- قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تُسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ (الرعد 16)
- 54- وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (البقرة 186)
- 55- وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَاللهُ وَاحِدٌ فَإِذَا يَفَاهَى بَارِهُونَ، وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ، وَمَا يَكُ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ، ثُمَّ إِذَا كَسَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (النحل 51-54)
- 56- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (الكهف 110)
- 57- قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ وَأُتِنْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ، بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ، وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاَهُمْ بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (الأنعام 40-43)
- 58- قُلْ إِنِّي نَهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ (الأنعام 56)
- 59- قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ تَدْعُوهُ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً لئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَذِهِ لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قُلِ اللَّهُ يَنْجِيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ (الأنعام 63-64)
- 60- قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْهُدَى اثْنَيْنِ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَاللهُ هَادِيٌّ وَأَمْرُنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (الأنعام 71)
- 70- قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ، قَرِيبًا هَدَى وَقَرِيبًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةَ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينِ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ (الأعراف 29-30)
- 71- فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَقَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَهُمْ هَدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ (الأعراف 37)
- 72- ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً (الأعراف 55)
- 73- وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَنْشِرُونَ (الزمر 39)
- 74- وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا (الأعراف 180)
- 75- ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكَ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، هُوَالَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ، فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ، (غافر 12-14)
- 76- هُوَالَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا حَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبِّهَا

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفْوًا غَفُورًا ﴾ [النساء: 43]

﴿ وَإِذَا صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [النساء: 101]

﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ كَانَ بِكُمْ أذىٌ مِنْ مَطَرٍ أَوْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ إِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا ﴾ [النساء: 102]

﴿ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا ﴾ [النساء: 103]

﴿ لَكِنَّ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: 162]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [المائدة: 6]

﴿ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ [المائدة: 12]

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: 114]

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: 37]

﴿ رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴾ [إبراهيم: 40]

﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴾ [الحجر: 98]

﴿ أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾ [الإسراء: 78]

﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: 31]

﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ غِيًّا ﴾ [مريم: 59]

﴿ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴾ [طه: 14]

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى ﴾ [طه: 132]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الحج: 77]

﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴾ [المؤمنون: 2]

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور: 56]

﴿ ائْتِ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: 45]

﴿ يَا بَنِيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾

[لقمان: 17]

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّن تَبُورَ ﴾

[فاطر: 29]

﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ

فَأَزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ

مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الفتح: 29]

﴿ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾ [الأعلى: 15]

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾

[البينة: 5]

الملحق 3: أسباب نزول آيات سورة الاسراء

ما ورد في نزول قوله تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا) (45) (قال جلال

الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911 هـ): (قوله تعالى: (وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ

بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا (45) {أخرج ابن المنذر عن ابن شهاب قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تلا القرآن على مشركي قريش ودعاهم إلى الكتاب قالوا يهزؤون به: قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب} فأنزل الله قولهم: {وإذا قرأت القرآن} الآيات. (لباب النقول: 161) ما ورد في نزول قوله تعالى: (وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا (53) (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاحِدِيُّ (ت: 468هـ): (قوله عز وجل: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه وذلك أن رجلاً من العرب شتمه فأمره الله تعالى بالعرفو. وقال الكلبي: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقول والفعل فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى هذه الآية. (أسباب النزول: 295) ما ورد في نزول قوله تعالى: (قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (57) (قَالَ جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: 911 هـ): (قوله تعالى: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) (ك.} أخرج البخاري وغيره عن ابن مسعود قال: كان الناس من الإنس لباب النقول: 161] يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بعبادتهم فأنزل الله: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ} الآية. (لباب النقول: 162) ، قَالَ مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الْوَاحِدِيُّ (ت: 1423هـ): (قوله تعالى: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا (56) (أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} {الآيتان: 56 - 57. [مسلم [18 / 164] حدثني أبو بكر بن نافع العبدي حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن عبد الله} {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ} قال: كان نفر من الإنس يعبدون نفراً من الجن فأسلم نفر من الجن واستمسك الإنس بعبادتهم فنزلت} {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ}. ثم ساقه من طريق أخرى إلى ابن مسعود وفيه: فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون فنزلت. الحديث أصله في البخاري لكن ليس فيه التصريح بالنزول وهو في البخاري في [التفسير: 10 / 13] ، وأخرجه ابن جرير [105-104 / 15] ، وأخرجه الحاكم [2 / 362] ، وقال صحيح على شرط مسلم وسكت عليه الذهبي. وفيه فأنزل عز وجل: {قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ} وذكر الآيتين إلى قوله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ}. (الصحيح المسند في أسباب النزول: 144) ما ورد في نزول قوله تعالى: (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا (59) (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاحِدِيُّ (ت: 468هـ): (قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ} الآية. أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنا زاهر بن أحمد قال: أخبرنا أبو القاسم البغوي قال: حدثنا عثمان بن أبي شيبة قال: حدثنا جرير بن عبد الحميد عن الأعمش عن جعفر بن إياس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سألت أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهاباً وأن ينجي عنهم الجبال فيزرعون فقبل له: إن شئت أن تستأني بهم لعلنا نحتج أسباب النزول: 295] منهم وإن شئت أن تؤتيهم الذي سألوها فإن كفروا أهلکوا كما أهلک من قبلهم قال)) لا بل أستأني بهم (فأنزل الله عز وجل): {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ} الآية. وروينا قول الزبير بن العوام في سبب نزول هذه الآية عند قوله: {وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ}. (أسباب النزول: 296) قَالَ جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: 911 هـ): (قوله تعالى: {وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ} وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَحْوِيلًا (59) {أخرج

يزيدهم إلا طغيانا كبيرا {وأنزل}: إن شجرة الزقوم * طعام الأثيم. [لباب النقول: 163] ما ورد في نزول قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ حَلِيلًا (73) } قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاحِدِيُّ (ت: 468هـ): {قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ} الآية . أسباب النزول: 296] قال عطاء عن ابن عباس: نزلت في وفد ثقيف أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوا شططا وقالوا: متعنا باللات سنة وحرم وادينا كما حرمت مكة شجرها وطبرها ووحشها وأكثروا في المسألة فأبى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبههم فأقبلوا يكررون مسألتهم وقالوا: إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم فإن كرهت ما نقول وخشيت أن تقول العرب: أعطيتهم ما لم تعطنا فقل: الله أمرني بذلك فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وداخلهم الطمع فصاح عليهم عمر: أما ترون رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسك عن جوابكم كراهية لما تحيثون به وقد هم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعطيهم ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال سعيد بن جبير: قال المشركون للنبي صلى الله عليه وسلم: لا نكف عنك إلا بأن تلم بأهلتنا ولو بطرف أصابعك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ما علي لو فعلت والله يعلم أي كاره)) (فأنزل الله تعالى هذه الآية): {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ} إلى قوله: {نَصِيرًا} . وقال قتادة: ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة إلى الصبح يكلمونه ويفخمونه ويسودونه ويقاربونه فقالوا: إنك تأتي بشيء لا يأتي به أحد من الناس وأنت سيدنا يا سيدنا، وما زالوا به أسباب النزول: 297] حتى كاد يقاربهم في بعض ما يريدون ثم عصمه الله تعالى عن ذلك فأنزل الله تعالى هذه الآية. [أسباب النزول: 298] قَالَ جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِيُّ (ت: 911 هـ): {قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَخَذُوكَ حَلِيلًا (73) }} أخرج ابن مردويه وابن أبي حاتم من طريق ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن ابن عباس قال: خرج أمية بن خلف وأبو جهل بن هشام ورجال من قريش، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا محمد تعال فاستلم آهتنا وندخل معك في دينك، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشدد عليه فراق قومه ويحب إسلامهم فرق لهم، فأنزل الله: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِيَنا إِلَيْكَ} إلى قوله: {نَصِيرًا} قلت: هذا أصح ما ورد في سبب نزولها وهو إسناده جيد وله شاهد . وأخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر، فقالوا: لا ندعك تستلم حتى تستلم آهتنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((فنزلت، وأخرج نحوه عن ابن شهاب. وأخرج عن جبير بن نفير: أن قريشا أتوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا: إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم فنكون نحن أصحابك فركن إليهم، فنزلت . وأخرج عن محمد بن كعب القرظي: أنه صلى الله عليه وسلم قرأ {والنجم-} إلى قوله- {أفرأيتم اللات والعزى} فألقى عليه الشيطان: تلك الغرائق العلا وإن شفاعتهن لترتجى فنزلت، { وإن كادوا ليفتنونك } فما زال مهموما حتى أنزل الله: {وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله...} الآية. وفي هذا دليل على أن هذه الآيات مكية . لباب النقول: 163] ومن جعلها مدنية استدل بما أخرجه ابن مردويه من طريق العوفي عن ابن عباس أن ثقيفا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: أجلنا سنة حتى نهدي لأهلتنا، فإن قبضنا الذي يهدي للآلهة أحرزناه ثم أسلمنا وكسرنا الآلهة فهم أن يؤجلهم، فنزلت وإسناده ضعيف. [لباب النقول: 164] ما ورد في نزول قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (76) } قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاحِدِيُّ (ت: 468 هـ): {قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ} الآية . قال ابن عباس: حسدت

اليهود مقام النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقالوا: إن الأنبياء إنما بعثوا بالشام فإن كنت نبياً فالحق بها فإنك إن خرجت إليها صدقتك وأمانك، فوقع ذلك في قلبه لما يجب من إسلامهم فرحل من المدينة على مرحلة فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال عبد الرحمن بن غنم: إن اليهود أتوا نبي الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن كنت صادقاً أنك نبي الله فالحق بالشام فإن الشام أرض المحشر والمنشر وأرض الأنبياء فصدق ما قالوا وغزا غزوة تبوك لا يريد بذلك إلا الشام فلما بلغ تبوك أنزل الله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ} وقال مجاهد وقتادة والحسن: هم أهل مكة بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة فأمره الله تعالى بالخروج وأنزل هذه الآية إخباراً عما هموا به. [أسباب النزول: 298] قَالَ جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِيُّ (ت: 911 هـ): {قوله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا}} (أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا النبي صل الله عليه وسلم، فقالوا: إن كنت نبياً فالحق بالشام، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء، فصدق رسول الله صلى الله عليه ما قالوا، فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام، فلما بلغ تبوك أنزل الله آيات من سورة بني إسرائيل بعد ما ختمت السورة: {وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّوكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا} وأمره بالرجوع إلى المدينة وقال: فيها محياك وفيها مماتك وفيها تبعث وقال له جبريل: سل ربك فإن لكل نبي مسألة، فقال:)) ما تأمرني أن أسأل؟ {قال}: {وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لَدُنْكَ سلطاناً نصيراً} فهؤلاء نزلن في رجعتهم من تبوك . وله طريق أخرى مرسله عند ابن جرير أن بعض اليهود قاله له. [لباب النقول: 164] ما ورد في نزول قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا} (80) (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاحِدِيُّ (ت: 468هـ): {قوله تعالى: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}} (أخرج الترمذي عن ابن عباس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم بمكة ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: {وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا}} (وهذا صريح في أن الآية مكية وأخرجه ابن مردويه بلفظ أصرح منه. [لباب النقول: 164] ما ورد في نزول قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (85) (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاحِدِيُّ (ت: 468هـ): {قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} الآية . أخبرنا محمد بن عبد الرحمن النحوي قال: أخبرنا محمد بن بشر بن العباس قال: أخبرنا أبو لبيد محمد بن أحمد بن بشر قال: حدثنا سويد عن سعيد قال: حدثنا علي بن مسهر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال: إني لمع النبي صلى الله عليه وسلم في حرث بالمدينة وهو متكئ على عسيب فمر بنا ناس من اليهود فقالوا: سلوه عن الروح فقال بعضهم: لا تسألوه فيستقبلكم بما تكرهون فأتاه نفر منهم فقالوا له: يا أبا القاسم ما تقول في الروح؟ فسكت ثم قام فأمسك بيده على جبهته فعرفت أنه ينزل عليه فأنزل الله عليه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتُوا مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} (رواه البخاري ومسلم جميعاً عن عمر بن حفص بن غياث عن أبيه عن الأعمش. وقال عكرمة عن ابن عباس: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح فنزلت هذه الآية. وقال المفسرون: إن

اليهود اجتمعوا فقالوا لقريش حين سألوهم عن شأن محمد وحاله: سلوا محمداً عن الروح وعن فتية فقدوا في أول الزمان وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها فإن أجاب في ذلك كله فليس بنبي وإن لم يجب في ذلك فليس بنبي وإن أجاب في بعض ذلك وأمسك عن بعضه فهو نبي فسألوه عنها فأنزل الله تعالى في شأن الفتية: {أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقْمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا} [إلى آخر القصة وأنزل في الرجل الذي بلغ شرق الأرض وغربها]: ويسألونك عن ذي القرنين [إلى آخر القصة وأنزل في الروح قوله تعالى]: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الآية]. (أسباب النزول: 299-300) قَالَ جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيُّ (ت: 911 هـ): {قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}} (85)) أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهو متوكئ على عسيب، فمر بنفر من يهود، فقال بعضهم: لو سألتموه، فقالوا: حدثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه فعرفت أنه يوحى إليه حتى صعد الوحي ثم قال: {الروح من أمر ربي وما أُوتيتم من العلم إلا قليلاً}. وأخرج الترمذي عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: أعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح فسألوه، فأنزل الله: {ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي}. [قال ابن كثير: يجمع بين الحديثين بتعدد النزول. وكذا قال الحافظ ابن حجر. أو يحمل سكوته حين سؤال اليهود على توقع مزيد بيان في ذلك وإلا فما في الصحيح أصح. قلت: ويرجح ما في الصحيح بأن رواه حاضر القصة بخلاف ابن عباس]. (لباب النقول: 164-165) قَالَ مُقْبِلُ بْنُ هَادِي الْوَادِعِيِّ (ت: 1423 هـ): {قوله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}} [الآية: 85]. [البخاري [1/235] حدثنا قيس بن حفص، قال: حدثنا عبد الواحد، قال حدثنا الأعمش سليمان عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله، بينما أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في ضرب المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكروهونه، فقال بعضهم: لنسألنه، فقام رجل منهم فقال: يا أبا القاسم ما الروح؟ فسكت، فقلت إنه يوحى إليه، فقمت فلما انجلي عنه فقال: (({وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا}}.)) [قال الأعمش: هي كذا قراءتنا. الحديث ذكره البخاري في صحيحه في مواضع منها [10/15] وفيه لما نزل عليه الوحي قال: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [و17/33]، 217، [221]، وأخرجه مسلم [17/137]، [4/138] وقال: هذا حديث حسن صحيح، [المسند: 1/389، 410، 445]، وابن جرير [15/155]، والطبراني في [المعجم الصغير: 2/86]. [قال الترمذي رحمه الله: [4/137] حدثنا قتيبة بن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة عن داود بن أبي هند عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش لليهود أعطونا شيئاً نسأل عنه هذا الرجل فقالوا: سلوه عن الروح، فأنزل الله تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} قالوا: أوتينا علماً كبيراً أوتينا التوراة ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيراً كبيراً، فأنزلت: {قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ} [إلى آخر الآية. هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. الحديث أخرجه الإمام أحمد [1/255] وابن جرير [15/155] والحاكم. [2/531] قال الحافظ ابن كثير [3/60] في الكلام على الحديث الأول وهذا الحديث يقتضي فيما يظهر بادئ الرأي أن هذه الآية مدنية وأنها نزلت حين سأله اليهود عن ذلك بالمدينة مع أن السورة كلها مكية، وقد يجاب عن هذا بأنها قد تكون نزلت عليه بالمدينة مرة ثانية كما نزلت عليه بمكة قبل ذلك أو أنه نزل عليه الوحي بأن يجيبهم عما سألوهم بالآية المتقدم إنزالها عليه وهي هذه الآية]. (الصحيح المسند في أسباب النزول: 146) ما ورد في نزول قوله تعالى: {قُلْ لَيْنِ

اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجْنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88) (قَالَ جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرِ السِّيُوطِيِّ (ت: 911 هـ): (قوله تعالى: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجْنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (88)} أخرج ابن إسحاق وابن جرير من طريق سعيد أو عكرمة عن ابن عباس قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم في عامة من يهود سماهم فقالوا: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا، وإن هذا الذي جئت به لا نراه متناسقا كما تناسق التوراة، فأنزل علينا كتابا نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فأنزل الله: {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحِجْنُ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ [الآية]}. (لباب النقول: 165) ما ورد في نزول قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَيْسًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (93) (قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ الْوَاحِدِيُّ (ت: 468 هـ): (قوله تعالى: {وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} الآية . روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة وأبا سفيان والنضر بن الحارث وأبا البخترى والوليد بن المغيرة وأبا جهل وعبد الله بن أبي أمية وأمّية بن خلف ورؤساء قريش اجتمعوا عند ظهر الكعبة فقال بعضهم [أسباب النزول: 300] لبعض: ابعثوا إلى محمد وكلموه وخاصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلموك فجاءهم سريعًا وهو يظن أنه بدأ لهم ي أمره بداء وكان عليهم حريصًا يحب رشدهم ويعز عليه عنتهم حتى جلس إليهم فقالوا: يا محمد إنا والله لا نعلم رجلاً من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الآلهة وفرقت الجماعة وما بقي أمر قبيح إلا وقد جئته فيما بيننا وبينك فإن كنت إنما جئت بهذا لتطلب به مالاً جمعنا لك من أموالنا ما تكون به أكثرنا مالاً وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وإن كان هذا الرئي الذي يأتيك تراه قد غلب عليك وكانوا يسمون التابع من الحن الرئي بدلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه أو نعذر فيك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)) ما بي ما تقولون ما جئتمكم بما جئتمكم به لطلب أموالكم ولا للشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله عز وجل بعثني إليكم رسولاً وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن قبلوا مني ما جئتمكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم ((قالوا له: يا محمد فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا فقد علمت أنه ليس من الناس أحد أضيق بلاداً ولا أقل مالاً ولا أشد عيشاً منا فسل لنا ربك الذي بعثك بما بعثك فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا ويبسط لنا بلادنا ويجر فيها أنهاراً كأنهار الشام والعراق وأن يبعث لنا من مضي من آبائنا وليكن ممن يبعث لنا منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيعياً صدوقاً فنسألهم عما تقول أحق هو أم باطل؟ فإن صنعت ما سألتك صدقتك وعرفنا به منزلتك عند الله وأنه بعثك رسولاً كما تقول أسباب النزول: 301] فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)) ما بهذا بعثت إنما جئتمكم من عند الله سبحانه بما بعثني به فقد بلغتمكم ما أرسلت به إليكم فإن قبلوه فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر لأمر الله ((قالوا: فإن لم تفعل هذا فسل ربك أن يبعث ملكاً يصدقك وسله فليجعل لك جناحاً وكنوزاً وقصوراً من ذهب وفضة يغنيك بها عما نراك تبتغي فإنك تقوم في الأسواق كما تقوم وتلتمس المعاش كما نلتمسها حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك إن كنت رسولا كما ترعم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:)) ما أنا بفاعل وما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بعثت إليكم بهذا

ولكن الله تعالى بعثني بشيراً ونذيراً. (قالوا: فأسقط علينا كسفاً من السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك إلى الله إن شاء فعل فقال قائل منهم: لن نؤمن لك حتى تأتي بالله والملائكة قبلاً وقال عبد الله بن أمية المخزومي وهو ابن عاتكة بنت عبد المطلب ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم: لا أؤمن بك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلماً وترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بنسخة منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا لما فاته من متابعة قومه ولما رأى من مباحدهم منه فأنزل الله تعالى: { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا } الآيات. أخبرنا سعيد بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو علي بن أبي بكر الفقيه قال: أخبرنا أحمد بن الحسين بن الجنيد قال: حدثنا زياد بن أيوب قال: حدثنا هشيم عن عبد الملك بن عمير عن سعيد بن جبير قال: قلت له قوله: [أسباب النزول: 302] لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا [أنزلت في عبد الله بن أبي أمية قال: زعموا ذلك]. (أسباب النزول: 303) قَالَ جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِيُّ (ت: 911 هـ): (قوله تعالى: { وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجَرَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا } (90) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا } (91) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتْ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةَ قَبِيلًا } (92) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرِفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِزُفْيِكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا } (93)) أخرج ابن جرير من طريق ابن إسحاق عن شيخ من أهل مصر عن عكرمة عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب ورجلا من بني عبد الدار وأبي البختری أبا بني أسد والأسود بن المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية وأميه بن خلف والعاصي بن وائل ونبيها ومنبها ابني الحجاج السهميين اجتمعوا فقالوا: يا محمد والله ما نعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد سببت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتت الآلهة وفرقت الجماعة فما بقي أمر قبيح إلا وقد جنته فيما بيننا وبينك، فإن كنت إنما جئت بهذا الحديث تطلب مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت إنما تطلب الشرف فينا سودناك علينا، وإن كنت تريد ملكنا ملكناك علينا وإن هذا الذي يأتيك بما يأتيك رثيا تراه قد لباب النقول: 165] غلب بدلنا أموالنا في طلب الطب لك حتى نبرئك منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ما بي ما تقولون ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا، وأمرني أن أكون لكم بشرا ونذيرا))، قالوا: فإن كنت غير قابل منا ما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد من الناس أضيقت بلدا ولا أقل مالا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك به فليسير عنا هذه الجبال التي ضيقت علينا وليبسط لنا بلادنا وليجر فيها أنهارا كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من قد مضى من آبائنا فإن لم تفعل فسل ربك ملكا يصدقك بما تقول، وأن يجعل لك جنانا وكنوزا وقصورا من ذهب وفضة ويغنيك عن ما تراك تبتغي فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش، فإن لم تفعل فأسقط السماء علينا كسفا كما زعمت أن ربك إن شاء فعل، فإننا لن نؤمن لك إلا أن تفعل، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم وقام معه عبد الله بن أبي أمية، فقال: يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا ليعرفوا بها منزلتك من الله فلم تفعل ذلك، سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب، فوالله لا أؤمن لك أبداً حتى تتخذ إلى السماء سلما ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي معك بنسخة منشورة ومعك أربعة من الملائكة فيشهدوا لك أنك كما تقول فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حزينا فأنزل الله عليه ما قاله عبد الله بن أبي أمية { وقالوا لن نؤمن لك - [إلى قوله] - بشرا رسولا. } وأخرج سعيد بن منصور في سننه عن سعيد بن جبير في قوله: وقالوا

لن نؤمن لك {قال: نزلت في أخي أم سلمة عبد الله بن أبي أمية، مرسل صحيح شاهد لما قبله يجبر المبهم في إسناده}. (لباب
 النقول: 166) ما ورد في نزول قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ
 وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} (110) (قال أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت: 444هـ): (أخبرنا عبد الرحمن بن
 خالد، قال: أنا أحمد بن حمدان، قال: أنا عبد الله بن أحمد، عن ابن عباس، قال: نزلت هذه الآية ورسول الله صلى الله عليه
 وسلم متوار بمكة} ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها}. (البيان:؟؟) [قال علي بن أحمد الواحدي (ت: 468هـ): (قوله تعالى:
 {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ} الآية . قال ابن عباس: تهجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة بمكة فجعل يقول في
 سجوده)) :يا رحمن يا رحيم ((فقال المشركون :كان محمد يدعو إليها واحدًا فهو الآن يدعو إلهين اثنين الله والرحمن ما نعرف
 الرحمن إلا رحمن اليمامة، يعنون مسيلمة الكذاب فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال ميمون بن مهران: كان رسول الله صلى الله
 عليه وسلم يكتب في أول ما أوحى إليه: باسمك اللهم حتى نزلت هذه الآية: إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ فكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال مشركو العرب: هذا الرحيم نعرفه فما الرحمن؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال
 الضحاك: قال أهل الكتاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنك لتقل ذكر الرحمن وقد أكثر الله في التوراة هذا الاسم، فأنزل
 الله تعالى هذه الآية}. (أسباب النزول: 303) [قال علي بن أحمد الواحدي (ت: 468هـ): (قوله عز وجل: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا
 تُخَافُتْ بِهَا} الآية. خبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى قال: حدثنا والدي قال: حدثنا محمد بن إسحاق الثقفي
 قال: حدثنا عبد الله بن مطيع وأحمد [أسباب النزول: 303] وقالت عائشة رضي الله عنها: نزلت هذه الآية في التشهد كان
 الأعرابي يجهر فيقول: التحيات لله والصلوات والطيبات يرفع بها صوته فنزلت هذه الآية . وقال عبد الله بن شداد: كان أعراب
 من بني تميم إذا سلم النبي صلى الله عليه وسلم من صلاته قالوا: اللَّهُمَّ ارزقنا مالاً وولداً ويجهرون فأنزل الله تعالى هذه الآية.
 أسباب النزول: 304] أخبرنا سعيد بن محمد بن أحمد بن جعفر قال: أخبرنا أبو علي الفقيه قال: أخبرنا علي بن عبد الله بن
 مبشر الواسطي قال: حدثنا أبو عبد الله محمد بن حرب قال: حدثنا أبو مروان يحيى بن أبي زكريا الغساني عن هشام بن عروة
 عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها في قوله تعالى: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا} قالت: إنها أنزلت في الدعاء}. (أسباب
 النزول: 305) [قال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911 هـ): (قوله تعالى: {قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ
 أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} (110)) (أخرج ابن مردويه وغيره
 عن ابن عباس قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات يوم، فدعا فقال في دعائه)) :يا الله يا رحمن ((، فقال
 المشركون: انظروا إلى هذا الصائبي ينهانا أن ندعو إلهين وهو يدعو إلهين. فأنزل الله: قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما
 تدعوا فله الأسماء الحسنى}. ((لباب النقول: 166) [قال جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911 هـ): (قوله
 تعالى: {ولا تجهر} الآية. لباب النقول: 166] أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس في قوله: {ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت
 بها} قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مخفف بمكة، وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فكان المشركون إذا
 سمعوا القرآن سبوه ومن أنزله ومن جاء به فنزلت . وأخرج البخاري أيضا عن عائشة: أنها نزلت في الدعاء . وأخرج ابن جرير
 من طريق ابن عباس مثله . ثم رجح الأولى لكونها أصح سندا وكذا رجحها النووي وغيره . وقال الحافظ بن حجر: لكن
 يحتمل الجمع بينهما بأنها نزلت في الدعاء داخل الصلاة . وأخرج ابن مردويه من حديث أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم إذا صلى عند البيت رفع صوته بالدعاء فنزلت . وأخرج ابن جرير والحاكم عن عائشة قالت: نزلت هذه الآية

في التشهد وهي مبينة لمرادها في الرواية السابقة ولا بن منيع في مسنده عن ابن عباس كانوا يجهرون بالدعاء: اللَّهُمَّ ارحمني، فنزلت فأمرُوا أَنْ لَا يَخْفَتُوا وَلَا يَجْهَرُوا. (لباب النقول: 167] قَالَ مُثَبِّلُ بْنُ هَادِي الْوَادِعِيِّ (ت: 1423هـ): (قوله تعالى: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا} [الآية: 110]. البخاري [19 / 10] حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا هشيم حدثنا أبو بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتْ بِهَا}. الصحيح المسند في أسباب النزول: 146] قال: نزلت ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم محتف بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم: {وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ} أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن {وَلَا تُخَافُتْ بِهَا} عن أصحابك فلا تسمعهم {وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا}. الحديث أخرجه مسلم [165 / 4] ، والترمذي [139 / 4] من طريقين إلى هشيم وقال في كل طريق هذا حديث حسن صحيح، والنسائي [138 / 2] ، والإمام أحمد [23 / 1] ، [215]، وابن جرير [184 / 15] ما ورد في نزول قوله تعالى: (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْثِيرًا) (111) (قَالَ جَلَّالُ الدِّينِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي بَكْرِ السُّيُوطِيُّ (ت: 911 هـ): (قوله تعالى: {وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وِليٌّ مِنَ الدُّنْيَا وَكَبْرَهُ تَكْثِيرًا} (111)) (أخرج ابن جرير عن محمد بن كعب القرظي قال: إن اليهود والنصارى قالوا اتخذ الله ولدا. وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك. وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله لذل فأنزل الله: {وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك} [لباب النقول: 167].

الملحق 4:

الصفحة الثالثة من المقدمة من كتاب الالفاظ للاصبهاني

ما في قوة البشر أن يدركه من الاحكام والحكم فيطلع من كتاب الله على ملكوت السماوات والأرض ويتحقق أن كلامه كما وصفه بقوله: (ما فرطنا في الكتاب من شيء) جعلنا الله ممن تولى هدايته حتى يبلغه هذه المنزلة ويجوله هذه المكرمة، فلن يهديه البشر من لم يهده الله كما قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: {إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء}. وذكرت أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية. ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه، كتحصيل اللين في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه. وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع، فألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم وحكمهم، وإليها مفرع حذاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم. وما عداها

وعدا الألفاظ المتفرعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالكشور والنوى بالإضافة إلى أطايب الثمرة، وكالحثالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة. وقد استخرت الله تعالى في إملاء كتاب مستوفى فيه مفردات ألفاظ القرآن على حروف التهجي، فنقدم ما أوله الألف ثم الباء على ترتيب حروف المعجم معتبرا فيه أوائل حروفه الأصلية دون الزوائد، والإشارة فيه إلى المناسبات التي بين الألفاظ المستعارات منها والمشتقات حسبما يحتمل التوسع في هذا الكتاب، وأحيل بالقوانين الدالة على تحقيق مناسبات الألفاظ على الرسالة التي عملتها مختصة بهذا الباب. ففي اعتماد ما حررته من هذا النحو استغناء في بابه من المثبطات عن المسارعة في سبيل الخيرات، وعن المسابقة إلى ما حثنا عليه بقوله تعالى: (سابقوا إلي مغفرة من ربكم) سهل الله علينا الطريق إليها. وأتبع هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ونسأ في الاجل، بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينها من الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره من أخواته، نحو ذكره القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة. ونحو ذكره تعالى في عقب قصة: (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) وفي أخرى: (لقوم يتفكرون) وفي أخرى: (لقوم يعلمون) وفي أخرى: (لقوم يفقهون) وفي أخرى: (لأولي الابصار) وفي أخرى: (لذي حجر) وفي أخرى: (لأولي النهي) ونحو ذلك مما يعده من لا يحق الحق ويبطل الباطل لأنه باب واحد، فيقدر أنه إذا فسر الحمد لله بقوله الشكر لله، ولا ريب فيه بلا شك فيه فقد فسر القرآن ووفاه التبيان، جعل الله لنا التوفيق رائدا والتقوى سائقا. ونفعنا بما أولانا وجعله لنا من معاون تحصيل الزاد المأمور به في قوله تعالى: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى).

الصفحة العاشرة بعد المقدمة، وفيها من الألفاظ: (أثل، إثم، أجم، أجر):

أثل: قال تعالى: (ذواتي أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل) **أثل:** شجر ثابت الأصل وشجر متأثل ثابت ثبوته وتأثل كذا ثبت ثبوته. وقوله صلى الله عليه وسلم في الوصي " غير متأثل مالا " أي غير مقتن له ومدخر، فاستعار التأثل له وعنه استعير: نحت أثلته، إذا اغتبتته. **إثم:** الاثم والآثام اسم للأفعال المبطئة عن الثواب، وجمعه آثام، ولتضمنه لمعنى البطء قال الشاعر: جمالية تغتلي بالروادف * إذا كذب الآثام الهجيراء وقوله تعالى: (فيهما إثم كبير ومنافع للناس) أي في تناولهما إبطاء عن الخيرات. وقد أثم إثمًا وأثاما فهو آثم وأثم وأثيم، وتأثم خرج من إثمه كقولهم تحوب خرج من حوبه وحرجه أي ضيقه. وتسمية الكذب إثمًا لكون الكذب من جملة الاثم، وذلك كتسمية الانسان حيوانا لكونه من جملة،

وقوله تعالى: (أخذته العزة بالاثم) أي حملته عزته على فعل ما يؤثمه. (ومن يفعل ذلك يلق أثاما) أي عذابا، فسماه أثاما لما كان منه، وذلك كتسمية النبات والشحم ندى لما كانا منه في قول الشاعر: تعلی الندى في متنه وتحذرا* وقيل معنى يلق أثاما: أي يحمله ذلك على ارتكاب آثام وذلك لاستدعاء الأمور الصغيرة إلى الكبيرة. وعلى الوجهين حمل قوله تعالى: (فسوف يلقون غيا) والآثم المتحمل الاثم، قال تعالى: (آثم قلبه) وقول الاثم بالبر فقال صلى الله عليه وسلم: " البر ما اطمأنت إليه النفس والاثم ما حاك في صدرك " وهذا القول منه حكم البر والاثم لا تفسيرهما. وقوله تعالى: (معتد أثيم) أي آثم، وقوله: (يسارعون في الاثم والعدوان) قيل أشار بالاثم إلى نحو قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) وبالعدوان إلى قوله: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون) فالاثم أعم من العدوان. **أج:** قال تعالى: (هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة والحرارة من قولهم أجيح النار وأجتها وقد أجت. وائتج النهار ويأجوج ومأجوج منه شبهوا بالنار المضطربة والمياه المتموجة لكثرة اضطرابهم، وأج الظلم إذا عدا أجيحا تشبيها بأجيح النار. **أجر:** الاجر والأجرة ما يعود من ثواب.

الملحق 6:

تعريفات بعض المصطلحات القريبة من الران والختم والطبع:

معنى الغطاء:

وأما الغطاء فقال تعالى: { وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ كَرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا } وهذا يتضمن معنيين أحدهما: أن أعينهم في غطاء عما تضمنه الذكر من آيات الله وأدلة توحيده وعجائب قدرته والثاني: أن أعين قلوبهم في غطاء عن فهم القرآن وتدبره والاهتداء به وهذا الغطاء للقلب أولا ثم يسري منه إلى العين.

معنى الغلاف:

وأما الغلاف فقال تعالى: { وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ } وقد اختلف في معنى قولهم قلوبنا غلف فقالت طائفة المعنى قلوبنا أوعية للحكمة والعلم فما بالها لا تفهم عنك ما أتيت به أو لا تحتاج إليك وعلى هذا فيكون غلف جمع غلاف والصحيح قول أكثر المفسرين أن المعنى قلوبنا لا تفقه

ولا تفهم ما تقول وعلى هذا فهو جمع أغلف كأحمر وحمر وقال أبو عبيدة: كل شيء في غلاف فهو أغلف كما يقال سيف أغلف وقوس أغلف ورجل أغلف غير مختون.

قال ابن عباس وقتادة ومجاهد: على قلوبنا غشاوة فهي في أوعية فلا تعي ولا تفقه ما تقول وهذا هو الصواب في معنى الآية لتكرر نظائره في القرآن كقولهم: {قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ} وقوله تعالى: {كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي} ونظائر ذلك وأما قول من قال هي أوعية للحكمة فليس في اللفظ ما يدل عليه البتة وليس له في القرآن نظير يحمل عليه ولا يقال مثل هذا اللفظ في مدح الإنسان نفسه بالعلم والحكمة فأين وجدتم في الاستعمال قول القائل قلبي غلاف وقلوب المؤمنين العالمين غلف أي أوعية للعلم والغلاف قد يكون وعاء للجيد والرديء فلا يلزم من كون القلب غلافا أن يكون داخله العلم والحكمة وهذا ظاهر جدا فإن قيل فالإضراب ببل على هذا القول الذي قويتموه ما معناه وأما على القول الآخر فظاهر أي ليست قلوبكم محلا للعلم والحكمة بل مطبوع عليها قيل وجه الإضراب في غاية الظهور وهو أنهم احتجوا بأن الله لم يفتح لهم الطريق إلى فهم ما جاء به الرسول ومعرفته بل جعل قلوبهم داخله في غلف فلا تفقهه فكيف تقوم به عليهم الحجة وكأنهم ادعوا أن قلوبهم خلقت في غلف فهم معذرون في عدم الإيمان فأكذبهم الله وقال: {بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ} وفي الآية الأخرى: {بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ} فأخبر سبحانه أن الطبع والإبعاد عن توفيقه وفضله إنما كان بكفرهم الذي اختاروه لأنفسهم وآثروه على الإيمان فعاقبهم عليه بالطبع واللعنة والمعنى لم نخلق قلوبهم غلفا لا تعي ولا تفقه ثم نأمرهم بالإيمان وهم لا يفهمونه ولا يفقهونه بل اكتسبوا أعمالا عاقبناهم عليها بالطبع على القلوب والختم عليها.

معنى الحجاب:

وأما الحجاب ففي قوله تعالى حكاية عنهم: {وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ} وقوله: {وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا} على أصح القولين والمعنى جعلنا بين القرآن إذا قرأته وبينهم حجابا يحول بينهم وبين فهمه وتدبره والإيمان به ويبينه قوله: {وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا} وهذه الثلاثة هي الثلاثة المذكورة في قوله: {وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ} فأخبر سبحانه أن ذلك جعله فالحجاب يمنع رؤية الحق والأكنة تمنع من فهمه والوقر يمنع من سماعه وقال الكلبي: الحجاب هاهنا مانع يمنعهم من الوصول إلى

رسول الله بالأذى من الرعب ونحوه مما يصددهم عن الإقدام عليه ووصفه بكونه مستورا فليل بمعنى ساتر وقيل على النسب أي ذو ستر والصحيح أنه على بابه أي مستورا عن الأبصار فلا يرى ومجيء مفعول بمعنى فاعل لا يثبت والنسب في مفعول لم يشتق من فعله كمكان مهول أي ذي هول ورجل مرطوب أي ذي رطوبة فأما مفعول فهو جار على فعله فهو الذي وقع عليه الفعل كمضروب ومجروح ومستور.

المصادر والمراجع:

1. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2003م/1424هـ.
2. معجم تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق: د. رياض قاسم، دار المعرفة، الطبعة: 1، سنة: 1422هـ/2001م، بيروت، لبنان.
3. تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: 4، 1426هـ/2005م، بيروت لبنان.
4. البرهان في علوم القرآن، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الأولى، (1376 هـ / 1957 م)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه.
5. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي الفاروقى التهانوي، تحقيق: لطفي عبد البديع، المؤسسة المصرية، العامة، مكتبة النهضة العربية، الطبعة: 1، 1382هـ / 1963م.
6. البحر المحيط، علي بن يوسف أبي حيان الأندلسي، (د.ط)، (د.ت).
7. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، (دون تاريخ)، بيروت.
8. مقدمة في التفسير الموضوعي، محمد بن عبدالعزيز الخضيرى، كلية المعلمين قسم الدراسات القرآنية، ص: 20.
9. التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، محمد يوسف القاسم، الطبعة الأولى، سنة: 1401هـ/1981م، القاهرة.
10. التفسير الموضوعي نظرية وتطبيقاً، أحمد رحمانى، منشورات جامعة باتنة.
11. دراسات في التفسير وأصوله، محي الدين بلتاجي، دار الثقافة، الطبعة: 1، ص: 193 سنة: 1987م، بيروت.
12. مقال للأستاذ: محمد بن عبدالعزيز الخضيرى، كلية المعلمين، قسم الدراسات القرآنية، بتاريخ: 05/02/2002م.
13. مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، ط2، 1997م/1418هـ، دمشق.
14. الحجة في القراءات السبع، للإمام ابن خالويه، تحقيق: د.عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، ط2، 1397هـ/1977م، بيروت.

15. قواعد التدبير الأمثل، حبنكة الميداني، الطبعة الثالثة، دار القلم، سنة: 2004م.
16. كتاب: شرح ثلاثة الأصول ، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ) ، الناشر: دار الثريا للنشر الطبعة: الطبعة الرابعة 1424هـ - 2004م.
17. مذكرة التوحيد المؤلف: عبد الرزاق عفيفي (المتوفى: 1415هـ) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية الطبعة: الأولى، 1420هـ.
18. قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، محمد اسماعيل إبراهيم.
19. معجم الصحاح، ص1216، اسماعيل بن حماد الجوهري.
20. النهاية في غريب الحديث لابن الأثير، باب الصاد مع اللام، 3/ 50، ولسان العرب لابن منظور، باب اللام، فصل الصاد، 14/ 464، والتعريفات للجرجاني.
21. تاج اللغة وصحاح العربية المسمى: "الصحاح" تأليف: إسماعيل بن حماد الجوهري الفراء، إحياء التراث العربي/لبنان، بيروت، الطبعة4، سنة 2005م/1426هـ.
22. معجم تهذيب اللغة لابن منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2001م.
23. القاموس الجديد للطلاب، علي بن هادية بلحسن البلبيش، والجيلالي بلحاج يحي/المؤسسة الوطنية للكتاب، الطبعة4، الجزائر، 1991م.
24. "تعريف ومعنى علم في معجم المعاني الجامع"، www.almaany.com، اطلع عليه بتاريخ 2018-3-4.
25. كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، الطبعة4، (1424هـ/2003م).
26. "Science", www.britannica.com, Retrieved 2018-3-4. Edited..
27. جامع بيان العلم وفضله، أبي عمر يوسف عبد الله بن عبد البر، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ص: 265، ط1، 1433هـ/ 2012م، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان.
28. تفسير القرآن، عبد الرحمن محمد إدريس الرازي، تحقيق: أسعد محمد الطيب، 10/ 3180، المكتبة العصرية، صيدا.
29. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، 3/ 554، ط 1401هـ، دار الفكر، بيروت..
30. سنن الدارمي، أبو محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق: فواز أحمد زمرلي وخالد السبع العلمي، 1/ 114، ط1، 1407هـ، دار الكتاب العربي - بيروت.
31. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، كتاب العلم، باب الزجر عن كتابة المرء السنن مخافة أن يتكل عليها دون الحفظ لها، 1/ 290، ط2، 1414هـ/ 1993م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
32. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، ج21، تونس، 1984م.

33. بو عبد الله محمد بن احمد بن ابي بكر القرطبي، الجامع لاحكام القران و المبين لما تضمنه من السنة و أي الفرقان، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر و التوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 2006م.
34. جلال الدين السيوطي، لباب النقول في اسباب النزول، الطبعة الرابعة، دار احياء العلوم، بيروت، لبنان ص 169.
35. برهان الدين ابو الحسن ابراهيم بن عمر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الايات و السور، دار الكتاب الاسلامي، ج15، القاهرة، مصر، دون سنة.
36. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد". الموسوعة العربية الميسرة. موسوعة شبكة المعرفة الريفية. 1965. اطلع عليه بتاريخ تشرين 2013.
37. مقال : إضاءات في علم غريب القرآن، عمر اكداش- خالد الضريف، كلية اللغة العربية، مراكش، <https://atlale.wordpress.com/2014/04/27>
38. دراسات قرآنية في جزء عم/ د. أحمد محمود نحلة، دار العلوم العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 1409هـ/ 1989م.
39. <http://www.alfaseeh.com/vb/showthread.php?t=74403>.
40. مقال للدكتورة فريدة زمرد، نشر في ميثاق الرابطة: يوم 20 - 11 - 2009م، <https://www.maghress.com/almithaq/2400>، بتصرف.
41. مختصر تفسير الطبري، للصابوني، دار القرآن الكريم، ط 1.
42. من لطائف القرآن - الكفار بين الختم والغشاوة. د. صلاح الخالدي
43. الحاوي في تفسير القرآن، المعروف بـ (جنة المشتاق في تفسير كلام الملك الخلاق)، عبد الرحمن القماش.
44. بحث للسيد: السيد محمد السيد سلام، الختم والطبع ودلالاتهما البلاغية في القرآن الكريم . <http://bfam.journals.ekb.eg/article>.
45. مقال الفرق بين المشيئة والارادة : عز الدين نجيب، في الخميس 20 أكتوبر 2011-2011. http://www.ahl-alquran.com/arabic/show_article.php?main_id=8756.
46. أحمد بن علي بن مسعود، مراحل الأرواح، محمد سعيد اصبر، بلال جنيدي. الشامل، معجم في علوم اللغات والمصطلحات، الطبعة الثانية، بيروت 1985م.
47. تأويلات القرآن لأبي منصور محمد بن محمد الماتريدي السمرقندي (المتوفى. 333هـجري / 944 الميلادي) تحقيق خديجة بويوقالين بإشراف بكر توبال أوغلو اسطنبول، 2006م.
48. معنى القرآن الكريم بالتركية لعمر نصوحي بلمن، 1997م.
49. مفهوم المشيئة والإرادة في القرآن الكريم، أ.د عبد العزيز بايندر، حبل الله المتين، تاريخ النشر: 2011/03/14 http://www.hablullah.com/?p=1215#_ftn1.
50. مقال من اعداد: عباس الأسدي، الهداية والاضلال في القرآن الكريم، <https://www.almerja.com/aklam/indexv.php?id=23792>

51. محمد فتحي إحسان، مقال: مراتب الهداية في القرآن الكريم، 2010/05/16 م. :
<https://www.alukah.net/sharia/0/21793/#ixzz5YKN4FCEB>
52. كلثومة دخوش نشر في ميثاق الرابطة يوم 21 - 05 - 2010 م.
53. تحديد معنى مصطلح الاصلاح، عمار سليم حمزة العلواني، 2016/02/18 م،
54. <http://www.uobabylon.edu.iq/uobcoleges/lecture.aspx?fid=8&lcid=48790>